دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الخامس ـ السنة الثامنة ـ ذو القعدة 1384 ـ مارس 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
المملكة المغربية ـ الرباط

ثمن العدد درهم واحد

العدد الخامس
السنة الثامنة
ذو القعدة 1384.
مارس 1965.

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط . المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة ((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



مؤتمرات ....

تعتبر هذه المؤتمرات الاسلامية التي تنعقد فى الاعوام الاخيرة فى مختلف انحاء العالم ، مبادرة من الصفوة الممتازة من علماء الاسلام ، مناط الثقة ، ومعقد الرجاء ، الذين قيضهم الله للذياذ عن الاسلام ، وابراز معالمه ، ودلالة على تيقظ الروح الهاجد فى كيان الامة الاسلامية ، وتعزيزا لاواصر القربى والالفة والوحدة ، مما يبشر بتجمع القوى الشتيتة فى هذا العصر الذي يمتاز بتكتلات وتجمعات على مستويات مختلفة .

ولقد مرت على العالم الاسلامي كوارث دامية ، ومحن شداد ، وآلام فواتن ، تسببت عن جملة أسباب ، لولا مناعته الصامدة التي كانت تقيه عاديات الدهر ، لاصيب منها باسهم جارحة فى الصميم .

وكان الله يبعث فى كل حالة من يجدد لهذه الامة الاسلامية دينها عن طريق دعاة الاصلاح يندون بما آلت اليه حالة البلاد الاسلامية من تخاذل وتواكل ، وانحلال وتأخر ، وفرقة وانقسام ، أو عن طريق مجتمعات تنعقد فى مؤتمرات اسلامية تستهدف بعث فكرة الجامعة الاسلامية ، منتجع الخواطر ، ومهوى القلوب ، تقوم على الايمان المحض حتى لا يبقى المسلمون اشتاتا وأوزاعا لا تؤلف بينهم وحدة ، ولا يجمعهم نظام .

فلقد انعقد مؤتمر اسلامي فى السنة الماضية بالقاهرة حضره ما يربو عن ثمانية وثلاثين دولة ، كما انعقد مؤتمر اسلامي عظيم خلال الشهور الاخيرة باندونيسيا ، وثالث انتظم عقده فى القارة الافريقية ، وشهدت المملكة العربية السعودية فى هذا الشهر مؤتمرا اسلاميا عالميا فى مقر جمعية العالم الاسلامي ضم في رحابه نخبة من علماء المسلمين .

وهذه المؤتمرات الاسلامية تفرضها مبادئ الاسلام ، التي تطلب من ابنائها البحث عن حل مشاكلهم المادية والروحية ، استجابة لما يعتلج فى العالم الاسلامي من اشواق نحو الوحدة الجامعة من ابناء الامة الاسلامية حتى يحددوا مكانهم ودورهم فى بناء الحضارة الحديثة ، ووقفهم من الصراع العالمي .

فالاسلام في حاجة الى عملية توضيح عملية واعية وهادفة لاقرار السلام الدائم ، واختياره كنظام ملائم .

وهذا عمل يمكن تحقيقه عن طريق هذه المؤتمرات التي ستتمخض عن فكر منظم ، ووحدة جامعة يشع فى جنباتها نور الله ...

فعدد المسلمين اليوم ضخم ، ويبلغ نحو ستمائة مليون نسمة ، يتحد فى العقيدة والغاية والهدف ، ويتميز عن غيره من الدول بالتجاور فى المكان ، والتركز في قلب العالم ، ولم يبق الا أن يعرف المسلمون مكانهم بالنسبة الى هذه التكتلات الموجودة .

والاسلام يعيش اليوم فى حركة دائبة ، ونمو مطرد ، وكانه يبحث عن نفسه كقوة ذات تاثير سياسي فى العالم ، يشهد لهذا ، هذه المؤتمرات الاسلامية التي تعقد ، هنا وهناك ، فى اطراف المعمور .

وهذه المؤتمرات الاسلامية هي التي تبلور فكرة الاسلام في هذه المرحلة الحاسمة في عصرنا الحاضر .

فالاستعمار لم يلق سلاحه بعد ضد الاسلام والمسلمين ، فهو يناصبه العداء ، ويضمر له البغضاء ، ويحاول جاهدا تخدير حيويته فى المسلمين ، ويشجع البدع الطارئة عليه ، وينعش الرواسب التي كدرت صفوه ، وغايته من ذلك كله ، ان لايبقى للمسلمين من الاسلام الا عنوانه، وبعض رسومه مجردة من روحها وحيويتها ، أو حتى يصبح الدين كما يقال : ((قد اخلق لبوسه ، وأوحش مانوسه ، واقتلع مغروسه)) .

فرسالة الاسلام فى عالم اليوم منتزعة ومستمدة من جوهره ، وحقيقة مبادئه السامية العامة ، وهي تتغيى الدعوة الى الاخوة الانسانية المطلقة فى عالم اليوم ، المليء بالاحقاد والحزازات والسخائم ، وبالاسباب التي تهدد العالم الاسلامي فى كل لحظة ، كما تستهدف العمل من اجل ثقافة عصرية جديدة هادفة مثالية ، والكشف عن الحضارة واعمالها فى خدمة شعوب العالم ، ونشر مفاخر الاسلام ، ومواطن الامم الاسلامية ، ومسارح الثقافة العربية فى خدمة الشعوب التي تفيأت ظلاله ، وكل ما اسداه اليها الحكم الاسلامي من نهضة وتقدم ، ورقي وحضارة ، لان الاسلام بطبيعته ((نور من الله ، وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)) .

والاسلام لا عيب فيه ، ولا ينقصه شيء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجه اليه من تطور وتقدم وحضارة ، ولا زالت اصوله الفكرية والروحية تحمل الى العالم الامن والرخاء والسلام .

والاسلام لاعيب فيه ، ولا ينقصه شيء ن مقومات الحضارة ، بل هو الموجه لأعلى أنواع الحضارات .

فاذا كان هناك انحراف ، واذا كان هناك تخلف ، واذا كان هناك تخاذل ، واذا كانت هناك عيوب ، فهي نتيجة تفكيرنا واعمالنا وسلوكنا نحن المسلمين وليست نتيجة الاسلام .

– والذنب للطرف لا للنجم في الصفر –

وعلينا اذا اردنا ان ناخذ مكاننا من جديد فى قيادة الانسانية ، ونملك زمام الدنيا ، وان نخرج من هذه المؤتمرات بنتائج عملية ايجابية ، ان نعتقد مومنين ما يراه شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال الذي يومن بان المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ، ويملي عليها ارادته ، لانه صاحب الرسالة ، وصاحب العلم ، ولانه المسئول عن العالم وسيره واتجاهه . فليس مقامه مقام الاتباع والتقليد ، ان مقامه مقام الامامة والقيادة ، ومقام الارشاد والتوجيه ومقام الآمر والناهي ، فاذا عصاه المجتمع ، وتنكب عنه الدهر ، وتنكر له الزمان ، وانحرف عن الجادة ، لم يكن له ان يستسلم ، ويضع اوزاره ، ويسالم الدهر ، ويركب فى القناة سنانا ، بل عليه ان يثور ، ويتمرد ، ويتعنت ، ويظل فى صراع معه ، وعراك مستمر مستديم ، حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ....

ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ....



محاضرة جلالة الملك بجامعة القاهرة أثناء الاحتفال بمنحه الدكتوراة الفخرية في الاداب

« عاشت جامعة القاهرة يوما من اخلدايامها حيث ربطت فيه ماضيها بحاضرها، واثبتت فيه انها تقدر دائما العاملين المخلصين من ابناء العروبة ، وتعترف بفضل المناضلين الابطال ، وقادة الامة العربية .

فقد استقبلت الجامعة فى رحابها جلالة ملك المغرب الحسن الثاني وارث سر القائد العربي العظيم الملك الراحل محمد الخامس ، حيث اقامت حفلا تكريميا كبيرا على شرف ضيف الجمهورية العربية المتحدة العظيم جلالة الحسن الثاني ومنحته ديبلوم الدكتورة الفخرية فى الادب تقديرا لجلالته على الجهود التي ما فتيء يبذلها حفظه الله لاشعاع نور الحركة الادبية ،واحياء التراث العربي ، ورعاية الدراسات الاسلامية ، وتقديرا لجلالته على السياسة الرشيدة التي يسلكها لتوثيق عرى التضامن العربي

وكان الطلبة يهتفون بصوت واحد وبشعارات وطنية كانت كلها تفيض ترحابا بالقائد المغربي المظفر ، وتفيض كلها حماسا وغيرة على الوحدة العربية والاخاء العربي

وقبل القاء المحاضرة المألوفة الاعتيادية ، والخطاب التاريخي القيم ، ارتجل حفظه الله كلمة عامرة على الطلبة ، ومما جاء فيها :

« معشر الطلبة ، ان لقاءنا هذا ايقظ في لواعج من الحنين الشديد وذكريات قوية وعميقة ، وانني واقف بينكم ارجع بذكرياتي الى ذلك العهد ، ذلك العهد الحماسي الذي اراد الله سبحانه وتعالى ان يشرف به جيلي ، ذلك العهد الذي كنا فيه فى ءان واحد نسعى الى طلب العلم ونجاهد فى سبيل بلدنا ، وقد ادركنا منذ ذلك اليوم نحن الطلبة فى المغرب ، مثل ما ادركتم انتم الطلبة فى المشرق : ادركنا ان الحياة جهاد مستمر ، وانه كما قال الحكيم العربي « لا حد للكمال ولا نهاية للفضيلة » فلا شك ان جيلنا سوف يطبع تاريخه ، وسوف يطبع وقته ، ولا شك من انه سوف يربي الجيل القادم على احترام الشدات وعلى رفع المشعل، ذلك المشعل المقدس الذي من اجله فى مشارق الارض ومغاربها دفع الثمن غاليا .

وقبل ان القي عليكم المحاضرة المألوفة الاعتيادية اريد ان امنح نفسي حرية ، وهي ان اصيح معكم مثلكم وانا طالب فأقول : عاش طلاب العرب ، عاش طلاب العرب ، عاش طلاب العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين

فخامة رئيس الجمهورية ، سيادة مدير الجامعة، حضرات الاساتذة والعلماء ، اخواني الطلبة .

ان الذاكرة لترتد بنا خمسة اعوام الى الوراء ، يوم جاء والدنا المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه، يوم جاء الى الحرم الجامعي ، ليتسلم فيه شهادة الدكتوراة الفخرية من هذه الجامعة ، التي طار بذكرها الركبان ، وعم اشعاعها القاصي والداني فى مختلف



جلالة الملك يحاضر بجامعة القاهرة اثناء الاحتفال بمنحه الدكتوراة الشرفية فى الآداب

البلدان ، فتكريمكم اليوم لشخص ولده ، وخلفه في جهاده ، سلسلة عرفت فى هذا الحرم ، ومكرمة أثيرت بين هذه الرحاب الشريفة عن الحفيظ الاكرم ، وبالاضافة الى ما يخامرنا فى هذه اللحظة من عواطف المسرة والاعتزاز والافتخار ، فاننا لنشعر شعورا خاصا بما يعبر عنه هذا التكريم ، ويدل عليه هذا التقدير ، فاذا كان من تقاليد هذه الجامعة ان تزكي جهود الوافدين على هذا القطر الحبيب ، ممن عرفوا بطول الباع وضربوا بنوع من الانواع بسهم فى نشر الثقافة ، وتثبيت دعائم العرفان ، فان التزكية التي تحظى بهذا اليوم جهودنا المتواصلة لا تنحصر فى شخصنا ، ولا تقف عند حدود ما اسهمنا بـه باعتبارنا ملكا لقطر شقيق ، فى ميدان المعرفة ومجالس العلم والتثقيف ، بل تشمل المغرب الاقصى بأجمعه ، ذلك الجناح من العالم العربي الذي كان وما يزال شديد الحرص على عروبته وتوثيق الصلة بشؤون الثقافة أيا ما كانت مصادرها وينابيعها ، قوي الرغبة فى الاخذ والعطاء الجميل فى الاستكشاف والاستجلاء ، محمود المسعى فى البذل والسخاء . لقد اعتنق المغاربة الاسلام طوعا واختيارا ، ورضى واستبشارا ؛ اذ حمل اليهم هذا الدين الحنيف من مكارم الاخلاق ، وسليم المبادىء ، وصحيح الاحكام ، وقويم النظم ، ما سعدوا به افرادا وجماعات ، واقبلوا على العربية لغة القرآن ، يتدارسونها ، وعلى فنونها يتعلمونها ، ويعلمونها ، وما لبثوا ان لمسوا ما فيها من المرونة والاقتدار على التعبير عن ادق الصور المادية والخلجات النفسية ، واستمسكوا بها لسانا قويما مبينا فاحبوها حبا مكينا ، ولما وصلت اليهم من المشرق ثقافة الاسلام ، وعلوم العربية ، ومعارف الامم المتقدمة ، استوعبوها واتقنوها وتناولوها بنارئهم وافهامهم فاكملوا ناقصها ، واوضحوا غامضها ، وفصلوا مجملها ، وهذبوا حواشيها ، وزادوا ببحثهم وجدالهم وتخيلهم وافتراسهم فى غناها وثروتها ، لم يكتفوا بذلك ، بل اضفوا عليها من حلتهم ، وطبعوها بطابعهم ، حتى صارت لهم مدارس مذكورة ، ومذاهب مأثورة فى علوم الدين ، وفنون اللغة والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والتاريخ والفنون الشعبية ، وحتى صارت جامعة فاس ومراكش وسبتة ومعاهد الاندلس التي عاشت طيلة عصورها الاسلامية تحت حكم المغرب اي فى كنفه تضاهي جامعات اقطار الشرق العربي ومعاهده ، وهل يمكن ان يذكر اعلام فكرنا العربي وتراثنا الاسلامي دون ان يذكر من بينهم او فى طليعتهم الحافظ الجدلي ابن حزم والمؤرخ ابن خلدون ، والفيلسوف ابن رشد ، والطبيب ابن زهر ، والرياضي ابن البناء ، والجغرافي الادريسي ، والرحالة ابن بطوطة ، والمجازي ، والفساني ، والمفكر ابو حيان والمحدث ابن رشيد ، والفقيه عياض ، ام هل يمكن ذكر العربية وادبها دون ان يذكر : ابن مالك وابن اجروم ، وابن هانيء وابن زيدون ، وابن سبيه وابن المرحل ولسان الدين ابن الخطيب والفتح بن خلكان وابن سعيد وابن بسام والفشتالي والمقري ؛ والغزالي وغيرهم ممن يطول تعدادهم من كل عالم لبيب ، وشاعر اديب وضارب فى مختلف العلوم والفنون بسائر المتن ، على ان العلوم الاسلامية والفنون العربية وان صارت فى الجناح الغربي من العالم العربي ، تلك المدارس التي تعرف بها والطوابع التي تتسم بها لم تنقطع صلتها بالعلماء العرب والمسلمين وفنونهم فى الجناح الشرقي

من العالم العربي بل ظلت جزءا من ترابهم ، وركنا في صرح ثقافتهم ومدنيتهم ، وكانت على بعد الدار ، وسعة المزار ، اداة تأثر وتأثير ، فلم تنفك صلات قوية بين علماء المشرق وعلماء المغرب اذ كانوا يتكاتبون ويتراسلون ويتحاورون ويتشاورون ويستفتي بعضهم بعضا فيما كان يعن من قضايا ، ويعرض من نتائج ، ويتهادون الدواوين ، ويتبادلون المؤلفات ويرحلون من قطر الى قطر للسماع والرواية والاخذ والدراية لا تقف دونهم حدود ، ولا تحول بينهم سدود ولا قيود . وبالاضافة الى ما لهؤلاء العلماء الاجلة الامجاد ، والادباء النوابغ الافذاذ من فضل في الميادين العلمية وايـاد ناصعة بيضاء في المجالات الادبية فان فضلهم في الحقل السياسي وفير ، واثرهم في حفظ الكيان العربي كبير ، ففي الوقت الذي تمزق فيه اديم الامة العربية ، وبليت جدتها ، واستحالت اقطارها الشاسعة ، وممالكها الواسعة ، الى دويلات صغيرة ، وامارات ضيقة متصدعة البنيان متداعية الاركان ، وفي الوقت الذي اضاع فيه العالم العربي سيادته ، وفقد حريته ، ولم يفلت منه من السيطرة الاجنبية غير المملكة المغربية ، اظل هؤلاء العلماء باللسان نفسا ، وابقوا لثقافتهم رمقا ، وكانوا دوما في الطليعة يذودون عن الكيان العربي ويحرصون على مقاومة الكائدين له ، والساعين في تقويضه ، والقضاء عليه ، وانه لحلي لجامعاتنا ومعاهدنا واساتذتنا وعلمائنا ان يضاعفوا الجهود لدراسة اثار هؤلاء العلماء وبعثها من مرقدها واستكشاف ما فيها من نظريات قيمة وءاراء صحيحة راجحة لابراز فضل العرب على المدنية الحديثة وادراك الاسرار التي حفظ بها علماؤها كيان العرب من الانهيار ، ولسانهم من الاندثار ، والاستعانة بها على توثيق العرى الجامعة بين الشعوب العربية وتوجيهها نحو الوحدة المنشودة ، وقد تيسر اليوم من الوسائل العلمية واسباب النشر والاعلان والاتصال ماهو كفيل بتقريب الابعاد ، وتذليل الصعاب ، وتوحيد مناهل العرفان ، وسبل التهذيب والتكوين والتثقيف ، وما هو خليق ببعث الامة العربية من جديد متوازية الخطى ، متناسقة الجهود في هذا المضمار لا اختلاف بين مشرقها ومغربها ولا فرق بين قاصيها ودانيها ، وهذا ما دابنا من جهتنا في المغرب على العمل له والسعي فيه منذ استرجاعنا لحريتنا واستقلالنا بما ننشيء من مدارس ومعاهد ونشيد من كليات وجامعات ونبث من علم وعرفان في مدننا وقرانا ونربط حاضرنا بماضينا ونعد من شبابنا بالاضطلاع بنشر ثقافة امتنا العربية ولمواصلة اداء رسالتها السامية حتى استطعنا ان نحقق في هذا المجال اعمالا جليلة وننجز مشاريع مفيدة ، الا اننا الى جانب ما نقوم به في هذا السبيل كملك لشعب ورئيس لدولة له مسؤوليات وعليه تكاليف نقوم باعتبارنا مواطنا يعتز بانتسابه الى الامة العربية ويشعر بالواجب الذي عليه حيال تراث الاباء والاجداد وابراز محاسن ثقافتنا واظهار عبقرية امتنا وتقريب موارد المعرفة من الراغبين في ورودها والنهل من مناهلها وقد انشأنا لهذا الغرض مطبعة خاصة تنشر نفائس الكتب ، وغرائب المؤلفات ، كما شرعنا في ترتيب كتب الخزائن الملكية ووثائقها ونظمها في سلك مكتبة ستكون في نهاية الصيف المقبل بفضل الله في متناول الباحثين والمثقفين يجدون فيها من التصانيف القيمة والدواوين النادرة المنسوبة الى اشهر العرب والمسلمين وادبائهم ما يضيف الى التراث العلمي العربي ثراء طريفا الى ثرائه التليد ويتحف جوانب لا تزال الى الان غامضة عن عبقرية امتنا ونبوغها .

فخامة رئيس الجمهورية ، سيادة مدير الجامعة حضرات الاساتذة والعلماء ، اخواني الطلبة ، اشكر جزيل الشكر واسناه **مجلس ادارة جامعة القاهرة على تفضله لمنحنا الدكتورة الفخرية في الادب كما نشكر السيد مدير الجامعة على كلمات الترحيب وعبارات** التنويه المشفوعة بالاعتبارات التي حدت مجلس جامعة القاهرة الى اتخاذ هذا القرار والبواعث التي حفزت الى اقامة هذا الحفل التكريمي الذي ستبقى صورته ماثلة في ذهننا عالقة بذكرياتنا وان طالت الايام وامتدت الاعوام ، واذا كان خير الاثار اثر منمي الى العلم ويرتبط بالعرفان فان هذه الشهادة التي نتسلمها اليوم منكم بمزيد المسرة والابتهاج ستحتل مكانا مرموقا بين ذخائرنا وتكون لنا حافزا على مضاعفة الجهود وموالاة الخطى في الميدان الثقافي والعلمي بالقدر الذي نعتقد اننا ارضينا به طموحنا ونعتزم معه اننا حققنا امال السادة العلماء المحترمين الذين طوقوا جيدنا بهذه المنة وصدقنا من الوجهة العلمية والثقافية ما حسنوا فينا من ظنون والله نسأل ان يديم صرح هذه الجامعة سامقا ، وحرمها ءامنا ، ويبقيها مثابة لرواد المعرفة ، وعشاق الثقافة ، كما نساله جل وعلا ان يحفظ امتنا العربية من كل مكروه ، ويقيها كل محظور ، ويجمع كلمتها على الحق ، وياخذ بيدها في ما تنشده من عزة ومناعة ، وسؤدد وكرامة ، الى اهدى صراط ، واقوم سبيل ، والسلام عليكم اصدقائي ورحمة الله .

دراسات إسلامية

توحيد المبادلة التجارية في التشريع الإسلامي

للأستاذ: محمد الطنجي

لعل تبادل الاشياء والمنافع من ظواهر التعاون الاولى بين افراد المجتمع البشري ، سواء بتبادل الناس ذوات الاشياء وممتلكاتهم من غير واسطة الدراهم والنقود ، كمبادلة الماكولات والملبوسات والاراضي والدور وغير ذلك بما يماثلها او يخالفها في جنسها او نوعها ، او تبادلوا المنافع بغيرها من ذوات او منافع ، كجعل صداق البنت مثلا عملا من الاعمال كما حكى الله عن نبيه شعيب حين اراد تزويج بنته من موسى عليهما السلام في قوله : «اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج » ، او كانت مبادلة الاشياء المذكورة تقع بواسطة النقود الذهبية او الفضية او النحاسية او بالاوراق البنكية المصرفية كما وقع في العصور الاخيرة ، حيث صارت كل الاشياء من الذوات والمنافع تقدر بالمال ، وحيث جعل المال قيما لها قال الله تعالى في النهي عن افساد المال وتبذيره : « ولا تاتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قيما » واذا انتقلنا من المبادلة الصغيرة بين افراد المجتمع الى التعاون الاقتصادي بين الامم نجده قائما على التبادل الضخم في المواد الخامة وكميات المصنوعات ومختلف الانتاج الحاصل من الثروة الحيوانية والنباتية والمعدنية .

ومن المعلوم ان لكل امة تشريعات خاصة تتعلق بالتجارة المحلية وبالتصدير والايراد في المبادلات الخارجية من حرية الجلب والبيع او تقييد ذلك كلا او بعضا حسب ما يراه ولاة الامة من مصلحتها ، فما هو التوجيه الصالح الذي يكفل مصالح العمال المنتجين واصحاب المعامل من جهة ومصالح المتاجرين والجالبين من جهة ثانية ، ومصالح المستهلكين من جهة ثالثة . لا يخفى ان العدالة بين الجميع لا تتحقق الا بمراعاة هذه الجهات الثلاث وما روعي جانب واحد دون غيره الا وقع الضرر بالجانب الذي لم تقع مراعاته في الغالب ، حيث ان جل الناس لا يراعون الا مصالح انفسهم . وما كان للشرائع السماوية او القوانين الوضعية ازاء هذه الحاجات الضرورية للمجتمع الا ان تقر هذه المبادلات المشروعة وتدخلها في اطار العدالة العامة وتترك لولاة الامور الذين بيدهم صيانة مصالح الجمهور كيفية السير بها في طريق تراعى فيه الظروف والاحوال ، تسن التشريعات المتممة لحفظ مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم .

والمسلمون يجدون في القرآن العزيز آيات توجههم وجهة صالحة في المعاملات التجارية ، منها الآية التي اشرنا اليها في عنوان هذا الحديث والتي ترسم الخطوط الكبرى في افق العدالة الاعلى للمعاملات العادلة بين المسلمين ، قال الله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ، الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) ، فالنهي في الآية تعلق بالاموال لانها قيم الاشياء والمنافع ، ولا يبعد تعريف المتقدمين للمال عن تقدير المتأخرين ، فقد رسمه ابن العربي بانه ما تتعلق به الاطماع ، ويعتد به الانتفاع ، وقال انه يترتب عليه ان منفعة الرقبة في التجارة مال ومنفعة التعديم في العلم كله مال، اما الباطل فهو ما لم يكن في مقابلة شيء حقيقي يعتد به ، فالنهي يتناول في الآية كل ما يعده الاسلام من الباطل المحرم كحلوان الكاهن لحرمة الكهانة ، ومهر البغي اي اجر الزانية لحرمة الزنى ، وثمن الخمر والخنزير وربح الميسر او القمار لتحريم الاسلام لكل هذه الاشياء وما شابهها كالرشوة وهدية الشفاعة عند الحكام .

اما القسم الثاني مما اشارت اليه الآية الكريمة واخرجته من النهي فهو ما بعد الاستثناء في قوله : « الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » .

وذلك جميع الماكولات والمشروبات الحلال والملبوسات ومنافع السكنى والاجارات .

كما يباح اكل الاموال عن طريق الهدايا والتبرعات والصدقات والوصايا ضمن الحدود التي اقرتها الشريعة الاسلامية، اما ما يقع تناوله عن طريق المعاوضات والتجارات فيجب ان يكون على طريقة عادلة وذلك بمراعات حق المنتجين والمتاجرين والمستهلكين كما اسلفنا .

ومن توجيهات التشريع الاسلامي في هذا الموضوع منع الاحتكار اي حبس السلع عن البيع بعد جمعها من الاسواق حتى ترتفع اثمانها ، ومثل الاحتكار في اللغة الحكرة بضم الحاء وسكون الكاف كما في الحديث الذي رواه الحاكم واحمد عن ابي هريرة من احتكر حكرة يريد ان يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء اي آثم ، وروى الائمة احمد ومسلم وابو داود عن معمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يحتكر الا خاطىء ، وروى الطبراني في الاوسط والكبير عن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من دخل في شيء من اسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة ، والعظم بوزن فقل اي بمكان عظيم من النار .

ومن المعلوم من هذا النص ان من ادخر لأهله قوت سنتهم وكسوتهم لا يسمى محتكرا ، وقد كان النبي نفسه يفعل ذلك ولا مانع منه الا اذا كانت مجاعة بالناس فقد فنيت مؤونة المجاهدين في احدى سرايا الجهاد الا قليلا منها فجمع الصحابة ذلك القليل وصاروا يوزعونه تمرات على كل شخص بانتظام .

وكذلك الشأن في الملبوس ، قال القاضي حسين وهو احد ائمة الاسلام : «اذا كان الناس يحتاجون الثياب ونحوها لشدة البرد او لستر العورة فيكره لمن عنده ذلك امساكه » ، قال السبكي ان اراد كراهة تحريم فظاهر ، وان اراد كراهة تنزيه فبعيد ، وهذا ظاهر في ان السبكي يرى تحريم امساك الثياب الفاضلة عن الحاجة وقت حاجة الناس اليها ، قال الشوكاني صاحب كتاب « نيل الاوطار » والحاصل ان العلة اذا كانت هي الاضرار بالمسلمين لا يحرم الاحتكار الا على وجه يضر بهم ، ويستوي في ذلك القوت وغيره لانهم يتضررون من الجميع .

ثم اذا منع ولاة الامور الاحتكار لانه يضر بالجمهور فهل تحدد الاسعار في جميع مرافق الحياة لان المصلحة العامة تقتضي ذلك ام يترك الناس احرارا في بيع امتعتهم وتحديد اجور اعمالهم وتقدير كراء امكنتهم . ؟ ؟

ظاهر الحديث الصحيح ان الناس يتركون احرارا من غير تسعير او تحديد ، ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال : « غلى السعر على عهد رسول الله فقالوا يا رسول الله لو سعرت فقال : ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، واني لأرجو ان القى الله عز وجل ولا يطلبني احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال ، والى هذا ذهب الجمهور وفي وجه للشافعية جواز التسعير في حالة الغلاء ، وذهب مالك الى جواز التسعير ، فقد يقال ان الحديث يرد على الشافعية في الوجه الذي ذهبوا اليه ، كما يرد على مالك في حالتي الرخاء والغلاء كما قاله ائمة الحديث الا اننا اذا نظرنا الى ما يعترض الحياة البشرية من اطوار اجتماعية تكثر فيها الرأفة بالناس والرفق بالمعاملات احيانا ، فلا يستغل الاغنياء والمتاجرون فيها اضطرار الناس والضعفاء ، وهذا ما نظن الحالة كانت عليه في عهد الرسول لشدة تمسك الناس بتعاليم الدين فيها .

كما تقل الرأفة والرفق في المعاملة احيانا اخرى فتستغل الرأسمالية الخبيثة حاجة الناس وتتكالب عليهم لترضي مطامعها وانانيتها ، وهذا ما نظن ان الحالة كانت عليه بعد ذلك حتى قال الامام مالك بجواز التسعير في حالتي الرخاء والغلاء ، بحيث لو كان النبي عليه السلام حيا وشاهد الرأسمالية تلعب ادوارا خبيثة في المجتمع البشري لشرع لها تشريعا حكيما يحد ويقص من بعض اطماعها وانانيتها ، ولرأى ما تغالت فيه هذه الرأسمالية من باب اكل اموال الناس بالباطل المنهي عنه في كتاب الله العزيز ، ويصح في هذا الموضوع الاستشهاد بالقاعدة الهامة التي نطق بها ذلك الخليفة العادل عمر بن العزيز حيث قال : تحدث للناس اقضية اي احكام بقدر ما احدثوا من الفجور .

واذا رأى العمال انهم مظلومون في عملهم حتى وقع تحديد اجورهم وعملت الحكومة على تحديد كثير من الاسعار في الامور الحيوية كما عملت في وقت الحرب على عدم الزيادة في اكرية محلات السكنى والتجارة واتى عملها في جميع ذلك بفوائد جمة ، افلا يكون من المناسب والاصلح تحديد الحد الاعلى لأثمنة الاشياء بالنسبة للمنتجين في المأكولات والمشروبات والالبسة وكراء البنايات وتحديد الحد الاعلى للربح بالنسبة للمتاجرين في جميع هذه الاشياء ، وتحديد رخص الجلب مع تعيين نوع السلع التي هي امتن واوفق في الثمن من البلدان الخارجية ويستعان على ذلك بما يشير به الملحقون التجاريون لمختلف السفارات المغربية في الخارج بعد الدراسات الوافية التي يقومون بها لمختلف السلع ومقابلة بعضها ببعض في الاماكن المعينة لذلك .

ان هذه الاجراءات هي ما تقضي بها مصلحة الامة العليا وترضاها هذه الامة المغربية المسلمة تحقيقا لقول الله تعالى « الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » والله ولي التوفيق .

الرباط : محمد الطنجي

خواطر وقت ... شيمة (نحو انطلاقة سليمة)

للأستاذ : عبد السلام الهراس

انه تمر بالامم ظروف وفرص مناسبة لتربية الاجيال في محيط ثقافي خلاق ، وفي تلك الظروف تزرع بذور النهضة والحضارة وهناك يتحدد مصير الامة ونوعه . والقادة الواعون هم الذين يحسون بإبان تلك الفرص ، فيبادرون الى بناء الارواح والانفس والعقول ، ويشكلون الطليعة والجماهير في اطار من الفعالية والاندفاع البناء الخالد عن طريق اشاعة ثقافة قومية سليمة تستمد عناصرها من عقيدة الامة ونبع حضارتها الفياض .

ومن سوء حظ بعض الامم انها تبتلى احيانا بقيادات نسجت ثقافتها وافكارها على انوال وبخيوط اجنبية ، ولذا فهي لا تحس بمكامن القوة والاندفاع في كيان امتها وبالتالي تجهل ، الجهل كله مزاج ومشاعر شعوبها ، حتى اذا تهيأت لها فرصة بناء امتها ، اضاعتها بكل بلادة وغرور . وهكذا ، تزداد مشاكل الامة في ظل هذا النوع من القيادات ، وتتعقد ويضطرب سيرها ، فتتهرب هذه القيادات ، الغريبة عن امتها ، من المسؤولية ، وتبتدع « متهمين » عن هذه الاوضاع ، وقد يكون الشعب ، احيانا متهما في نظرها ، تعتقد ذلك مع نفسها وان لم يكن لها الشجاعة لاعلانه ، او قد تندفع ، تحت جنون الحماس او بمقتضى خطة التهريج ، الى الحملة على « الاستعمار » في وقت تكون ، في الحقيقة ، هي المتهمة (بفتح الهاء) . وكم بددت مثل هذه القيادات من فرص عظيمة فرزأت شعوبها في نهضتها وتطورها .

واذا كانت فرص الحمل واللقح تتكرر ، فان فرص اللقح الحضاري قلما تتكرر ، وكذلك تجديد ذلك اللقح . ومن ثم كان ضياع تلك الفرص من اشد انواع الكوارث التي تحل بالامم والشعوب .

وقد ينعم الله على امة ما ، بخصيصة دوام الاستعداد بتجديد نفسها ، وبظهور تلك الفرصة عبر تاريخها ، واستجاباتها السريعة للنهضة واستدراك ما فاتها ، ولعل الامة الاسلامية من هذه الامم ، فهي لم تستنفد بعد ، الاستعداد للنهضة ، واستعادة مكانتها التاريخية ، شرط ان تهيأ لها الظروف والاجواء التي تفجر طاقاتها . ومن المحزن حقا ، ان يكون الاستعمار واعداء الاسلام ادرى بهذه الحقيقة منا ، فيخططون لتخريبنا على ضوء تلك الحقيقة .

وان هذا الاستعداد ليبدو واضحا متوهجا نشيطا في بعض الفترات الخطيرة التي تمر بنا ، ولكننا نهمله او نستفيد منه بمقدار تافه ، دون ان ندرك مدى قيمته ، وذلك ما يسمى بالسفه .

وضياع مثل هذه الفرص للبناء لا يعني بقاءنا نحن فقط بل يعني ، اخطر من ذلك ، تعريضنا لمضاعفات امراضنا الاجتماعية ، عن طريق تأثراتنا للجانب المرضي من المدنية الغربية التي اصبحت تحيط بنا من كل جانب ، وتحاصرنا في كل مجالات حياتنا وتهجم علينا عن طريق الصحافة والتلفزة في عقر بيوتنا .

ان محاولات « اكراهنا » على « نسخ » وتقليد الحضارة الغربية ليدل على الجهل المطبق بأبسط الحقائق الاجتماعية والتاريخية ، ويزيد في نفس الوقت ، في تعقيد المشكلة .

اننا امة في بداية الطريق ، لم نعان ما عانته اوربا من مشاكل ، ولم نعش ما عاشته من تطورات ، ولذا فان المظاهر الاجتماعية التي وصلت اليها عبر تاريخها لا تقبل بحال الانتقال « وحدها » مقطوعة عن تلك السلسلة الطويلة التي اسهمت في اخراجها على هذا النوع . وفرق ايضا بين امة في طريق النمو واخرى قد استنفدت امكاناتها ، وبلغت اوج نضجها ، واصبحت مستعدة للسقوط والتدهور ، وتفجرت في جميع انحائها دعوات الهدم في صور مختلفة من الاستعمار وبعض الفلسفات المنحرفة والموسيقى الصاخبة والرقص الجنسي الجنوني . وليس

من الغريب ان يلتقي الغرب بالشعوب المنحطة في بعض تلك المظاهر الانحطاطية لانه متحدر نحو المصير المحتوم بعد ان وصل الى شوط بعيد في المرحلة الانتقالية من الحضارة الى التدهور .

فانه لما يبعث على الحزن ان نجد شعوبا فتية تحاول ان تتخلص من الاستعمار فلا تكاد تستلم وثيقة استقلالها حتى تفتح قلبها له ، وتعلن في ذات الوقت استسلاما عاما لعاداته واخلاقه ، وتعتنق نظرياته في حل مشاكلها .

ان الرقص الجنسي المتحلل الذي يشاهده المرء في سراديب وحانات بعض بلداننا ليشبه ذلك الذي يشاهده في حانات وسراديب اوربا وامريكا الا ان الفرق بين المظهرين : انه في الغرب نتيجة تطور طويل ، وعندنا قفزة من « انحطاط » الى « انحطاط » دون تطور او مقدمات .

وان القول بأننا في فترة انتقال ، واننا لا بد ان نجرب ، وان هذه المرحلة ضرورية لشعب كان مغلوبا على امره فاصبح يشعر بالحرية — ان هذا القول يدل على سطحية واستهتار بالفكر ، وانه يشبه القول بوجوب تعريض الشخص الى تجربة الموت . كي يستفيد من ذلك ان عاد للحياة . وهنا تحضرني طرفة معبرة : عند ما مثل مجرم خطير امام القضاء وسمع من القاضي الحكم عليه بالاعدام ، قال امام الجميع : ان هذه تجربة تنفعني في المستقبل

نحن امة شابة يجب ان تعيش حياتها لا ان تقلد مدنية قد دبت في جسمها عوامل الشيخوخة ، وتهرأت روحها فاصبحت لعنة على البشرية . ان مدنية تسهم في ابادة الشعوب وتتواضع على استعباد العالم عن طريق القروض « والفنية » وتقسو على الانسان لمجرد انه ملون ، وتتحلل فيها الاسرة تحللا مخيفا ، وترتفع فيها ارقام اجرام الاحداث ونسبة عدد الابناء غير الشرعيين لهي مدنية يجب تطهيرها والاجهاز على الجوانب الفاسدة منها وانقاذ اصحابها من شرورها وامراضها بله الاستسلام لها وتقليد تعفناتها .

اننا في بداية الطريق ويجب علينا ان تكون لدينا القدرة على الاختيار لنختار الطريق الذي يجب ان نسيره . وان الاختيار يفرض علينا بادئ ذي بدء التخطيط الثقافي والبعث الحضاري ، واثارة الاجواء النفسية والروحية لبث مضمون ذلك التخطيط وفلسفته في النفوس والارواح . هذا التخطيط يجب ان يكون منبثقا من ضمير الامة وتاريخها ومثلها اساسا عوامل تفجير طاقاتها الروحية على ضوء تجاربها خلال حياتها . وان كل تخطيط او دعوة تتجاهل هذه الحقيقة وتتخطى هذه البداهة انما « تعوق » سير الامة وتضيع عليها الوقت وتساعد على بلبلتها ، وبالتالي على بقائها دائما في ركب المتخلفين .

ان اهمال الامة وتركها عرضة للتأثيرات الاجنبية ، دون ان تكون لها اية فكرة سليمة عن دينها وحضارتها ، معناه جعلها تواجه مصيرا ككل مصير المآسي .

وان المجتمع الذي كان ينطوي على خصائص الصمود ضد « الخارج » قد اصبح يندثر شيئا فشيئا بمحاسنه ومساوئه ، والمشكلة اليوم اننا امام مجتمع جديد ينشأ في ظروف جديدة ، ليست له حصانة آبائه ، كما انه لا يملك « ايديولوجية » فهو لذلك لا يستطيع الصمود كما لا يقدر على الابداع والتكوين لانه فاقد لعناصر الصمود والابداع معا . ولذلك فاننا مدعوون بالحاح الى التخطيط الثقافي على اساس فكرة هذه الامة والى اغتنام فرصة استعداداتها ...

اننا ان فعلنا ذلك ، سنكون قد اتجهنا نحو انطلاقة مستقيمة .

تطوان : عبد السلام الهراس

— الولد النبيه —

نظر المامون الى ولد له صغير ، وهو ينظر في كتابه

فقال : يابني ، ما كتابك ؟

فقال : بعض ما يشحذ الفطنة ، ويؤنس الوحشة

فقال المامون : الحمد لله الذي رزقني ذرية يرى بعين عقله ، اكثر مما يرى بعين وجهه .

حديث في الحج

للدكتور: جمال الدين الرمادي

لم يكن الحج فريضة مبتدعة في الاسلام انما كان الناس يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ، ويرمون الجمار ، بيد ان الاسلام عند ما اشرق نوره على الاكوان وهدم معاقل الشرك والعدوان وقوض صروح البغي والطغيان . هذب هذه الفريضة ونقاها وطهرها من الرجس والاثم وصفاها ، والغى عبادة الاوثان وتقديس الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني من جوع . ومن عهد ابراهيم الخليل الى عهد الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – والناس يحجون عملا بسنة ابراهيم .

وفي ذلك يقول جل ثناؤه ، وتعالت آلاؤه ، في كتابه العزيز : « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود ، واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميـــق . . . » .

ومن شعائر الحج في الاسلام – السعي . وهـو عبارة عن المشي بين الصفا والمروة سبع مرات ، والصفا هو مكان شبيه بالمصلى في اصل جبل ابي قبيس ويقع جنوب المسجد الحرام على مقربة من ... به المسمى باب الصفا وهو مبدأ السعي . والمروة هي مكان مرتفع كالصفا في الشمال الشرقي كالمسجد الحرام على بعد منه في اصل جبل قعيقعان وهي منتهى السعي ومن الائمة من قال بوجوب السعي ومنهم من قال انه تطوع .

وقد شرع السعي بين الصفا والمروة لما فيه من تجديد الوقوف برحاب الله تعالى . وملازمة اماكن عبادته ، واظهار النشاط فيها والاستمرار عليها والبعد عن مظاهر الكسل والتراخي في القيام بها .

وروى البخاري ومسلم عن الشعبي قال :

« كان صنم بالصفا يدعى اساف - ووثن بالمروة يدعى نائلة . فكان اهل الجاهلية يسعون بينهما . فلما جاء الاسلام رمي بهما وقالوا : انما كان ذلك يصنعه اهل الجاهلية من اجل اوثانهم . فامسكوا عن السعي بينهما . فأنزل الله تعالى في سورة البقرة « ان الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » .

وروى البخاري عن عاصم قال : « قلت لأنس ابن مالك رضي الله عنه « اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة ؟ » قال نعم ، لأنها من شعائر الجاهلية حتى انزل الله : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » الآية .

وكانت العرب في الجاهلية تحرم اربعة اشهر ، وهو الذي كان عليه جمهورهم ، وانما كانت الاشهر المحرمة اربعة ثلاثة سرد . وواحد فرد . لاجل اداء مناسك الحج والعمرة ولذلك لم يسم الله تعالى اشهر الحج في كتابه الكريم ، انما قال تعالى في سورة البقرة « الحج اشهر معلومات » .

وروى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة . وكانوا يسمون « الحمس » وكان سائر العرب يقفون بعرفات . فلما جاء الاسلام امر الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – ان ياتي « عرفات » ثم يقف بها . ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى « ثم افيضوا من حيث افاض الناس » .

وقد اجمع العلماء في الاسلام على ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج . وان من فاته فعليه حج من قابل والهدي في قول اكثرهم لقوله – صلى الله عليه وسلم – « الحج عرفة » واتفقوا على ان الامام يصلي بالناس بمنى يوم التروية . الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصرا الرباعية ثم اذا كان يوم عرفة صلى الامام بالناس الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من

مني الى عرفة . فاذا وصلوا اليها خطب الامام الناس بعد الزوال. ثم جمع بين الظهر والعصر في اول وقت الظهر ــ ووقف حتى تغيب الشمس ، والشرط ان يكون الوقوف بعد الزوال . والسنة ان يمتد الى غروب الشمس . ومن اقتصر على الوقوف والافاضة قبل الزوال لا يعتد بوقوفه . وعرفة كلها موقف الا بطن عرفة.

اما التلبية في الحج فكانت معروفة في الجاهلية . وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون « لبيك لا شريك لك » قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قد قد فيقولون « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت » .

وذكر ابن حجر في الفتح نقلا عن ابن عبد البر قال جماعة من اهل العلم . معنى التلبية اجابة دعوة ابراهيم حين اذن في الناس بالحج . وروى البخاري ومسلم عن مالك عن نافع عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ان تلبية رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك .

وحكى مجاهد انه لما قيل له « واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا . وعلى كل ضامر .» قال : رب كيف اقول ؟ قال قل : يا ايها الناس اجيبوا ربكم ، فصعد جبل ابي قبيس فنادى يا ايها الناس اجيبوا ربكم . فاجابوه . لبيك اللهم لبيك في صلب آبائهم وارحام امهاتهم فكان ذلك اول التلبية ، فمن اجاب منهم مرة حج مرة ، ومن اجاب مرتين حج مرتين ، وعلى هذا يحجون بعدد ما اجابوا ، ومن لم يجب لم يحج .

واتفقوا على ان تلبية الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت بلفظ : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك ، والملك . لا شريك لك . » واختلفوا في الزيادة عليها وفي تبديلها . ويرى بعض الائمة ان التلبية من اركان الحج . ويرى غيره انها ليست من الاركان . ولكن يلزم تاركها دما . وكان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذا اعجبه شيء ، قال : لبيك ان العيش عيش الآخرة .

وكان اهل الجاهلية يتقربون الى الله في الطواف بان يطوف احدهم ويده مقرونة بيد انسان آخر ، بسير او خيط فيسيران في الطواف مقترنين . وروى البخاري عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مر وهو يطوف بالكعبة بانسان قد ربط يده بانسان آخر فقطعه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بيده .

اما الطواف في الاسلام فهو الدوران حول الكعبة سبعة اشواط ويراعى فيه ما يراعى في شروط الصلاة من طهارة وستر عورة ، والطواف ثلاثة انواع : طواف القدوم على البيت ، وطواف الافاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ، وطواف الوداع . والواجب منها الذي يفوت الحج بفواته هو طواف الافاضة . وفي هذا المعنى يقول الله تباركت صفاته : « ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

قال ابن القيم في زاد المعاد « لا خلاف في انه لم يحج ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهي حجة الوداع . ولا خلاف في انها كانت سنة عشر من الهجرة ، والخلاف انما هو في حجة قبل الهجرة .

وتعتبر حجة الوداع من ابرز الحجات في حياة الرسول الكريم ، وفي حياة الاسلام والمسلمين اجمعين .

ففي شهر ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة (مارس 932 م) حج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حجة الوداع وخرج معه للحج خلق عظيم حتى اذا تتابع الحجيج من منى الى عرفات تجلت وحدة الاسلام ظاهرة جلية للعيان اذ هرع المسلمون من كل صوب وحدب لاداء هذه الفريضة ، لا تتوزعهم الاهواء ، ولا تفرقهم الاحقاد ، ولا تشتت شملهم او تبدد جمعهم الضغائن او الحزازات بل تظلهم راية واحدة هي راية الاسلام ، ويغمر قلوبهم ايمان برب واحد ، وهو الله الواحد القهار .

فلا عصبية ولا احزاب ولا تفاخر بالقبائل او الانساب ولا تنافر ولا تناحر . ولا زهو ولا خيلاء بالغنى والامجاد ولا تعلق بعبادة اللات او العزى او غيرهما من الاصنام والاوثان انما المعبود الله وحده . ولا رب لكنانة ولا معبود لهمدان . « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » .

حتى اذا ما زالت الشمس امر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بناقته فرحلت ، فركب حتى اتى بطن الوادي ، وادي عرفة،فوقف واجتمع الناس ليصغوا الى خطبته الخالدة التي استمع اليها التاريخ في هذا اليوم الحافل ، فحفظها ووعاها ورواها عبر السنين .

وبعد ان حمد الله واثنى عليه ، قال : « يا ايها الناس اسمعوا ، قولي فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا .

ايها الناس ، ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن اعمالكم وقد بلغت ، فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس اموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله انه لا رباء ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

ولم ينس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يذكر النساء بالخير في خطبته ، وهو الذي انقذهن من الوأد ، ورفع

منزلة كثيرات فأشركهن في الارث . ونصح الناس ان ياخذوا نصف دينهم من الحميراء — اي عائشة عليها السلام — فقال : « اما بعد ، ايها الناس فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا . لكم عليهن الا يوطئن فراشكم احدا تكرهونه ، وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا . فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

ولم يشأ الرسول الكريم ان يغفل عن تنبيه المسلمين الى ضرورة التعاون والتآزر والتكاتف والتناصر . فقال في خطبته الخالدة :

« فاعقلوا ايها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به . فلن تضلوا ابدا امرا بينا . كتاب الله وسنة رسوله .

ايها الناس :

اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس ، فلا تظلمن انفسكم . اللهم قد بلغت ؟ .. فقال الحاضرون نعم . فقال رسول الله . اللهم اشهد .

تلك هي الوصية الكريمة التي القاها الرسول على المسلمين في حجة الوداع . وهي التي ختم بها الرسول رسالته . فما ان اتم خطابه حتى نزل عن ناقته القصواء . واقام حتى صلى الظهر والعصر ثم ركبها حتى بلغ الصخرات وهناك تلا — عليه السلام — على الناس قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا .. »

وما ان سمعها ابو بكر الصديق حتى فاضت الدموع من عينيه وبكى ، اذ احس ان النبي وقد تمت رسالته ، قد دنا يومه الذي يلقى فيه ربه .

واتم الرسول حجة الوداع .. تلك الفريضة التي هذبها الاسلام .. وخلصها من شوائب الجاهلية الاولى وطهرها من الافك والاثم ، ثم جعلها من دعائم الدين لمن استطاع اليها سبيلا حتى يرث الله الارض وما عليها ومن عليها .

الدكتور جمال الدين الرمادي

الامـــام الزمخشري والشعـوبيـــة

الله احمد على ان جعلني من علمـــاء العربية ، وجبلني على الغضب للعـــرب والعصبية ، وابى لي ان انفرد عن صميمهم وامتاز ، وانضوي الى لفيف الشعوبيـــة وانحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم الا الرشق بألسنة اللاعنين ؛ والمشق بأسنـــة الطاعنيـــن .

حسن الحـــديث يزيدنـــي تعليمـــا

وضجـــرت الا مـــن لقاء محـــدث ❊ حســن الحديث ، يزيدنـــي تعليما

« ابراهيم بن العباس الصولي »



- 2 -

واليوم تبدو حاجة الانسانية الى الاسلام ، وتبدو عالمية الاسلام نفسه ، ذلك ان الاسلام اليوم حين يفتح جبهة جديدة في الفكر الانساني ويغزوه من جديد على هذا النحو ، انما يثبت صلاحيته الحقيقية لحل مشاكل البشرية وليس قادرا اكثر منه على تحقيق هذا الامل للامم الحائرة بعد تجاربها الطويلة خارج نطاقه ، فقد انصرفت الحضارة الحديثة عن المسيحية عند ما عاقتها عن التقدم العلمي ، وبذلك انصرفت عن الدين كله ، وظنت حين واجهت الاسلام انه كالمسيحية سيقف في وجهها وتطلعت اليه من نفس الزاوية ، وحكمت عليه قبل ان تكشف جوهره ، وحملت دعوة التغريب رأي الفكر الغربي في الدين الذي كونته عن طريق مفاهيمها في المسيحية ، محاولة ان تطبقه على الاسلام غير ان الامر يختلف كثيرا ، وامامنا هذه الوثائق التي قدمها نفس الاعلام المثقفين الذين قارنوا بين تجربتهم في الاسلام والاديان الاخرى تعطي الحقيقة ولا شك ان العالم يمر اليوم بازمة اساسية يضطرب لها كيانه كله ، في تهويماته الحائرة بين المذاهب والدعوات والافكار مما يصوره هارولد لاسكي ، حين يقول « منذ قرن مضى كان في مقدور الدين ان يتيح للكثيرين الامل في تعويض ما نالهم من الحياة وذلك في الحياة الاخرى ، اما الآن فقد اطفأ العلم انوار السماء ولا طريق للخلاص الا في ظل الحاضر العاجل . ومنذ قرن مضى رأى الناس بارقة امل في الصناعة الجديدة .

والآن وبالرغم من مزاياها الهائلة يتضح ان الطاقة المادية التي تستطيع ان تشكل الطبيعة لخدمة اغراضنا دون ان يساندها مبدأ ما ، لم يصبح لها اي معنى الا اذا كان لهذه الطاقة هدف معروف ثم التمست في بعض المذاهب الكاملة شيئا يكون دينا او كالدين ، ولم تستطع القومية او الديمقراطية او الفاشية او الماركسية ان تسد في قرن او قرنين سد الدين الذي اشبع العقول والقلوب من قرون وقرون .

وعالجت الحضارة الغربية بعض ازماتها في ميدان علم النفس تحاول ان تسد الثغرة الروحية في بناء الحضارة المادية بعلم يسير على مناهج العلوم التجريبية البحتة ونجح علم النفس حيث تواضع واخفق حين جمع ينشد فلسفة نفسية كاملة او دينا جديدا، واشار في نجاحه واخفاقه الى الضمير الغائب ، الى الدين » .

ويعترف (سيمون وايل) في مقاله البحث عن الجذور بان للعلم الحديث والنظم الاقتصادية والسياسية قد فشلا في الاعتراف بحاجتها الى هدي الله مما اوجد هذه المساويء وهذا التفكك والتشويش والقلق الذي يهيمن افكار اهل الجيل وسلوكهم .

وتقول الكاتبة الفرنسية مدام « سنت بوانت » اتهم المدنية الغربية بانها اقتصرت عن القيام بالمهمة التي تزعم انها القيت على عاتقها في الاجيال الاخيرة اعني المهمة التي ترمي الى نشر تعاليم الانسانية وتعميمها على وجه الارض وتؤدي الى الاتحاد ، قد اراد الغرب ان يوحد العالم ولكن تحت سلطانه ولمصلحته والعالم لا يساس الا بالعدل وبالحب والاخاء وبرد الحقوق الى اهلها ، ولكن الغرب لجأ الى القوة الغاشمة وعبث بالشرائع الدينية وخالف تعاليم المسيح عيسى الذي امر بمحبة الناس اجمعين » .

★ ★ ★

ومن هنا يأتي تقدير المنصفين الغربيين للاسلام كوسيلة لحل الازمة الانسانية العالمية يبدو هذا في كتابات الكثيرين منهم :

1 ــ فبرناردشو يقول « انا على يقين من ان دين محمد سيكون دين اوربا في غد ، كما انه قد اخذ الاوربيون يقبلونه من اليوم وفي القرن التالي سيكون اهل اوربا اكثر معرفة بفائدة اعتقاد محمد في حل مشكلاتهم » .

2 ــ وليون روش في كتابه (30 عاما في الاسلام) يقول: ولقد وجدت في الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا (الاولى) في قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية ، (الثانية) فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق اخذها غصبا اذا امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا .

3 ــ ويقول توينبي : ان الاسلام قد قضى على النزعة العنصرية والصراع الطبقي بتقرير مبدا الاخاء الاسلامي والمساواة المطلقة بين المسلمين ، وعلى الغرب ان ياخذ بهذا المبدا الاسلامي لتنجو المدنية الحالية مما يدب فيها اليوم من عناصر العداء .

(★) ترجمة على ادهم ـــ مجلة المجلة (ديسمبر 1958) .

4 — ويقول اللورد هدلي : لو ندبت لجنة من الانجليز الاكفاء لفحص الدين الصالح لان يتدين به العالم كله لاجمعوا على اختيار الاسلام .

5 — ويقول رينان : وما يدرينا ان يعود العقل الاسلامي الولود والكثير المواهب الى ابداع مدنية ارقى من زميلتها المندثرة ، ان فترات الازدهار والانحطاط مرت على رأس جميع الامم بما فيها اوربا المتعجرفة .

6 — ويقول هورتن الالماني : لا تجد في الاسلام سدا يمنع من نفوذ الثقافة الغربية اليه بل نرى ان له استعدادا بقبول الثقافة لاحد له .

7 — ويقول احد كتاب الغرب المنصفين ان العرب اول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

8 — وقد صور هذا المعنى الفيلسوف سبنسر في حديثه مع الشيخ محمد عبده حيث قال : محى الحق من عقول اهل اوربا ، واستحوذت عليهم الافكار المادية فذهبت الفضيلة وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين اولا ، فافسدت الاخلاق واضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانجليز ، وقال انني اتهم المدنية الغربية بانها قصرت عن القيام بالمهمة التي تزعم انها القيت على عاتقها في الاجيال الاخيرة . (*)

وهكذا يكشف الفكر الاسلامي عن حقيقتين كبيرتين :

اولا : « عالمية الاسلام » وانه ليس دينا فقط بل دين وثقافة وحضارة ومجتمع .

ثانيا : حاجة الحضارة القائمة اليه وحاجة الانسانية لحل معضلاتهـــا .

* * *

بقي ان ننظر الى الاسلام نفسه وموقفنا في العالم الاسلامي منـــــه .

فنحن اشد ما نكون حاجة الى ان نؤمن به ونثق بحاجتنا نحن اولا اليه باعتباره المصدر الحقيقي لثقافتنــا ، والاساس الاكبر لمقوماتنا الفكرية والروحية ، وعنده نجد القوة لمواجهة كل الاعاصير وحل كل مشاكلها ، ومقاومة كل التحديات .

وجوستاف لوبون (*) في حديث له مع مصري يدعـى « توفيق يزدي » زاره سنة 1911 في منزله بشارع افينو بباريس يكشف هذه الحقيقة ويجاهر بها حيث قال :

ان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ، وتمسكه بالعقائد الباطلة ، فان قوة الدين قوة ادبية لا يستهان بها ، ومن الواجب عليكم ان تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وان تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية وعلى الطلاب الذين يأتون اوربا ان يجنوا من العلوم والفنون والافكار ما ينفع اوطانهم ويوافق اخلاقهم ، ان الشعب الذي يريد الرقـــي يجب الا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه » .

ونفس هذا المعنى يردده المستشرق (وامبري) حيث يقول : ان روح نظام المسلمين هـو « الديـن » ، والذي احياهم هـو « الدين » ، والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو « الدين » ليس الا » ..

والذي لا شك فيه ان الاسلام استطاع ان يقاوم كل مـا وجه اليه من تحديات ، وانه قد خطا خطوة واسعة منذ استطاع ان ينفذ بروحه القوية الى الفكر الانساني فيكسب انصارا خارج العالم الاسلامي لا يعرفون العربية ولا يقرأون القرآن بها وهذه آية عظمته ، وقد اعترف له الجميع بانه لن يسقط امام الحملات العنيفة التي يشنها الاستعمار والنفوذ الغربي عليه وقد سجل ذلك الدكتور كريستيا سنوك هرجرنج الهولندي عام 1913 عند ما كان الاسلام يمر باقسى فترات التحدي والتعصب والمقاومة حين قال : « لا اعتقد ابدا ان الاسلام يسقط امام النصرانية او الغرب وقد تغلغلت الاقطار الاوربية في بلاد المسلمين ، ولكن لم يجد منها الشعور الاوربي مركزا ، لهـذا اتجـرأ على القـول بان المسلمين سيستمرون على دينهم وكلما عشت بين المسلمين ازددت اعتقادا بان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها ولا يمكن ان يقع انحطاط تدريجي في الاسلام لانه لا توجـد بواعث خارجية تمنعه ، فالاسلام قوي ولم يضعف » (*)

وبعد : ففي يقيني ان هذه الصفحات قد كشفت حقائـق واضحة عن الاسلام ، لم يكتبها المسلمون ، وانما كتبها مثقفون من الغرب والشرق من خارج نطاق العالم الاسلامي اتيح لهم ان يتصلوا بالاسلام قراءة او زيارة ومن خلال ركام ضخم من حملات التعصب على الاسلام اكتشفوا الحقيقة ، واستطاع الاسلام بقوته الذاتية ان يواجه نفوسا متطلعة الى الحقيقة ، فعرفته وآمنت به وآمنت بعالميته ، وحاجة الانسانية اليه .

وهكذا استطاع الاسلام ان يغزو الفكر الانساني مـرة اخرى وان يحقق له تيارا قويا هو مقدمة اكيدة لتقدم خطير في مجال الايمان به ازاء ازمة البشرية الضخمة التي تواجهها الآن وما اصاب الانسان في العالم كله من قلق واضطراب وتقلب بين المذاهب والدعوات والنظم .

ولا سبيل له الى حل مشاكله والوصول الى الطمأنينـــة الفكرية والنفسية الحق الا عن طريق واحد هو :

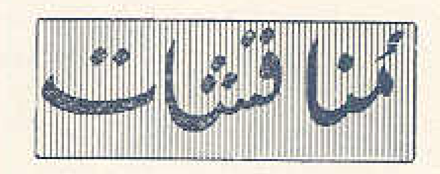
« الاســـــــلام » .

القاهرة : انور الجندي

(*) موسوعة الحديقة لمحب الدين الخطيب م 3 ص 152 .

(*) مجلة رمسيس السنة الثالثة ص 619 .

(*) 17 ج 3 المنار ص 212 .



نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 4 -

التدين والالحاد في أوربا وامريكا

من الامور التي شاعت وذاعت عند ادعياء الثقافة والمعرفة والتجديد والعصرية وانتقلت منهم الى عامة الناس ان الاوربيين والامريكيين ، وخصوصا الولايات المتحدة ، التي تساوي اوربا في الرقي او تفوقها ، قد تركوا دينهم ونبذوه نبذ النواة ، او نبذ الحذاء المرقع بعد حصول الجديد ، كما يقول الحريري ، قالوا : وبذلك تمكنوا من ادراك العلوم الكونية وتسخيرها في مصالحهم السلمية والحربية وقطعوا شأوا بعيدا في المدنية والحضارة ، وتركوا الامم المتخلفة بسبب تمسكها بالدين ، وما يسمونه بالتقاليد العتيقة ، تركوها تغط في نوم ثقيل وتتخبط في جهالة عمياء ، وزعموا كما يزعم ريني الجبشي ان هذه الشعوب لا تنهض ولا تحيى وتسير في طريق الرقي الا اذا تركت الدين . وانا لا أتعجب من الذين يسمعون هذه الدعاية الاستعمارية الروحية فيتلقونها بالقبول والتصديق مثل ما اتعجب من الزرق المتعلمين في جامعات اوربا وامريكا من العرب وسواهم من الاسيويين والافريقيين الذين يرون هذه الدعاية ولا يكذبونها ، بل قد يشجعونها (وقد ، هنا للتحقيق) ويتبنونها بأنفسهم ، فاما ان يكونوا قد ذهبوا الى اوربا وامريكا واشتغلوا باللهو والعبث والحصول على الشهادات ، ولم يهمهم شيء من احوال سكان تلك البلاد فلم يطلعوا عليها ، واما ان يكونوا قد اطلعوا على الحقيقة وكتموها واخبروا بخلافها تدليسا وغشا لشعوبهم ، فهما خطتا خسف لا خير فيهما لمختار .

ومنذ اقمت في اوربا وخالطت اهلها ، اي منذ ما يزيد على ثلاثين سنة علمت علم اليقين ان الاوربيين متمسكون بدينهم، وكثيرا ما يبلغ بهم هذا التمسك الى حد الغلو والتعصب . وقد شاهدت من ذلك حوادث عجيبة ، لست الآن بصدد ذكرها ، ولكن مناقشتي لريني الجبشي وشيعته من معاول الهدم والتخريب اوحت الي بفكرة جديدة ، وهي ان اعمد الى سفارات الدول الاوربية والامريكية التي بلغت اعلى مستوى في الحضارة فأوجه اليها سؤالا عن عدد المتدينين وعدد الملحدين من سكان بلدانهم . وقد حصلت الآن على جوابين رسميين من سفارتين لدولتين في مقدمة الدول الراقية . وهما سفارة الولايات المتحدة بالرباط وسفارة الجمهورية الاتحادية الالمانية في الرباط عاصمة المغرب. وقد ترجمت الجوابين باللغة العربية ، واصلهما محفوظ باللغة الاصلية . فدونكم ايها القراء الاعزاء جواب سفارة الولايات المتحدة الامريكية .

جواب مكتب الاستعلامات بالسفارة الامريكية بالرباط في 25 نونبر 1964 .

عزيزي البروفسور الدكتور تقي الدين الهلالي .

ارجو من فضلكم المعذرة في تأخير الجواب عن سؤالكم المتعلق بالحياة الدينية في الولايات المتحدة ، فان هناك امورا مستعجلة منعتني من مراجعة الاحصاء الذي التمستم معرفته .

تفضلوا فانظروا في الاحصاء اسفله تجدوا العدد الذي تهمكم معرفته .

مجموع عدد الاشخاص الذين اعلنوا عدم انتسابهم لاي دين في احصاء سنة 1960 ثلاثة ملايين ومائة وخمسة وتسعون الفا (3 195 000) من مجموع السكان البالغ عددهم مائة وتسعين (190) مليونا . والعدد الاكبر من هؤلاء ، هم بلا شك من المتوقفين اللا ادريين ، او غير المتمسكين بالمسيحية تمسكا عمليا، لا من الملحدين المنكرين (لوجود الباري) .

المخلص مالكولم ماكونيل مساعد ملحق الشؤون الثقافية.

فاذا كان العلم والتقدم في المدنية لا يكون الا بترك الدين، كما يزعم الافاكون ، كان ينبغي ان يكون عدد المتدينين في الولايات المتحدة الامريكية قليلا جدا ، وقد رأيتم ان عدد الذين لا ينتسبون الى الدين لا يزيد على واحد ونصف في المائة

تقريبا . واكثر هؤلاء ليسوا ملحدين منكرين لوجود الله ورسله ، ولكنهم مهملون ومتكاسلون ، فهذا الاحصاء الرسمي يكذب مزاعم ادعياء التجديد ويأتي على بنيانهم من القواعد فينهار بهم في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

جواب السفارة الالمانية

وقد طلبت من السفارة الالمانية بالرباط ان تخبرني بعدد الملحدين من سكانها ، فجاءني الجواب التالي ، وهذه ترجمته : سفارة الجمهورية الالمانية بالرباط . في 11 فبراير 1965 .

سيدي الاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي مكناس . جوابا عن طلبكم ، لي الشرف ان اخبركم انقله بالاحصاء الاخير فيما يتعلق باعداد الاقليات الدينية المختلفة في الجمهورية الاتحادية الالمانية .

1 ـ المسيحيون البروتستانتيون : 51،13 = 28.725.600
ثمانية وعشرون مليونا وسبعمائة وخمسة وعشرون الفا وستمائة وواحد وخمسون فاصلة ثلاثة عشر في المائة .

2 ـ المسيحيون الكاثوليكيون : 44،12 = 24.786.100
اربعة وعشرون مليونا وسبعمائة وستة وثمانون الفا ومائة واربعة واربعون فاصلة اثنا عشر في المائة .

3 ـ اليهود : 0،04 = 22.700

اثنان وعشرون الفا وسبعمائة وصفر فاصلة صفر اربعة في المائة .

4 ـ المسلمون واهل اديان اخرى : 4،05 = 2.272.100
مليونان ومائتان واثنان وسبعون الفا ، واربعة فاصلة صفر خمسة في المائـة .

5 ـ الملحدون الذين لا ينتمون الى اي دين ، اما اهمالا وتهاونا ، واما ادعاء انهم احرار الفكر : 0،66 = 368.400
ثلاثمائة وثمانية وستون الفا ، واربعمائة وصفر فاصلة ستة وستون في المائة .

هذا على مقتضى الاحصاء السنوي الثابت في مكتب الاحصاء الاتحادي لسنة 1964 . هذا وارجو ان تكونوا دائما بصحة طيبة وثقوا ياسيدي الاستاذ بمشاعري الطيبة نحوكم .

« فستر نك سكرتير السفارة الاول »

فانت ترى ان الملحدين في الشعب الالماني الاتحادي اقل من واحد في المائة . وهؤلاء الملحدون ليسوا كلهم ينكرون وجود الله ورسله ، بل بعضهم لا يعترف بالكنيسة ولا يريد ان يخضع لها ويؤدي الضريبة الدينية الشهرية ولا يتزوج الا باذنها ، ولا يطلق الا باذنها ، ولا يدفن الميت الا باذنها ، فلذلك حرمتهم وكفرتهم .

اما القسم الآخر فيزعمون انهم احرار الفكر وينكرون الدين كله . ومجموع الطائفتين لم يبلغ واحدا في المائة . فأين ما يدعيه ادعياء التجديد ؟ ومن اين جاءتهم هذه العلوم ، بل الجهول التي علموا بها ان الدين ينافي الرقي والتقدم ، وان الانحلال من جميع القيود الاخلاقية والاباحية والفوضى والتخنث والجبن والعبودية لداعي الشهوات وموت الارادة التي تكبح عن ارتكاب الدنايا ، وما اشبه ذلك من مساوىء الاخلاق ، هو الوسيلة الوحيدة للتقدم والرقي . فهذه الامم التي بلغت اوج المدنية والعلم والتقدم وذاقت ثمرة ذلك وسعدت شعوبها به متمسكة بدينها اشد التمسك ، ولم يمنعها ذلك من احراز ما احرزته من المراتب العالية والحياة السعيدة والعيش الرغد . وسأستمر في هذه الطريقة ان شاء الله من توجيه الاسئلة الى سفارات الدول الديمقراطية الحرة التي بلغت الغاية القصوى في العلم والحضارة . اما الدول التي تفضل الحكم الدكتاتوري الاستبدادي فسأؤخر الكلام عليها الى حينه المناسب ، ولا اترك لربيبي الحبشي وامثاله متعلقا يتعلقون به ، ولا ملجأ يلتجئون اليه فيفتضح امرهم ويظهر مكرهم وينكشف دسهم . قال الله تعالى في سورة الانبياء 18 (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) .

« اقوال الفلاسفة المتقدمين والمتاخرين وآراؤهم في وجود الباري عز وجل وفي تدبيره للعوالم كلها » .

يقول محمد تقي الدين سأذكر المصادر في آخر ما انقله من كلام الفلاسفة . قال العلامة الاستاذ محمد فريد وجدي في دائرة المعارف له :

ولما كان الانسان لا يقف من معقولاته عند حد تطرف بعض افراده من الفلاسفة والمفكرين فانكروا وجود الخالق ، وزعموا ان الكون قديم ، وان ليس فيه غير المادة ونواميسها الازلية الابدية ، وسرت تعاليمهم الى بعض الجهال فالحدوا بالله واستبيح الحادهم خروجا على نظام الخليقة ، وتعديا على حقوق الغير ، فتصدى الفلاسفة قديما وحديثا للرد على هؤلاء الملحدين . ولا بد لنا من ايراد الكثير مما قالوه في هذا الكتاب ليكون مرجعا يرجع اليه من يريد استعراض مواهب الحكماء في في هذا الامر الجدير بالعناية والنظر ، ثم نتبع ذلك بمذهبنا الخاص في هذا الباب ان شاء الله . ونحن قبل ان نخوض لجة هذا البحث الخطير نأتي على كلمات لكبار الفلاسفة في هذا الصدد فنقول . قال الفيلسوف اليوناني ايكتيت :

(العقيدة بالله يجب ان تكون مستمرة كاستمرار التنفس) وقال الفيلسوف باسكال (الخالق كرة لا نهاية لها ، مركزها

في كل مكان ، ومحيطها ليس له مكان) وقال هو ايضا (كل شيء غير الله لا يشتي لنا غليلا) وقال شاتو بريان (لم يتجرأ على نكران الله غير الانسان) وقال لامنيه (الكلمة التي تجحد الخالق تحرق شفة المتلفظ بها) وقال هو ايضا (البحث عن شيء خارج عن الله هو البحث عن العدم المحض) وقال لوكوردير (الله هو الشمس الوحيدة التي تمد اشعتها الخالدة الموجودات) وقال فيو (الله عليم بكل شيء ، متصرف في كل شيء ، ومدبر لكل شيء ، ادارة الرب المطلق السلطة) وقال جوردان (الله هو الناموس الأزلي الثابت الذي تستمد منه الكائنات وجودها وترقيها) وقال هو ايضا (الله هو كل ما هوموجود) وقال كوتيه (الجمال في حقيقة ، معناه هو الله .

وفي دائرة معارف القرن التاسع عشر قال العلامة الاقتصادي برودون (الله هو الكائن الذي لا يدرك ولا يوصف، ومع هذا فهو ضروري) وكقوله (ان ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل ان تكشفه لنا عقولنا) ونقلت عنه ايضا قوله (اني لا اعرف الها ، لان ذلك من الامور الغامضة ، وقال (كل من يكلمني عن الله ، انما يقصدني في دراهمي او حريتي) ونقلت عنه دائرة المعارف ما هو اشد في الالحاد مما يدل ظاهره على ان الرجل شديد العداء لهذه العقيدة ، فلما انتشر هذا الجزء الذي يشمل لفظة (الله) ورأى اقواله ممثلة فيه كتب الى لجنة تحرير الدائرة يخبرها ، انه ليس ملحد بالله كما تدل عليه بعض الفاظه ، وانما هو يقصد ان رجال الدين يتخذون العقائد احابيل لصيد حطام الدنيا واستغلال عقول البسطاء ، فوافق ذلك ما روى عنه من العبارات المفيدة لايمانه) .

وقال لامارتين ان (ضميرا خاليا من الله كالمحكمة الخالية من القاضي) ، وقال بيلوتان (الله هو الحياة العامة ، فهي الاصل والمرجع لكل حياة) وقال توريه (الله كل شيء ، وكل شيء هو الله)

بعد هذا يحسن ان نورد براهين اشهر الفلاسفة اقدمين ومحدثين على وجود الخالق ثم نتبعها برأينا الخاص فنقول : (براهين سقراط) سقراط فيلسوف يوناني كان عائشا قبل عيسى عليه السلام بنحو اربعة قرون . قال المسيو بوشيت في كتابه المسمى (التذكرة في تاريخ البراهين على وجود الخالق) قال : ان اعتقاد الافراد والنوع الانساني باسره في الخالق ، اعتقادا اضطراريا ، قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده . ومهما جهد الانسان بذاكرته في تاريخ طفوليته (كذا) . فلا يستطيع ان يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التي نشأت صامتة ، وصار لها اكبر الآثار في حياته . فقد حدثت هذه العقيدة في انفسنا ككل المدركات الرئيسية على غير علم منا . ولا شك انها تحت تأثير الاغاني الاموية (كذا) والدروس التهذيبية الاولى قد نمت تدريجيا ، وزادت نموا في ادوار الحياة ، سواء بالدرس والبحث او بالتغييرات التي تحدثها الاحوال على ارق عواطفنا . وكل ما يحدث في طفولة الانسان يحدث نظيره بالضبط في طفولة الامم ، سواء اعتبرنا ذلك في اول الخليقة او درسناها في الازمنة القريبة منا حيث تجتمع قبائل وثنية ذات تقاليد خرافية على ديانة جديدة . ففي الحالة الاولى يرينا التاريخ الناس حاملين عقيدة فطرية على وجود قدرة خالقة وحافظة للعالم ، وحاكمة بين الناس بالعدل ، تكافيء على الحسنة والسيئة ، سواء في هذه الدنيا او في الحياة المستقبلة .

في هذا الدور لم تظهر الشكوك باي مظهر من مظاهرها ، وعلى ذلك لم تك من حاجة تدعو الى ظهور البراهين المثبتة لوجود الله . وفي الدور الثاني ، لم تظهر الحاجة ايضا الى الاستدلال على وجود الخالق بالبرهان والعقل والفكر . والرجال الذين يتصدون لنشر هذه العقيدة جعلوها ارقى من ان يجادل فيها وايدوا دعاويهم باحداث المعجزات او بالانتصارات الباهرة .

من هذا القبيل كان في الازمنة المتقدمة زوروواستر وموسى ومشرعو المصريين القدماء الخ . وقريبا منا عيسى ومحمد . ففي المسألة الخاصة التي تشغلنا اليوم لم تستفد البراهين على وجود الله شيئا من زوروواستر ولا من موسى ولا من عيسى ولا من مشرعي المصريين . فقد اكتفى الجميع باعلانهم انهم رسل الله الى خلقه . وقد خلفهم عيسى ناهجا خطة الاسرائيلية (كذا) فقرر عقيدة وجود الخالق تقريره لامره لانزاع ، ولا يصح النزاع فيه . ولم يشك لحظة في ان هذه العقيدة يقول بها جميع الذين ارسل اليهم على السواء . اما محمد فقد بنى العقيدة بوجود الله ووحدانيته على انقاض العقيدة المشوشة بتعدد الآلهة التي كان يدين بها العرب ، والتي اخذ على عهدته مكافحتها ، ولكنه في مواعظه المختلفة لم يظهر بمظهر من يريد ان يعطي على هذه المسألة البرهان الدقيق . تقرر الحقيقة وطالب بالاعتقاد بها ، وامر منها بما امر ، وفرض فيها ما فرض ، ولم يظهر منه او لم يكد يظهر منه انه مال لسد حاجة العقل منها بطريق منطقي او جدلي . انتهى كلام المسيو بوشيت .

التعليق على كلام بوشيت

يقول كاتب هذا المقال محمد تقي الدين : يفهم من كلام العالم بوشيت ان الانبياء والرسل الذين جاءوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم يقيموا دليلا على وجود الله وربوبيته ، ولا على توحيده في الهيته ، وانما قرروا الحقيقة دون ان يقيموا عليها برهانا . اما محمد (ص) فقد اقام البرهان على توحيد الالهية والعبادة ، ولم يقم دليلا على وجود الله وربوبيته بالطريق المنطقي . وانا اقول ، ان القرآن قد اقام البرهان المنطقي على وجود الله وربوبيته لكل من سواه . قال الخازن في قوله تعالى في سورة الطور 35 ــ 36 (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون .

ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) قال ابن عباس، من غير رب خالق . والمعنى ام خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق ، وذلك مما لا يجوز ان يكون ، لان تعلق الخالق بالخالق من ضرورة الاسم، فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (ام هم الخالقون) اي لأنفسهم ، وذلك في البطلان اشد ، لان ما لا وجود له كيف يخلق ، فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه .

وقال البيضاوي : ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر، فلذلك لا يعبدونه .

وقال محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره لهذه الآية . « الم تر الى الذي حاج » البقرة 258 ، اي جادل (ابراهيم في ربه) كيف اخرجه الطاغوت من نور نسبة الاحياء والاماتة الى ربه الى ظلمات نسبتهما الى نفسه (ان اتاه الله الملك) اي لان آتاه الله ، يعني ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك ، او حاجة لاجله . وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه الشكر . كما يقال : عاداني فلان ، لأني احسنت اليه . تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ، ونحوه قوله تعالى في سورة الواقعة 82 (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) .

قال الحرالي : وفي اشعاره ان الملك بلاء وفتنة على من اوتيه . (اذ قال ابراهيم) حين سأله من ربك الذي تدعونا اليه (ربي الذي يحيي ويميت) اي بنفخ الروح في الجسم واخراجها منه (قال انا احيي واميت) اي بالقتل والعفو عنه . ولما سلك الطاغية مسلك التلبيس والتمويه على الرعاع ، وكان بطلان جوابه من الجلاء والظهور ، بحيث لا يخفى على احد ، والتصدي لابطاله من قبيل السعي في تحصيل الحاصل ، انتقل ابراهيم عليه السلام ، ارسالا لعنان المناظرة معه ، الى حجة اخرى لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للطاغية ان يخرج عنها بمخرج مكابرة او مشاغبة او تلبيس على العوام . وهو ما قصه تعالى بقوله (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) اي اذا كنت كما تدعي من انك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته . فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فان كنت الها ــ كما ادعيت ــ فأت بها من المغرب (فبهت الذي كفر) تحير ودهش وغلب بالحجة ، لما علم عجزه وانقطاعه ، وانه لا يقدر عن المكابرة في هذا المقام (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي لا يلهمهم حجة ولا برهانا . بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . انتهى

وقال تعالى في سورة الانعام 76 ــ 79 (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما افل قال لا احب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا اكبر ، فلما افلت ، قال يا قوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين . »

قال القاسمي في تفسير هذه الآيات : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) قال المهايمي : لما رأى ــ يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام ــ الملكوت ، وايقن ان شيئا منها لا يصلح للالهية، اراد الرد على قومه في اعتقاد الاهيتها لخستها ، باعتبار افتقارها في افعالها الى اجسام لها دناءة الافول وان كانت علوية ، وكذا في اعتقاد الاهية تلك الاجسام ، كما رد عليهم في اعتقاد الاهية الاصنام ، فلتظهر ظهور الكواكب التي كانوا يعبدونها . انتهى

وبالجملة ، فالآية بيان لكيفية استدلاله عليه الصلاة والسلام ، ووصوله الى رتبة الايقان . ومعنى (جن عليه الليل) ستره بظلامه . و (الكوكب) قيل ، الزهرة ، وقيل ، المشتري.

اقول ، (الكوكب) لغة ، النجم . قال الزبيدي في شرح القاموس : وكونه علما بالغلبة على الزهرة غير معتد به ، وانما هي الكوكبة بالهاء . انتهى .

قال الزمخشري : كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم ، وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ، ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الاها، لقيام دليل الحدوث فيها ، وان وراءها محدثا احدثها ، وصانعا صنعها ، ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها . وقول ابراهيم لقومه (هذا ربي) ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم اولا ، ثم ابطال قولهم بالاستدلال ، لانه اقرب لرجوع الخصم .

قال الزمخشري : قول ابراهيم ذلك ، هو قول من ينصف خصمه ، مع علمه بانه مبطل . يحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لان ذلك ادعى الى الحق ، وانجى من الشغب . ثم يكر عليه بعد حكايته ، فيبطله بالحجة .

(فلما افل) اي غاب (قال لا احب الآفلين) اي لا احب عبادة من كان كذلك ، فان الافول دناءة تنافي الالهية ، بل تمنع من الميل الى صاحبها ، فضلا عن اتخاذه الها او معبودا، فضلا عما يفتقر اليه .

(فلما رأى القمر بازغا) اي طالعا منتشر الضوء (قال هذا ربي) على الاسلوب المتقدم (فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) فان ما رأيته لا يليق بالالهية لدناءته بمحوه .

قال الزمخشري : وفيه تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الاها ، وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال ، وان الهداية الى الحق بتوفيق الله تعالى ولطفه .

وفي (الانتصاف) : التعريض بضلالهم ثانيا اصرح واقوى من قوله اولا (لا احب الآفلين) وانما ترقى الى ذلك ، لان الخصوم قد اقامت عليه ، بالاستدلال الاول ، حجة فأنسوا بالقدح في معتقدهم ، ولو قيل هذا في الاول فلعلهم كانوا ينفرون ، ولا يصغون الى الاستدلال . فما عرض صلوات الله عليه بانهم في ضلالة، الا بعد ان وثق باصغائهم الى تمام المقصود، واستماعهم الى آخره . والدليل على ذلك انه ترقى في النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم ، والتقريع بانهم على شرك حين تم قيام الحجة ، وتبلج الحق ، وبلغ من الظهور غاية المقصود .

وقوله تعالى (هذا اكبر) اي اكبر الكواكب جرما ، واعظمها قوة ، فهو اولى بالالهية . وفيه تأكيد لما رامه عليه الصلاة والسلام من اظهار النصفة ، مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ، ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر .

(فلما افلت قال) صادعا بالحق (يا قوم اني بريء مما تشركون) اي من الاجرام المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى، او من اشراككم .

(اني وجهت وجهي) اي وجه قلبي وروحي في المحبة والعبادة ، بل جعلته مسلما (للذي فطر السموات والارض حنيفا) اي مائلا عن الاديان الباطلة ، والعقائد الزائغة ، (وما انا من المشركين) .

ثم قال ، قال الرازي : تدل هذه الآية على ان الدين يجب ان يكون مبنيا على الدليل لا على التقليد ، والا لم يكن لهذا الاستدلال فائدة البتة .

وقال تعالى في سورة الاعراف 54 (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين)

تلخيص واستدلال

لو اردت ان اورد من مثل هذه البراهين القرآنية شيئا كثيرا جدا لفعلت ، ولكني اقتصر على هذه النقول الاربعة واوضح وجه الاستدلال على الطريق الجدلي ليعلم من يقرأ كلام بوشيت ان القرآن لم يهمل الاستدلال على وجود الله تعالى ، وعلى كونه الخالق المهيمن على خلقه المدبر لجميع شؤونهم .

1 ــ آية الطور ، تقدم ان حبر الامة عبد الله بن عباس فسرها بقوله (ام خلقوا من غير رب خالق ، والاستفهام هنا انكاري ، فهو نفي لان تكون هذه العوالم المحكمة الصنع المتقنة وجدت من غير موجد يتصف بالربوبية ، وهي القدرة على التربية .

قال البيضاوي : الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا انتهى . وهذا هو الاستدلال بالمصنوعات الكاملة على الصانع الكامل . وقوله سبحانه (ام هم الخالقون) ينفي كون المصنوعات قادرة على صنع نفسها ، فضلا عن غيرها لما سبقها ويلحقها من العدم ، ولما يلازمها من التغير الذي اثبت لها جواز الوجود ونفى عنها وجوبه . وبهذا البرهان استدل جميع الحكماء على وجود الله تعالى واتصافه بصفات الكمال ، كما سترى ذلك صريحا في اقوالهم التي ننقلها بعد ان شاء الله .

2 ــ قصة ابراهيم مع نمرود ملك العراق ، فقول ابراهيم له في محاجته (ربي الذي يحيي ويميت) معناه ، الذي اوجدني واوجدك واوجد جميع العالمين ، ورباهم بقدرته ونعمته ان بلغهم كمالهم وحفظه عليهم ، وهو المتصرف فيهم بالاحياء والاماتة ، واظهار الشمس واخفائها ، ومثلها جميع الطوالع . وكل ما سواه مصنوع فان ، ويستحيل ان يوجد شيء منه بدون صانع ، او ان يقوم بنفسه ويدبر شأنه . وهذه حجة الفلاسفة بعينها بطريق اللزوم ، وهو فيما يقول علماء البلاغة ابلغ من دلالة التصريح .

3 ــ استدلال ابراهيم واحتجاجه على قومه بطريق لطيف لانهم كانوا عبادا للاجرام السماوية ، فبدأ باصغرها في عين الرائي واقلها ضوءا وهو الكوكب ، وقال على سبيل الفرض ايناسا للخصوم ودفعا لهم الى الامام (هذا ربي) فلما تغير النجم بالافول والاختفاء قال ، هذا لا يصلح ان يكون ربا ، اي صانعا ومدبرا ، لانه مصنوع ومدبر بفتح الباء . فلما طلع القمر وهو اعظم حجما وضوءا في اعين الناظرين قال مثل ذلك ، فلما تغير بالافول وظهر انه مصنوع ومسير قال ، لا يصلح ان يكون ربا . فلما طلعت الشمس التي هي اعظم ضوءا وحجما ، فضلا عما تعطيه من الحرارة والحياة باذن الله لما ينبغها قال مثل ذلك ، فلما اختفت وتغيرت قامت حجته عليهم فقال ، يا قوم ، اني بريء مما تعبدون ، اني وجهت وجهي بقلبي وكل حواسي ومشاعري للذي خلق تلك الاجرام السماوية والارض وسائر العوالم ، اذ لا يمكن ان تخلق نفسها ولا ان تسير نفسها ، بل هي متغيرة ، وتصرف غيرها فيها واضح . فالمتصرف فيها بالايجاد والامداد هو ربها ، وهو واجب الوجود وخالق كل شيء ، والحجة في قوله فطر السموات والارض ، استدلال بالصنعة على الصانع ، وهذا هو الطريق الجدلي المنطقي بعينه . ولا حاجة ان يكون على طريقة العجم ، لان اسلوب العربية يأباه ، والمعنى واحد .

4 ـ من سورة الاعراف ، اكد القرآن بلفظ (ان) والجملة الاسمية كون الله ، وهو علم على الباري ، ربا لجميع العالمين . ولم ذلك ؟ لانه خلق السموات والارض في ستة اوقات ثم استوى على العرش ، وتصرف في خلقه تصرف الصانع في مصنوعاته . وعلى قدر كمال الصنعة يكون كمال الصانع ، ثم اخبرهم بتصرفه في مصنوعاته واحتياجها اليه بقوله (يغشي الليل النهار) اي يغطيه به فيتعاقبان متصلا ، وهو الذي يسخر الشمس والقمر والنجوم ويديرها في افلاكها بغاية الاتقان ، ثم عقب ذلك بالنتيجة المطلوبة ، وهي قوله (الا له الخلق والامر) فله وحده الصنعة والابداع ، والتربية والتسيير ، وله وحده الامر القدري الكوني والشرعي ، تبارك وتعالى رب العالمين .

وهذا ايضا احتجاج منطقي كامل لايمتري فيه الا جاهل بالعربية او معاند .

خاتمــــــة

قد يخفى على العالم الفرنسي بوشيت وامثاله ، ان القرآن برهن على توحيدين اثنين ، توحيد الربية ، اي توحيد الصانع المدبر مع ما يلزم من صفات كماله ، وتوحيد الالهية ، وهـي العبادة ، وقد يخلط بينهما كثير ممن يدعي العلم ، او يدعي لـه من المسلمين ، فكيف بالاجانب ؟ ومن ذلك ان مسيو بوشيت ، فظن ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، انما خاصم المشركين واقام لهم الحجة على توحيد الالهية ، واهمل اقامة الحجة على توحيد الربوبية ، وقد علمت بطلانه .

وموعدنا المقال التالي لذكر اقوال الفلاسفة ، ان شاء الله.

الدكتور تقي الدين الهلالي

النملــــة

(انظروا الى النملة فى صغر جثتها ، ولطافة هيئتها . لا تكاد تنال بلحظ البصر ، كيف دبت على ارضها ، وصبت على رزقها . تنقل الحبة الى مسكنها ، وتعدها فى مستقرها . تجمع فى حرها لبردها ، مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها ، ولو فكـرت فى مجاري اكلها ، فى علوها وسفلها ؛ وفى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الراس من عينها واذنها ، لقضيت من خلقها عجبا ، ولقيت من وصفها تعبا) .

نهج البلاغــة



نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

-3-

حرف التاء

80) في ص 99 على ع . ل . تعريف بالتابعي ذكر فيه انه احد الذين عاصروا النبي ، ولم يلقوه لكنهم عرفوا احد اصحابه .. ومعاصرة النبي ليست شرطا في اطلاق صفة التابعي على الشخص وانما تذكر للتنصيص على انه اذا لم يلق النبي (ص) لا يقال له صحابي ولو عاصره ، ثم ان المؤلف قال : تابع وجمعه تابعون ، والغالب ان يقال تابعي لا تابع .

81) في الصفحة نفسها ع . ن . تعريف « بتاج العروس » شرح القاموس للشيخ مرتضى الزبيدي ، ضبط فيه الزبيدي بضم الزاي وفتح الباء وهو غلط والصواب انه بفتح الزاي وكسر الباء نسبة الى زبيد بفتح فكسر وهي بلدة باليمن .

82) وفي العمود المذكور ذكر تاجه Tage النهر الاسباني المعروف ، بفتح الجيم والصواب ضمه ، موافقة للنطق الاسباني Tajo وعرب اسبانيا كانوا يلحقون بالكلمات المضمومة الاخر من الاسبانية عند تعريبها ، هاء للوقف لانه ليس في كلامهم اسم آخره واو قبلها ضمة فيقولون في شانتو شانته وفي طاخو هذا تاجه .

83) في ص 100 ع . ل . تعريف بتادلا ، جاء فيه : ناحية في المغرب كانت على مدى العصور مسرحا للفتن وهي شهيرة بزاوية بوجد .. ومع التسامح في انها كانت على مدى العصور مسرحا للفتن ، فان الزاوية التي قال انها اشتهرت بها هي الزاوية الشرقاوية بابي الجعد لا بوجد ، ثم ان دال تادلا مكسور بدليل النسبة اليها تادلي بكسر الدال وقول الجراوي الشاعر :

يا ابن السبيل اذا مررت بتادلا
لا تنزلن على بني غفجوم

اما تسكين الدال فانما هو من نطق العامة للتخفيف .

84) في المكان نفسه ذكر تارودانت فقال قاعدة السوس في المغرب (10.000) مرفأها اغادير ... واكادير ليست مرفأ لتارودانت بل هي مدينة مستقلة ومرفأ لاقليم سوس كله ، ثم هي بالكاف المعقودة او الجيم المصرية لا بالغين كما يكتبها بعض الشرقيين متوهمين انها جمع غدير .

85) في ص 101 ع . ل والمؤلف يستعرض اهم الوقائع التاريخية العالمية ، ذكر حادث الهجرة (622) وبعده حادث احد (625) يعني المعروفة ، ثم وفاة النبي (ص) (632) وما ندري لماذا خص غزوة احد من بين غزوات الاسلام ولم يذكر غزوة بدر مثلا ، اوفتح مكة ، او هذه الغزوات الثلاث على الاقل لنفي التهمة المتوجهة بالاقتصار على ذكر غزوة احد ، ام هو التشفي حتى بانتصار الوثنية على الاسلام ؟ .

86) في ع . ن . من هذه الصفحة ذكر مدينة تازا فقال انها مدينة في المغرب شرقي فاس (10.000) مركز تجاري بين الجزائر وتلمسان وفاس ، فان كان يعني انها مركز للتجارة بين هذه المدن فقد يصح ذلك ، وان كان يحدد الموقع فان ذلك لا يصح ، وكان حقه ان يقول بين فاس ومدينة وجدة او يكتفي بقوله شرقي فاس . وضبط تلمسان هنا بفتح التاء واللام والصواب كسرهما .

87) في ص 102 ع . ل . ما يلي : تاشفين (بنو) دولة ملكت المغرب في اواسط القرن 12 وهم فرع من دولة المرابطين ، كان اولهم امير المسلمين يوسف ، وهذا كلام فيه خبط كثير ، فليس ثم دولة يقال لها دولة بني تاشفين ، ولا هي فرع من دولة المرابطين ، ويوسف ليس اولهم ، وهو ابن تاشفين المذكور عنده بعد سطرين .

88) في ع . ن . من هذه الصفحة : تائية في التصوف الفها ابن الفارض ، منها الكبرى .. والصغرى ، ولا يخفى ما في هذا الكلام من الركاكة : تائية في التصوف ، الفها ، منها

الكبرى ، والصغرى ، والتعبير السليم ان يقال تائية التصوف قصيدة في هذا الفن من نظم ابن الفارض وهي كبرى .. وصغرى ، او نحو هذا .

89) في ص 103 ع . ي . ضبط نسبة المدينة الجزائرية المعروفة بفتح التاء والباء وتشديد الشين ، وضبطها ياقوت في معجم البلدان بكسر الباء .

90) في ص 104 ، ع . ل . تعريف بالشيخ احمد التجاني شيخ الطريقة التجانية المعروفة ، جاء فيه : « ومن كتبها جواهر المعاني في فيض الشيخ التجاني المعروف كذلك بالكناس ، وهذا الكناس لم نعرفه ولا ندري ان هذا الكتاب يعرف به .

91) في المكان المذكور شبه تعريف بالتجاني صاحب الرحلة ، جاء فيه ابو عبد الله محمد او محمد ابو عبد الله ولا شك انه يريد ان يقول او ابو محمد عبد الله ، لانه اختلف في اسمه هل هو محمد او عبد الله ، ثم قال : له الرحلة وصف فيها طرابلس الغرب ، والرحلة التجانية رحلة حجازية لم تقتصر على وصف طرابلس الغرب فقط .

92) في ص 107 ، ع . ل . ترجمة للحكيم الترمذي جاء فيها له 30 مؤلفا منها نوادر الاصول وختم الولاية يشرح فيها مسائل اللادراية ، اما نوادر الاصول فهو كتاب له في الحديث معروف وما كتاب ختم الولاية فلا ندري ما هذه اللادراية التي ذكر المؤلف انه يشرحها فيه وفي بقية كتبه كما توهمه عبارته ، وان كان المذكور في ترجمته ان هذا الكتاب مما ذهب فيه مذاهب غلاة المتصوفة وانه اخرج من بلده بسببه، هذا ولم يذكره المؤلف بوصف الحكيم الذي يعرف به.

93) في ع . ي . من هذه الصفحة ذكر ترودنت مرة ثانية ولكن بهذا الرسم اي باسقاط الالف بعد التاء ، وبعد الدال ، وقال فيها مدينة في المغرب بعلو 250 م (8500) يعني عدد سكانها ، وكان قال في التعريف السابق ان عددهم 10.000 ومع التسامح في هذا العدد الذي هو اقل من نصف العدد الحقيقي لسكانها ، يظهر ان المؤلف لم يفرق بين الاسمين وظنهما لمدينتين اثنتين والا لم يخالف عدد السكان بهذا الشكل .

94) في ص 109 ع . ي . تعريف بتطوان جاء فيه : عاصمة المغرب الشمالي او الاسباني والوصف الثاني قد ذهب مع الاستعمار الى غير رجعة ، ولكن المؤلف لا يعيش احداث العالم العربي ولا غيره فما يزال يصف بلادا استقلت منذ زمان بانها مستعمرة او محمية لدولة من دول الاستعمار البائد ، ثم قال : اسسها ابو ثابت عمر بن عبد الله المريني (1310) وهذا الكلام يحتاج الى تصويب ، فابو ثابت اسمه عامر لا عمر والمريني بفتح الميم وكسر الراء مع تخفيفها وقد ضبطه هو مشددا ، ثم ان تاريخ تجديد تطوان على يد ابي ثابت هو عام 708 وموافقه من الميلادي هو 1308 لا 1310 .

95) في ص 111 ع . ي . تعريف بسعد الدين التفتازاني جاء فيه : من مؤلفاته شرح التصريف العربي ، وهو التصريف العزي ، الارشاد يعني شرحه ، المقاصد يعني شرحها ، المفتاح يعني شرحها ، وهكذا لم يحدد سرد مؤلفاته كما يجب .

96) في ص 113 ع . ل . وقع ذكر تلمسان المدينة الجزائرية المعروفة فضبطت بفتح التاء واللام معا وقد نبهنا سابقا على انهما بالكسر ، وقد وقع بعد ذكر العفيف التلمساني من المنتسبين اليها وضبط نسبه كذلك بفتحين خطأ .

97) في ع . ي . من هذه الصفحة ترجمة للتنبكتي (احمد بابا) وتقدمت ترجمته في حرف الناء باسم احمد بابا السوداني ، وبينهما مخالفة في تاريخي الميلاد والوفاة ، ولا شك ان المؤلف حسبهما شخصين اثنين في حين انهما شخص واحد ، اما تحقيق تاريخه فهو (1032/963) = (1622/1555) .

98) وفيه ذكر زاوية تمصلوحت بناحية مراكش وقد جعلتها الترجمة تمسلوهت وصوابها ما ذكرنا .

98) في ص 114 ع . ل . ذكر تميم بن المعز الصنهاجي فقال فيه : خامس امراء بني الزير والصواب بني زيري ، ثم قال غزا مدن افريقية وتعاطى القرصنة فحاربه الجنويون والبيزنطيون (زرين) الترجمة بصورة اختطاف فتاة بالقرصنة ، والذي يجب ان يعلمه الاب المحترم ان اعمال الجنويين والبيزنطيين في القرصنة لا يذكر بجانبها عمل تميم الذي كان اميرا عالما اديبا مهذبا ، ولم تكن غزوته الا دفاعا وردا لهجمات الجنويين والبيزنطيين المتوحشين وبالضرورة فانه لا يمكن ان يأسر هؤلاء من رعايا تميم بالقرصنة ما يأسرون ويقيمون سوقا لتجارة الرقيق في جنوة وصقلية وغيرهما من موانىء ايطاليا ، ويقف تميم مكتوف الايدي امام اعمال خصومه هذه .

99) وفيه ذكر مدينة تنس بالجزائر وضبطها بفتح فكسر وهي بفتحين مع التخفيف كما ضبطها ياقوت في معجم البلدان ، وقد ذكر بعدها اديبا ممن ينسبون اليها وضبطه بكسر النون وهو حتى على ما ضبطها به من الكسر كان يجب فتح

النون في النسبة اليها على القاعدة في النسبة الى فعل بكسر العين ، فلم يضبط هذا المؤلف لغة ولا نحوا .

100) في ص 116 ، ع . ني . بعد ذكر عاصمة تونس، ذكر تونس القطر او الدولة فسماها تونس الغرب ، ولا يعرف هذا الاسم لتونس ، ولعله اشتبه له بطرابلس الغرب التي تفيد بذلك فرقا بينها وبين طرابلس الشام ، ثم ذكر سكانها فقال منهم البربر والكروميز والعرب والاوروبيون ولا ندري هؤلاء الكروميون من يكونون، وبعد ذلك ذكر اهم مدنها فقال تونس قاعدتها صفاقس والقاعدة تعني العاصمة وهو قد سبق له فذكر ان تونس هي العاصمة فما هذا الخبط ؟ وزاد قائلا : بنزرت قابس ، قيرواق ، السوس .. وصواب هذين الاسمين الاخيرين القيروان سوسة .

101) في ص 118 ع . ل . ذكر تيم الله تعلبة فقال قبيلة عربية فخذ من ربيعة بن نزار الخ .. والمعروف فيها تيم اللات بن ثعلبة .

102) فيه ترجمة لتيمورلنك ذكر فيها انه فتح خوارزم وقتغار وخراسان وفارس وسوريا ومصر .. والمعروف ان تيمورا لم يدخل مصر ولا فتحها .

103) في ع . نى من الصفحة نفسها ذكر « تيوات » على انها واحة في الجزائر ، وهي اقليم مغربي كبير احتلته فرنسا سنة 1900 واضافته الى القطر الجزائري ، والمغرب لم يزل يطالب به الى اليوم ، واسمه كما ذكرنا توات بضم التاء وفتح الواو مع التخفيف ، والمؤلف كتبه تيوات وليس بشيء .

طنجة : عبد الله كنون

السحر الحلال

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، قدم اليه وفود اهل كل بلد ، فتقدم اليه وفد اهل الحجاز ، فاشرأب منهم غلام للكلام .

فقال عمر : ياغلام ، ليتكلم من هو اسن منك .

فقال الغلام : « يا أمير المومنين ، انما المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبده لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد اجاد له الاختيار . ولو ان الامور بالسن ، لكان ها هنا من هو أحق بمجلسك منك .

فقال عمر : صدقت ، تكلم ، فهذا هو السحر الحلال .

فقال : يا امير المومنين ، نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة . لم تقدمنا اليك رغبة ، ولا رهبة ، لانا قد امنا في ايامك ماخفنا ، وادركنا ما طلبنا .

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

للأستاذ : محمد عبد المنعم خفاجي

— 1 —

عبد القاهر الجرجاني علم من اعلام النقد والبيان في تاريخ الثقافة العربية ، بل هو ابو البلاغة العربية ومبتكر نظرياتها عند كثير من الدارسين (*) .

وقد عاش حياته كلها في جرجان وهي موطن كبير من مواطن الثقافة الاسلامية العربية في ايران في القرن الخامس الهجري (نحو 400 ــ 471 هـ) ، والف « المغني » في شرح الايضاح لابي علي الفارسي في ثلاثين جزءا ، ثم اختصره في كتاب سماه « المقتصد » (*) بمثابة شرح صغير على الايضاح ، والف مختارات من شعر المتنبي والبحتري وابي تمام ، وكانت ثقافته العربية والنقدية والبيانية اغلب عليه ، ولقب بالنحوي لتفوقه الكبير في النحو (*) واستقصائه لاحكامه وعلله ووجوهه .

وطارت شهرته في كل مكان ، وتصدر حلقات الادب والعربية في جرجان ، وقصده الناس للاقتراف من علمه ، والافادة من فضله ، وتتلمذ عليه علماء كثيرون منهم : ابو نصر الشجري (*) ، وعلي بن زيد الفصيحي (*) وسواهما ، وقيل عنه انه فرد في علمه الغزير ، لا بل هو العلم الفرد في الائمة المشاهير) (*) ، في العصر السلجوقي .

ومن آثاره الاخرى : « التكملة » وهو ذيل للايضاح ، و «الايجاز» وهو مختصر للايضاح ، والجمل في النحو ، والتلخيص وهو شرح لكتاب الجمل ، والعوامل المائة ، وكتاب في العروض ، وكتاب العمدة في التصريف ، وشرح الفاتحة ، وله شرحان على اعجاز القرآن للواسطي (ت 306 هـ) احدهما كبير سماه « المعتضد » ، والآخر صغير ، والرسالة الشافية في الاعجاز وقد طبعت مع رسالتين اخريين بعنوان « ثلاث رسائل » علق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام وطبعت في القاهرة .

وله كتابان آخران : احدهما هو « التذكرة » ذكره مؤلف « انباه الرواة » ، والآخر هو « المفتاح » ذكره صاحب طبقات الشافعية .

واجل كتبه ، واعظمها اثرا ، واكبرها خطرا ، واخلدها على الايام كتابان هما : « دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة » ، وهما اعظم ما الف في البلاغة والنقد على مر العصور .

— 2 —

واذا كانت شهرة عبد القاهر بالبلاغة قد ذاعت وطارت في كل مكان ، فان شهرته بالنقد لا تقل في الحقيقة عن شهرته بالبلاغة ، وكتاباه يحتلان الذروة في كتب النقد العربي ويمثلان منهجا كاملا فيه .

وفي كتاب « دلائل الاعجاز » ، الذي الفه عبد القاهر ليحمل مقدمات في دراسة الاعجاز القرآني ، يتحدث عبد القاهر عن نظريته في النظم كاساس لفهم فضيلة الكلام وبلاغته ولفهم اعجاز كتاب الله كذلك ، وهو في قمة كتب البلاغة والبيان ، وفي كتابه « اسرار البلاغة » يتحدث عن المعاني الشعرية واقسامها ويخص التشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز والكناية وضروب التخييل بالشرح والايضاح والبيان .

(*) 210 بغية الوعاة للسيوطي ، 3 : 240 شذرات الذهب ، 3 : 242 طبقات الشافعية ، 2 : 188 انباه الرواة .

(*) مخطوط بدار الكتاب المصرية برقم 1103 .

(*) 443 روضات الجنات ، 2 : 242 فوات الوفيات . (*) 2 : 190 انباه الرواة . (*) نزهة الالبا لابن الانباري ص 434 / 436 . (*) 158 دمية القصر .

— 3 —

وفي مقدمة « دلائل الاعجاز » يعرف عبد القاهر النظم بانه « تعليق الكلام بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض » (*) ، ويجعل وجوه التعلق ثلاثة : تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما ، ويشرح وجوه التعلق شرحا وافيا ...

ويؤكد ان نظم الكلام يقتفي فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس (*) ، وليس النظم في مجمل الامر عنده الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها (*) فمداره على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شانها ان تكون فيه (*) وليس هو الا توخي معاني النحو في معاني الكلم (*) ، فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم (*) ، او فيما بين معاني الكلم بتعبير آخر (*) والفكر لا يتعلق بمعاني الكلمة المفردة مجردة عن معاني النحو او منطوقا بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها (*) .

ويشير عبد القاهر الى انه من الضروري في معرفة الفصاحة ان تضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلام (*) ، وان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ (*) .

ويأخذ في تفصيل امر المزية ، وبيان الجهات التي منها تعرض ، فيتحدث عن وجوه النظم في التقديم والتاخير ، والذكر والحذف والتعريف والتنكير ، والوصل والفصل ، والقصر ، ويفيض في ذكر ضروب من تاكيد الخبر ، ويعرض للتشبيه والتمثيل والكناية والاستعارة والمجاز مقررا ان المزية فيها ليست في انفس المعاني التي يقصد المتكلم اليها بخبر ولكنها في طريق اثباته لها ، وتقريره اياها (*) ، واذا عرض للاستعارة في بيت ابن المعتز المشهور :

سالت عليه شعاب الحي حين دعا
انصاره بوجوه كالدنانير

اكد ان الاستعارة هنا على لطفها وغرابتها انما تم لها الحسن بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها (*) ، وكذلك يفصل الكلام على مدخل النظم في بلاغة الاستعارة في قوله تعالى : « واشتعل الراس شيبا » ، وقوله « وفجرنا الارض عيونا » ويتحدث عن التشبيه (*) في مثل : زيد كالاسد وكأن زيدا الاسد ، وان في المثال الثاني زيادة في معنى التشبيه ليست في الاول ، وهذه الزيادة لم تكن الا بما توخي في نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام وركبت مع « ان » .. كما يتحدث عن ضروب من المجاز العقلي او المجاز في الاسناد (*) وعن ضروب الكناية في التشبيه (*) ومدخل النظم في بلاغتها .

بل انه ليقرر ان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنها يتحدث وبها يكون لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد (*) فاذا قلنا في لفظ « اشتعل » من قوله تعالى « واشتعل الرأس شيبا » ، انها في اعلى المرتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولا بها الرأس ، معرفا بالالف واللام ومقرونا اليهما الشيب منكرا منصوبا (*) ، فليست الفصاحة صفة للفظ « اشتعل » وحده (*) .

— 4 —

ويقرر عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » ان المزية للكلام انما هي في نظمه باعتبار ملاءمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها (*) ، وليس الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد معناه (*) ، فالفصاحة والبلاغة عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها ، وزيادات تحدث في اصول المعاني ، كالذي اريتك فيما بين « زيد كالاسد » و « كأن زيدا الاسد » ، ولا نصيب للالفاظ من حيث هي الفاظ فيها بوجه من الوجوه (*) ، فانفس الكلم بمعزل عن الاختصاص والمزية (*) ، فليس للفظ من حدث هو لفظ حسن « ومزية » (*) ، اذ المزية ليست بمجرد اللفظ ، وانما تقع في اللفظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس (*) ويجعل عبد القاهر كذلك ذروة المزية والبلاغة ، وهي الاعجاز القرآني ، في النظم وحده ، لا في شيء آخر (*)

وبذلك ينتهي عبد القاهر من عرض نظريته في النظم ، هذا العرض الجديد ، لتلك النظرية الجديدة ايضا ، وخلاصة ما يقرره عبد القاهر :

(*) الدلائل ـ تعليق المراغي ـ نشر المكتبة المحمودية .
(*) 35 المرجع السابق . (*) 55 المرجع . (*) 60 المرجع . (*) 233 المرجع . (*) 237 / 250 المرجع .
(*) 256 / 333 المرجع . (*) 259 المرجع . (*) 27 المرجع . (*) 33 المرجع . (*) راجع 44 / 47 الدلائل .
(*) 68 المرجع . (*) 169 المرجع . (*) 191 المرجع .
(*) 199 المرجع نفسه . (*) 250 المرجع . (*) 255 المرجع . (*) 258 المرجع . (*) 33 المرجع . (*) 167 الدلائل .
(*) 170 المرجع . (*) 233 المرجع . (*) 235 المرجع . (*) ص 2 اسرار البلاغة ، شرح محمد رشيد رضا ط 1959 .
(*) 246 / 257 ـ الدلائل .

1) انه لا فصل بين الالفاظ ومعناها ، ولا بين الصورة والمحتوى ، ولا بين الشكل والمضمون ، في النص الادبي .

2) ان البلاغة في النظم لا في الكلمة مفردة ولا في مجرد المعاني ، والباحث عن الاعجاز عليه ان يتتبعه في النظم وحـــده .

3) ان النظم هو توخي معاني النحو واحكامه وذوقه ووجوهه فيما بين معاني الكلم .

4) ولذلك اخذ عبد القاهر في كتابه الخالد « دلائل الاعجاز » يعرض لوجوه تركيب الكلام وفق احكام النحـو ، مستنبطا الفروق بينهما ، عارضا لاسرار المزية والحسن والبلاغة فيهـــــا .

— 5 —

وهذه النظرية ، وهي نظرية النظم ، بما اشتملت عليه من تطبيقات وشروح واسعة ، جديدة كل الجدة عند عبد القاهر ، ولم يعرض لها احد قبله هذا العرض المتميز ، ولذلك جهد عبد القاهر في ايضاحها ، ورفع الشبه عنها ، والرد على من يعترضه فيها ، من اول « دلائل الاعجاز » الى آخره ... ففلسفة عبد القاهر البيانية تنهض على اساس فكرة النظم (✱) ، واذا كان هناك من يذهب الى ان عبد القاهر لم يكن مخترعا لها، وانما كان هو الذي بسط فيها القول ، واقام على اساسها فلسفة كتابه، فقد سبقه اليها الواسطي صاحب كتاب « اعجاز القرآن في نظمه » ، وظهرت هذه الفكرة واضحة في الصراع الذي اثاره امتـزاج الثقافـات وتعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم ، ودفاع حملة العربية عن تراثهم وثقافتهم ومنها الثقافـة النحويـة (✱) فان كتاب الواسطي المفقود لا ينهـض حجـة على ذلك ، وتعصب المثقفين بالثقافات المترجمة للمعانـي ولمنطق ارسطـو وعـدم اهتمامهم بالالفاظ ودفاع علماء العربية عن الاسلوب العربـي وتنقصهم لمعاني ارسطو ومنطقه كل ذلك لاشبه بينه وبين نظرية النظم عند عبد القاهر ، وعلى اي حال فاننا لا نذهب الى ان رد البلاغة والاعجاز الى النظم هو الجديد عند عبد القاهر ، ولكن الجديد عنده هو شرحه لنظرية النظم هذا الشرح الجديد حقا ، وتطبيقه عليها ، هذه التطبيقات النقدية البيانية الواسعة ، وفرق على اية حال بين اية نظرية في استنباتها ، وبينها في قمة ازدهارها، واذا كان عبد القاهر لم يخرج بالنظم عن معاني النحو ، وكانت فكرة النظم عنده تقوم على معرفـة هـذا النحو وما ينشأ عن الكلمات حين تتغير مواضعها من المعاني المتجددة المختلفة (✱) فان الجديد عند عبد القاهر هو انه استخدم معاني النحو واحكامه استخداما جديدا بيانيا نقديـا محضا .. والا لكان في النحـو غنى عن كل ما قرره عبد القاهر والبلاغيون من احكام بيانيـة بلاغية ، وذلك ما يرده عبد القاهر ويؤكد نفيه له في كتابه ، كما يقرر في كل فصل من فصول « الدلائل » ان لا سبـيل الى معرفة الاعجاز الا « النظر في الكتاب الذي وضعناه ، واستقصاء التامل لما اودعناه (✱) ، وانه الطريق الى البيان والكشف عن الحجة والبرهان (✱) ، وان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن الا الوصف الذي كان له معجزا ، والطريـق الى العلـم به موجودا اي ممكن ، ويكرر في الكتاب انه يقرر امورا صعبة على الفهم ، وغير ذلك مما جعل عبد القاهر يشحذ ذهنه في تقريرها ، وذهن القارئ والسـامع في تقبلها ، لوجه الجدة فيها ، وانه المبتكر لها

— 6 —

ولقد اعتمد عبد القاهر على الذوق الادبي الخالص اعتمادا كليا في كل ما قرره من احكام ، مؤكدا انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السـامـع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتـى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يومىء اليه من الحسن واللطف اصلا ، وحتى يختلف الحال عليه ، عند تأمل الكلام ، فيجد الاريحية تارة ، ويعرى منها اخرى ، وحتى اذا عجبته عجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبـــــه (✱) .

وقد اثرى عبد القاهر البلاغة العربية والبيان العربي اثراء جليلا ، بما كتب في نقد الاساليب وتحليلها ، واستنباط الفروق والخصائص فيما بينها ، وبما عرض له من احكام نقدية دقيقة ، على الاساليب وضروب النثر والشعر .

انه ليس لنظرية عبد القاهـر في النظـم من القيمـة ما لتطبيقاته فهناك يظهر ذوقه العربي السليم ، ذلك الذوق الذي لا يمكن ان يغني في الادب عنه شيء ، ونظريـة عبد القاهـر في رمزية اللغة ورد المعاني الى النظم ومنهجـه في نقـد النصوص نقدا موضعيا ، ما هي الا مراحل تنتهي به الى الذوق الذي يدرك الدقائق ويحس بالفروق ووجوه الكلام واسراره ، واحساس عبد القاهر الادبي السليم سابق دائما لعقله ، والحكم على النظم عنده هو النظر في المعنى منظوما ، والذوق هو الفيصل الاخير في الحكم على هذه الدقائق ، والى هذا فطن عبد القاهر بحسه الادبي الصادق ، فالذوق عند الجرجاني يتحكم في نظم المعاني التي نعبر عنها ، وتسوق فكرة النظـم عبد القاهر الى تخطـي الاعراب والجملة البسيطة الى الجملة المركبة ، التي عني بها في

(✱) 163 البيان العربي ، الطبعة الثالثة . (✱) 164 المرجع السابق . (✱) 167 المرجع . (✱) مقدمة دلائل الاعجاز .
(✱) مقدمة دلائل الاعجاز . (✱)190 دلائل الاعجاز .

الدلائل ، وفي اسرار البلاغة كذلك في مبحث التشبيه عناية فائقة، ونقدها نقدا بيانيا ادبيا (✶) .

ان الادب عند عبد القاهر فن لغوي ، فاخضاع الفكرة او الاحساس للفظ هو ما يميز الادب عن غيره من الفنون ، وهذه النظرية الصحيحة هي موضع اعتزازنا بتفكير عبد القاهر (✶) ، الذي يبدأ بنظرية فلسفية في اللغة ، ثم ينتهي الى الذوق الشخصي الذي هو مرجعنا الاخير في دراسة الادب (✶) ، وما النقد الا وضع مستمر للمشكلات البيانية ، فلكل جملة او بيت مشكلته التي يجب ان تعرف كيف تراها وتصفها وتحكم فيها ، وهذا هو النقد الموضوعي كما رآه الجرجاني (✶) .

لقد اهتدى عبد القاهر الى كل تلك الحقائق ، التي اذا كان لها في تفكير اليونان القدماء ما يماشيها وفي علم اللسان الحديث ما يؤيدها ، فان الفضل الاكبر في الوقوع عليها يرجع الى مواهب عبد القاهر الفطرية المبتكرة الخصبة (✶) .

وبعد فهذه هي نظرية النظم التي يرجع الى عبد القاهر فضل ابتكارها والكشف عنها ، والتي تعد طليعة كاملة لعلم البلاغة العربية كما جمع اشتاته السكاكي من كلام عبد القاهر وآرائه في كتابيه الخالدين : دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة .

ليبيا : محمد عبد المنعم خفاجي

(✶) راجع 154 / 161 الفصل القيم الذي كتبه محمد مندور في كتابه في الميزان الجديد ـ الطبعة الثانية ـ في الموضوع .
(✶) 155 / 161 المرجع نفسه . (✶) 157 المرجع . (✶) 161 المرجع .

ما مات مجازه ، ومات حقيقته

قال احد الشعراء يمدح اميرا في يوم عيده :

انت كالدلو ، لاعدمناك دلوا
من كثير العطا ، قليل الذنوب
انت كالكلب في الحفاظ على الود
وكالتيس في قراع الخطوب

قيل : فلما سمعه رجال الامير عمدوا الى سيوفهم ، وجردوها عليه ، فاستوقفهم ، وفهم من منشده انه يمدح كرمه ، وامانته ، وشجاعته . فشبهه بالدلو ، والكلب والتيس ! »

ندرة النبوغ الأدبي في الجيل المغربي الحاضر

للأستاذ: عبد العلي الوزاني

نظرة عامة شاملة يلقيها الباحث على الانتاج الادبي في المغرب في الحقبة الاخيرة ، تتكشف لـه عن ندرة النبـوغ في الادب المغربي الحديث ، الامر الذي يدعونا الى ان نتساءل عن الاسباب التي وسمت ادب هذه الفترة بالضحالة ، وقعدت بادبائنا اثناءها عن اللحاق باخوانهم في البلاد العربية الاخرى ، فكل ظاهرة ادبية ليست الا صدى للمؤثرات الباعثة عليها ، والتـي ترد اليها عند الدرس .

ونبدأ بنفي التهمة التي قد توجه الى المغربي من حيـث طبيعته ، فهو ذكي حاد الذكاء سخي الطبع ، مـتوفز الحسـ ، قوي الشعور ، سريع التطور ، شديد الاقبال على الجديد .

فالمغربي استجاب للحضارة الاسلاميـة الوافدة عليـه من الشرق ، واندمـج فيها ، وتفاعـل معهـا ، وكيفهـا حسـب طبيعته ، واحواله الاجتماعيـة ، وبيئته الطبيعية ، حتى اصبـح المغربي يصدر الحضارة الى الخارج ، في فنونه وصناعاته اليدوية البارعة ، وهو قد ورث الحضارة الاندلسية فتبناها واحتضنهـا وحافظ لها على لونها الممتاز وطابعها الاصيل ، في الموسيقـى والنقش والعمارة ، وفي الادب والعلوم ، فكان الفضل راجعا اليه في الحفاظ على التراث الاندلسي وصيانته من الضيـاع ، وفي ذلك دليل على حيوية المغربي وروحه الفنية ، فصيانة الفن كخلقه وابداعه ، كلاهما دليل على سمو المنازع وجمال الطبع ورقـة الذوق ، وفي العصر الحديث نشاهد المغربـي يهضـم الحضارة الغربية ، يأخذ منها احسن ما فيها ، ويحاول ان يوفق بينهـا وبين مطالب البيئة التي يعيش فيها ، وبينها وبين تراثه القومي . واذا كان البعض قد خانه التوفيق في هذا الصدد ، فاندفع وراء تلك الحضارة اندفاع الاعمى ، وتجاهل تراثه القومي ، فليس الامر كذلك بالنسبة الى المجمـوع ، والمغربي عاطفي بطبعـه — والعاطفة مادة الادب الحية — سريع التأثر ، قوي الاستجابة لما يحيطه من المؤثرات ، بريء من جمود الطبع ومن برودة الدم ، وهذا علة كثرة الفتن والثورات والقلاقل الاجتماعية والسياسية التي كان المغرب مسرحا لها طيلة تاريخه .

وكما نفينا التهمة عن طبيعة المغربي ، فاننا ننفي تهمـة اخرى عن طبيعة البلاد المغربية ، فهي ليست بالجافة ولا بالقاحلة ، انها جنات تجري من تحتها الانهار ، جبال شامخة تملأ النفس بالعظمة ، ومروج خضر هي عبارة عن زرابي مبثوثة تكوق فتنة للناظرين ، واودية تهب الخير والبركـات عن يمين وشمال ، وبحيرات لو اختصر البحر لكان اياها ، سعة في جمال ، وتدفقا في تطامن ، وثلوج تكسو قمم الجبال فتجللهـا ببياض ناصـع نقي كنقاء القلب الطيب والنية الخالصـة ، وغير ذلك كثيـر ، فهي طبيعة خليقة بالمنح والعطاء جديرة بان تلهم النفوس قوة الشاعرية ، وتقدم للاديب مادة لا تنفـد ، ليصوغ منهـا اروع آياته ، ولو استجيب لطبيعة بلادنا لكان لنا في كل خميلة شاعر، وعلى كل غصن بلبل غريد .

واذن فما علة ندرة النبوغ الادبي في المغرب في الحقبـة الاخيرة ؟ لقد عرفنا ان الامر لا يتعلق بجمود في طبع المغربي ، ولا بجفاف في طبيعة بلاده ، فما السبب اذن ؟ هناك بعض من يعللون هذه الظاهرة بكون المغاربة صرفـوا كل عنايتهم الـى الفقه ، على حساب الناحية الادبية ، الامر الذي اصاب الحياة الادبية في المغرب بالعقم ، وانا اشك كثيرا في قيمة هذا التعليل، فالمغرب كان — ولا يزال — بـلاد ادب ، كما هو بـلاد فقه ، وملوك المغرب على اختلاف العصور كانوا يشجعون الحركات الادبية ، ويقربون الادباء الافذاذ اليهم ، ويهيئون لهم الظروف الحسنة ، ليتحفوا الناس بادبهم ، باستثناء بعض الفترات التـي تصادف بدء تأسيس الدول ، اذ ان مشاغـل رجال الدولـة تستنفذ كل طاقتهم ، فلا يجدون متسعا من الوقت للاستماع الى تطريب القصيد ، وقد آن الاوان لينهض الباحثون عندنا بالكشف عن الحركات الادبية في تاريخ المغرب لدفع هذه التهمة الخطيرة، وهي ان المغرب كان بلاد فقه ، ولم يكن بلاد ادب وان الفقـه

جنى على الادب في المغرب جناية كبرى ، بحيث اوشكت هذه الفكرة ان تتحول الى عقيدة راسخة .

ونعيد السؤال مرة اخرى ، ما سبب ندرة النبوغ الادبي في المغرب في الحقبة الاخيرة ؟

يجب ان نعرف اولا وقبل كل شيء ، ان النبوغ في ذاته ظاهرة فردية ترجع الى مزاج الفرد وطبيعته الخاصة ، وعوامله النفسية التي ما زال علم النفس لم يقل كلمته الجازمة فيها ، بالرغم من التقدم الذي حققه في هذا العصر ، ففي النفس الانسانية مناطق واسرار لم يخضعها العلم بعد لسلطانه ، النبوغ لا يعلل بتقدم اجتماعي او ثقافي او اقتصادي او سياسي ، فقد يكون هناك تقدم في كل هذه الميادين ولا نبوغ ، وقد لا يكون تقدم ما ويكون النبوغ ، العرب الجاهليون — مثلا — كانوا متأخرين في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وكان مع ذلك عندهم نبوغ في الميدان الادبي ، فما زهير زعيم مدرسة الصنعة ، وما عنترة صاحب الملاحم الشهيرة ، وما امرؤ القيس واضع اسس القصيدة العربية ، وما النابغة الذبياني سيد من اعتذر في الشعر العربي ، ما هؤلاء كلهم الا ابناء بيئة متأخرة من جميع الوجوه الا من الوجهة الادبية ، النبوغ اذن كما قلنا ظاهرة فردية محضة ، تخضع لمؤثرات ما زال الكثير منها غامضا لحد الآن ، يتجلى هذا الغموض في الحيرة التي تصيبنا عند ما نلقي على انفسنا هذا السؤال : ما السر في ان اديبين ينشآن في بيئة واحدة وعصر واحد ، ويتلقيان ثقافة واحدة ، ومع ذلك نرى احدهما فارعا السماكين ، بينما الآخر لاصق بالحضيض ؟ فعند ما نعجز عن معرفة السر ، نقول هذه الكلمة التقليدية التي لا تحقق شيئا : انه النبوغ ، او انها العبقرية .

ولكن اذا كان الوسط لا يخلق النبوغ ، فانه يؤثر فيه ويوجهه ، فهناك الوسط الذي يهيء الجو لموهبة النبوغ لتظهر وتتفتح ، فهو يساعدها على النمو ، ويمد لها في اسباب النضج ، لتستحيل الى قوة دافعة في المحيط الادبي ، وعلى العكس من ذلك هناك الوسط الذي يقف حجر عثرة في طريق النبوغ ، فهو يحيطه بشتى العراقيل التي تصده عن البروز ، فيبقى مكبوتا في الفرد ، ليظهر في شكل انحراف ، والحقيقة التي يجب ان نقولها هنا بكل صراحة ، هي ان الوسط المغربي لا يحتضن النبوغ ، ولا يحسن توجيهه ، ولا يمهد له السبل ، وانا استعمل هنا كلمة (الوسط) في معناها الواسع الشامل ، الذي تدخل فيه القطاعات الخاصة والعامة في الهيئة الاجتماعية ، بما في ذلك طرق التربية والتعليم ، ونوع الثقافة السائدة ، ونسبة المثقفين الى الاميين ، ووجهة الثقافة ، وكيفية تنظيم الصحافة، ومقدار الصحف والمجلات والاغراض التي تخدمها ، وكذا النوادي الادبية ، ومبلغ تعطش منها غامضا لحد الآن ، يتجلى هذا الغموض في الحيرة التي الجمهور للقراءة ، او مبلغ انصرافه عنها الى ما هو من هذا القبيل .

نعم هناك نوع من النبوغ الجبار الذي يتغلب على الوسط العائق ، ويشق طريقه في اندفاع وقوة ، متخطيا كل العقبات التي تواجهه ، حتى يصبح شيئا مذكورا يعترف به الجميع ، ويبسط سلطانه وهيمنته على الحياة الادبية ، والنوابغ الذين من هذا النوع اقلية في جميع الاجيال ، ولو رزق جيلنا واحدا منهم لملأ الدنيا وشغل الناس ، ولو قامت في وجهه الف عقبة وعقبة ، انه الحظ السيء الذي حرم جيلنا من مثل ذلك النابغة القوي الجبار .

ومما يستأنس به في الصدد ان الشكوى من ندرة النبوغ في الجيل قد شغلت الصحافة في مصر منذ وقت بعيد ، فتحضرني الآن تلك المناقشات التي دارت على صفحات (الرسالة) بين الاستاذ العقاد والاستاذ احمد امين — ان لم تخني الذاكرة — حول ندرة البطولة في جيلهما ، بالنسبة للاجيال الماضية ، وعند الاستاذ العقاد رحمه الله ان من الظلم ان نقيس الجيل الحاضر الى كل الاجيال الماضية ، والعصر الحاضر الى كل العصور الغابرة ، وان من اللائق ان نأخذ خمسين سنة — مثلا — من العصور القديمة ، ونقارنها بخمسين سنة من العصر الحديث ، فهذه المقابلة هي التي تصحح رأينا في تقدير الجيل الحاضر وحكمنا عليه بانصاف وقسطاس مستقيم ، ذلك هو رأي المرحوم الاستاذ العقاد ، قال به منذ عدة سنين ، بما عهد فيه من قوة العارضة ، ووضوح الحجة ، وهو رأي نستأنس به في هذا الصدد ، ليكون فيه مقنع لمن يخطر بباله ان يقابل بين احوال النبوغ في القديم والحديث .

وقد يعن لبعض الناس ان يتساءل : ما بال صاحب المقال يبحث عن اسباب ندرة النبوغ في الادب المغربي الحديث ؟ اليس النبوغ نادرا في ذاته ؟ انه معدن نفيس ، والمعادن النفيسة تكون دائما نادرة ، وهذا اعتراض يحالفه التوفيق من جهة ، ويجانبه من جهة اخرى ، فالنبوغ نادر حقا ، ولكنه بالنسبة الى فترة محدودة من الزمن ، تقدر بعشرين سنة او ثلاثين سنة او نحو ذلك ، اما بالنسبة الى جيل كامل ، يستغرق عشرات السنين ، فاختفاء النبوغ او ندرته مما يبعث على القلق ، ويدفع الى التساؤل عن الاسباب والعوامل ، فقد عرفنا في تاريخ الادب العربي اجيالا حافلة كلها بالنوابغ من الادباء والشعراء ، واذا حدث هذا في الماضي ، فما المانع من حدوثه في جيل اليوم ؟ .

قد يكون من اسباب ندرة النبوغ الادبي في جيلنا الحاضر اننا تغلب علينا المنافع العاجلة ، ونكسل عن طلب الاهداف البعيدة ، نميل الى انتهاز اول فرصة براقة تصادفنا ، ولا نصبر صبرا طويلا لكي نبني كياننا الادبي على اسس صحيحة ،

وتقترب من المثل الاعلى ، ما زلنا لم نتعلم بعد التضحية من اجل غد ادبي افضل ، جلنا يضعف امام نفسه عند ما تواجهه المادة بوجهها البراق الخادع ، فينسى رسالة الادب ، ويرتمي في احضان المادة ، تلك الفاتنة اللعوب ، وتكون النتيجة هي خسارة الحياة الادبية في ابنائها ومعقد الامل فيها ، لا تظنن ان النبوغ الادبي نتيجة سهلة المنال ، انه موهبة غير مكتسبة ،ولكنها تحتاج الى التربية والتهذيب والتعهد بالسقيا ، لتتحول من قوة سلبية الى قوة ايجابية ، فهي تحتاج الى الدراسة المضنية ، والبحث المتصل ، والنضال الادبي الباسل ، والكتابة المثابرة الصابرة ، وكل نبغاء الآداب العالمية لم يكونوا الا خلاصة الدرس والبحث ، النبوغ نار تحت رماد، تحتاج الى من يحركها لتتوهج الجمرات ، وكنز مخبوء يحتاج الى المجهود الضخم ، ليهب افضاله وخيراته .

وكثيرا ما يكون النبوغ كموهبة كامنا في نفوس بعض الافراد ، ولكنهم لا يعرفونه ، ولا يكتشفونه في انفسهم الا بعد دراسة طويلة ، ومحاولات عديدة في الكتابة والانتاج ، الامر الذي يهدي المثقف الى مواهبه الحقيقية ، فلا يبقى ضالا عنها وهي كامنة في نفسه ، ذلك ان القراءة الدائمة ، والكتابة المتصلة، من شأنهما ان تجعلا نفسه تتفتح وتشرق من خلال تجارب الآخرين عند ما يقرأ ، ومن خلال تجربته الخاصة عند ما يكتب، رياضة الفكر والنفس هنا تشبه رياضة الجسم ، فعناصر القوة كامنة في الجسم الانساني ، ولكنها لا تظهر الا بعد تمرين رياضي شاق طويل ، تقوى به العضلات ، ودوافع الانماء والاخصاب كامنة في الارض ، ولكنها لكي تعمل عملها البارع تحتاج الى المجهود البشري من تقليب وتسميد ، وعناصر التغذية كامنة في اللحوم والخضر ، ولكن لكي تعمل عملها تحتاج الى التهييء والاعداد ، وكثيرا ما يخرج بها الاعداد السيء عن وظيفتها فتصبح ضارة لا نافعة ، وكذلك الشأن في قضية رياضة الفكر .

وكيف نريد لجيلنا ان ينبغ وهو يقتل اوقاته في الملاهي الرخيصة ، منغمسا في مباذله التي لا يتأتى له معها ان تكون له اهتمامات فكرية وادبية ؟ تلك الاهتمامات التي تخلق رجال الفكر ، وتعد الادباء ، وتفجر المواهب والعبقريات ، مجالسنا وانديتنا ومقاهينا ومنازلنا ليست مجالي للحديث المثقف ، والتجاوب الفكري ، بقدر ما هي مجالي للحديث التافه ، والاهتمامات الصغيرة ، ومن ثم كانت مخنقة للفكر ، ومبلدة للشعور ، وقاتلة للمواهب .

وشبابنا المثقف يقرأ للشهادة لا لتعشق المعرفة ، ويدرس للحصول على وظيف ، لا للاستجابة لنزوع فكري محض ، فاذا حصل على الشهادة والوظيف ، تنكر للثقافة ، وطوى الصحف ، وجعل بينه وبين الكتاب حجابا كثيفا من المصالح العاجلة ، فاذا رأى احدا يكرس حياته للعلم ، ويهب نفسه للادب ، اعتبره شاذا عن عن القاعدة ، وغير صالح للحياة ، يعيش في الخيال ، وينعم بالاحلام ، وليس معنى هذا ان كل مثقفينا من هذا النوع فمنهم اقلية – ولكنها ضئيلة – تدين بدين الفكر ، وتصون قداسة المعرفة ، وتهيم بالاطلاع والتثقيف الذاتي الى حد بعيد .

ما زلت اكرر انه لا نبوغ يمكن ان يوجد عندنا اذا لم تكن لنا اهتماماتنا الفكرية ، التي تجعل منا مثقفين لا في مقدار ما نحفظه من القواعد ، وما نلم به من العلوم ، ولكن في نظرتنا الى الحياة وحكمنا على الاشياء ، وتقييمنا لما يحيط بنا من ظواهر واحداث .

الاهتمامات الفكرية تخلق القلق الفكري ، وتبعث على التأمل ، وتثير شتى التساؤلات ، وتدفع الى مزيد من الاطلاع ومن الدرس ، وبذلك يتسع الافق ، وتنمو القدرات العقلية ، وتتفتح المواهب الروحية ، ويبرز النبوغ ليحتل مكان الصدارة بالنسبة للافراد الذين ميزتهم الطبيعة بقوة الاستعداد ، ومتانة الطبع ، وصفاء الذهن ، وحيوية القريحة .

والنبوغ ظاهرة تبرز عادة في الاوساط الادبية التي تظهر فيها الروح العصامية ، هذه التي تكشف عن معدن النبوغ في نفوس الافراد وعقولهم ، فانت لو درست الاوساط التي ظهر فيها نبغاء الانسانية في الآداب والفنون ، للمست فيها هذه الروح العصامية التي تدفع بالفرد الى تعشق المثل الاعلى ، وتعبئة جميع ملكاته وكل طاقاته الفنية لخدمة الفن ، وعدم القناعة منه بسوى المستوى الرفيع والقمة العالية .

والروح العصامية لا تتنافى مع الدراسة الجامعية المنظمة كما قد يتبادر الى الذهن ، فالطالب ما لم يكن عصاميا اكتفى من الدراسة بالشهادة التي قد يحصل عليها ، وانصرف عن الدرس والمزيد من الاطلاع ، ولا تقدم لاي وسط ادبي الا اذا وجدت فيه هذه الروح العصامية ، ذلك لانها الضمانة الكبرى لتمكن حب المعرفة من القلوب ، وسيطرة الفضول الفكري على العقول ، وتجنيد الرأي العام الادبي للجهاد الفكري في سبيل الاقتراب من المثل الاعلى ، فالفرد عند ما تتمكن منه هذه الروح يستهين بجميع العقبات ، ولا ينتظر ان تتاح له الفرص للانتاج ، بل هو الذي يخلقها ويهيىء لها الاسباب ، فاذا ضمت جهود الافراد العصاميين بعضها الى بعض ، خطا الادب خطواته الجبارة وارتفع في سماء الفكر عملاقا ضخما ، يبسط راحتيه ليهب هباته السخية الثمينة ، وكانت له اصداء تتجاوب بها رحاب النفوس ، وفي هذا المعترك ، وهذا الجو المتفجر للطاقات الادبية ينبثق النبوغ ، وهذا لا يتنافى مع ما قلناه سابقا من ان ظهور النبوغ لا يتوقف دائما على رقي الوسط الاجتماعي ، ذلك اننا لا نزيد على القول بان الوسط اذا كان لا يخلق النبوغ ، فهو قد يوجهه ، ويساعد على دفعه نحو الظهور ، مهيئا له الجو المناسب .

واستطيع القول بان تلك الروح العصامية التي تهيىء للنبوغ الجو وتؤثر في انبثاقه نادرة جدا عندنا في المغرب ، سرح الطرف في حياتنا الادبية على ضيق رقعتها ، تجد ان العصاميين منا اقلية ضئيلة جدا ، تكاد لاتذكر ، ولا يكون لها وزن بالقياس الى الاكثرية التي تاخذ الادب من اقرب موارده ومصادره ، وتكتفي منه بالشيء اليسير الذي لا يسمن ولا يغني من جـــوع .

ولكن لماذا كانت عندنا العصامية بهذه الندرة النادرة ؟

لا ارى هناك سببا واضحا يمكن الاطمئنان اليه ، فالعصامية قد تظهر ولا باعث على ظهورها من تقدم علمي ونهوض ادبي ، وقد تختفي وبواعثها موجودة ، ولكن اذا توفرت بواعثها كانت فرص ظهورها اكثر ، وظهورها لا بد ان يقترن عادة بالطبائع القوية ، والقرائح المتفجرة التي توهب لبعض الافراد ، فنحن نرى ان مئات المدارس وعشرات المعاهد لا تطلع الا عصاميين قلائل من بين آلاف الطلبة ، بينما نرى هناك بعض الاوساط التي كان التعليم فيها متأخرا وفي اضيق الحدود ، وبوسائل وطرق عقيمة ، ومع ذلك فقد برز منها العصاميون الذين تخطوا الرقاب وتربعوا على القمة ، ويحضرني الآن اسم المرحوم العقاد الذي يعرف القارىء الكريم عنه ما فيه الكفاية ، فهذا العملاق قد ظهرت عصاميته في وقت كانت فيه الاوضاع التعليمية والثقافية في مصر فاسدة عقيمة لا تساعد على ظهور العصاميين ، ولعل التحدي الذي يجدي العصامي الجبار من محيطه ومجتمعه ، هو الذي يحمله على مجابهة التحدي بتحد مثله ، فيصمد في موقفه ، حيث يكل العصاميون الذين يقلدن عنه عزما وقوة ارادة وموهبة، فلا ينقطعون عن مزاولة الانتاج ولكن يقصرون عن ادراك شأوه ومجاراته في خطواته الجبارة ، وهنا نلتقي بتلك الفكرة القديمة التي تقول بان الاديب النابغة انما هو ابن الشقاء والحرمان . فالالم ـ ذلك الزاد الالهي الذي تقتات منه الارواح على حد تعبير بعضهم ـ يعمق احساسه بالحياة ، ويضاعف من شعوره بما تفعله الايام ، فينعكس ذلك على ادبه ، ويزوده بمادة غزيرة من العواطف الجياشة ، والمشاعر المتدفقة ، وعندي ان هذه الفكرة ليست صادقة على الاطلاق ، فاذا صحت بالنسبة الى بعض الافراد الذين يكيف الالم طبائعهم ، فهي لا تصح بالنسبة الى آخرين جبلوا على طبيعة متفتحة متفائلة رضية ، وكثيرون هم الادباء الذين عاشوا في ظروف مواتية ، واحاطتهم النعمة من كل جانب، فبرزوا واجادوا في فنون القول وكانوا ملء السمع والبصر .

فاس ـ عبد العلي الوزاني

« اللامعقـــول ... او الفـــن المريـــض »

اللامعقول ، دعوة متشائمة مريضة قام بها من اللاجئين المجتثين من اصولهم الاجتماعية والمقيمين الآن بباريس ، مثل يوجين يونيسكو الروماني الاصل ، وصموئيل بيكيت الارلندي الاصل، وآداموف الارمني السوفياتي الاصل ، وهم قوم كفروا بالحياة فظنوا انها لم تعد تسير على منطق مفهوم او قابل للفهم ، وان بديهيات العقل البشري قد انهارت ، ولم يعد هناك وجود لقانون السببية ، وقانون الهوية الذاتية ، وقانون التناقضات الفكرية ، واخذوا يرسمون صورا لا معقولة يزعمون انها المرآة الصحيحة لحياة البشر المعاصرين ، وأنا ارفض هذه الدعوة اليائسة المتشائمة، وادعو الى التمسك بسلامة العقل البشري ، وقوة ارادة الانسان القادرة على المحافظة على مبادىء العقل والفهم ، بل ، والسيطرة على الحياة .. . فانا من انصار ارادة الحياة ... بل وارادة القوه كما قال الشاعر الخالد :

اذا الشعب يوما اراد الحياة ❋ فلا بد ان يستجيب القدر

« الدكتور محمد مندور »

حاجتنا الى تفكير مغربي

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

لا اريد ان يتسرب الى ذهن بعض القــراء اني اقصد من وراء هذا البحث ان اضع حــدودا للتفكيــر الانساني او ان ادعو الى « المحلية » فى الفكر والثقافة والعلم والادب . فاني بعيد من الذين يدعــون الــى التضييــق الفكــري بــريء مــن حزبهــم ولكــن غرضي الاسمــى هو ان لا نخرج بفكرنا نحــن المتقفين المغاربة عن الاهتمام بقضايا الوطن وشــؤون المواطنيــن وان لا نغوص فى احاديث لا تتجاوب مــع مطالب مجتمعنا وآمال قومنا ومتمنيات اخواننــا المواطنين كما ان الغاية القصوى من هذه العجالــة هي الدعوة الى عدم استيراد الافكار من الخــارج ومحاولة تطبيقها فى بلادنا رغم ما لبلادنا من حــدود لا يمكن ان تتجاوزها وطاقات لا تستطيع ان تفوقهــا وامكانيات بشريــة وطبيعية من الصعب حملها علــى مــا لا تستطيعــه واقحــام وطننــا فــي كل ما هو فى منأى عنه . وقــد عرف المغرب قبــل الاستقلال وبعده على الخصــوص محاولات كثيرة فى هذا السبيل كان قصد اصحابها بث بعض الافكــار الغربية والنظريات الاجنبية الجليلة فى حد ذاتها ولكن هذه المحاولات ذهبت ادراج الرياح لانها وان وجــدت من جماهيرنا آذانا صاغية وقلوبا واعية ، كانت مــن القوة والمنعة بحيث لم تستطع ان تلتحم مع شعــور المواطنيــن ولا ان تتجاوب مع مطالبهم ورغباتهم .

وقد ادرك جميع المتقفين ان هذه المحاولات لــم تستطع ان تنفذ الى اعماق المواطنيــن لانها كانــت كبيرة عليهم عظيمة بالنسبة لطاقة ادراكهم وتفكيرهم رغم محاولاتهم اليائسة للاخذ بارسانها والعض عليهــا بالنواجــد .

ولكن انى لهؤلاء المواطنيــن ان ينصهروا مــع افكار منتحلة بعيدة عن الطبيعة المغربية متباينــة وميول الجماهير فى بلادنــا متباعدة عن كل ما الفــه المواطن المغربي منذ عرف ان المغرب وطنه الذي نشــا فيه وترعرع وتربى فوق ترابــه .

وقد اتفق علماء الاجتماع على حقيقة لا تقبــل الرد وهي ان المجتمعات البشرية لا تستطيع ان تهضم من المبادىء والافكار الا ما يوافق طبيعة اعضائها ومناخ اقطارها بل ذهب البعض من هؤلاء الــى اعتبار هذه الحقيقة قاعدة يقاس عليها فى كل شيء ، وادى حب التدقيق والايضاح بعضهم الى تعداد مميزات بعــض الشعوب وسماتها وخصائصها ومحاولة الموافقــة بينها وبين طبيعة هذه الشعوب الفيزيقية والجويــة والارضيــة .

وبلادنا التي تجتاز فى هذه الظروف مرحلــة دقيقة من تاريخ تطورها فى حاجة ماسة الى مــن يعتنــي بشؤونهــا فيعكف على دراســة خصائصهــا ومميزاتها وينكب على التحقيق والعمل المتواصــل فى اطار ذاتيتها وفى نطاق اقليميتها . فالمغرب بلاد فتية لا زالت تجري فى عروق ابنائها دماء الفتوة والحيوية والنشاط وهو ينتظر من ابنائه فى هذه المرحلــة الحاسمة مرحلة البناء والتشييد سواعــد وطنيــة وعضلات مغربية تعرف طبيعة ارضها وفتوة ترابهــا وصفات احجارها ومميزات مائها وعلة هوائها حتــى لا يكون هذا البناء موضوعا على اساس غير متيــن ودعائم غير مرصوصة وحتى يضع اللبنات بناة وطنيون فكرة وعقيدة واساة مغاربــة يعرفون اســرار الــداء وخفاياه حتى يسهل عليهم ايجاد انجع الدواء واطيبه .

والمغرب فى هذه الفترة الحاسمة يتطلب مجهودات جبارة لتحسين احواله الاجتماعية والاقتصاديــة والسياسية وهو امام اختيارات صعبة لانه يشاهــد التجارب التي تقوم بها عدد من الــدول والشعوب فى العالم ويراقب عن كثب النتائج التي ستتمخض عنهــا هذه التجارب فى مختلف الميادين وليــس من الممكن ان تبقى بلادنا مشدوهة امام تجارب الغيــر بل لابد لها ان تخط لنفسها خطة وتضع منهاجا تسير على ضوئه ولكن نجاح هذه الخطة رهن بمن سيقوم بها ومتوقف على

الافكار البشرية التي ستهتم بوضعها . ومن هنا ستبدو لنا الصعوبة التي تلقاها بعض التجارب التي لا تتفق وعقلية الشعوب التي تجري بها والتي لا تجد اصداء شعبية تباركها لانها كثيرا ما تكون بعيدة عن روح هذه الشعوب مخالفة لآمالها العظيمة وامانيها الجسيمة متحدية لشعورها الوطني متناقضة مع ميولها الفطرية ومشاعرها الطبيعية .

وليس غريبا ان نرى بعض التجارب تخفق رغم اخلاص القائمين بها وتفشل بالرغم عن حسن النية عند اصحابها لانها كانت عبارة عن نقل اشياء من الخارج فتن بها الاغمار وحاولوا قسرا ، تطبيقها في ارض اجنبية عنها .

وكثيرا ما يعتقد بعض المغفلين ان الانسانية طبيعة واحدة لا يشذ عنها الا سكان بعض النواحي النائية في الكرة الارضية نظرا لوجودهم في مناخ مخالف للمناخ العام وطقس عنيد متباين مع الطقس المعتدل الذي يشمل جل اركان المعمور ، وقد تبدو هذه الفكرة وجيهة في حد ذاتها لان ربوعا كثيرة من العالم يشملها طقس مماثل ومناخ مقابل مع اختلاف غير قليل في الحرارة والرطوبة وتباين لا يستهان به في الارتفاع والانحدار اللهم الا ما كان من بعض الجهات النائية كالاقطار المجاورة للقطبين وبعض البلدان التي لا تعدو صحارى قاحلة وغابات متكاثفة والتي لم يستطع سكانها الاصليون الخروج من حياتهم البدائية الى حياة مدنية راقية رغم وصول اشعة الحضارة الانسانية اليهم وانوار المدنية البشرية الى جوارهم . ولكن نقطة الخلاف في الموضوع هي ان هؤلاء المغفلين لم يعتبروا شيئا حسبوه يسيرا وما هو باليسير في اختلاف هذه الشعوب وهو التباين الموجود في العقلية والتباعد الواضح في التفكير والتنافي الكامل في الطباع ، فهل يعقل ان يطبق في افريقيا ما يطبق في آسيا او في اوربا ؟ وهل يعقل ان تنفذ نفس السياسة في كل من امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ؟ كلا ثم كلا ! والله . .

لقد حاولت الصين ان تقتفي آثار روسيا السوفياتية في السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع ولما وصلت الى نصف الطريق وجدت نفسها في خلاف كامل مع قدوتها بل ان الخلاف ما عتم ان تقوى وتعزز حتى اصبح يهدد الكتلة الشيوعية كلها لان لكل من البلدين عقلية خاصة ولم يستطع احد منهما ان يتقمص شخصية الآخر ولا ان يطبق سياسته بالحرف فنشأ عن ذلك نزاع شديد وخصام عتيد قد يهدد النظام الشيوعي برمته .

وياليت المفكرين يعتبرون بهذا المثال الحي الذي مافتىء يصرخ في وجوهنا جميعا مؤكدا ان لكل بلاد عقلية ذاتية يجب ان تحترم وتفكيرا محليا ينبغي ان يقدر ويعظم .

ولعل ميدان الفكر والثقافة اوضح ميدان يتعين فيه على الانسان ان يعتبر هذه الحقيقة ولا يعدو طورها . ولعل عدم وعينا لهذه الحقيقة هو السبب فيما يعترض تطورنا الثقافي من عقبات كأداء ما زلنا لم نستطع حتى الان ان نتخطاها وحواجز شائكة لم نقدر بعد على التغلب عليها . .

فقد احتكر النشاط الثقافي في بلادنا فريقان تتنافى ميول الواحد منهما ميول الاخر وظن كل حزب منهما ان الصواب ما ارتآه افراده وطبقوه وان الضلال كل الضلال في اتباع منهج الفريق الثاني .

اما احدهما فقد استمسك بالثقافة العربية الاصلية معتبرا انها خير مخرج لبلادنا من ظلمات الجهل والجمود الى نور المعرفة والحيوية ، فعكف المنتمون اليه على دراسة تراثنا العربي القديم وابراز اعظم جوانبه الخفية التي طمستها معالم الحضارة المعاصرة واشباح التيارات الفكرية الجديدة . وقد تخصص اصحاب هذا الفريق الاول او كادوا يتخصصون في القيام بدراسات تاريخية قيمة وابحاث لغوية متينة واقتباسات فكرية قديمة ونظرات في الادب الفكري الكامل تاركين ، ظهريا ، كل ما له مساس بحاضرنا الذي يهمنا امره وتجرنا عجلته معرضين كامل الاعراض عن كل انتاج حي يتلاءم ووضعنا الثقافي الحالي ويضع الخطط لمستقبل حضاري زاهر .

اما الفريق الثاني فقد اقبل على الثقافة الحديثة اقبال المتعطش الهيمان على الماء القراح وتهافت اشياعه واتباعه الكثيرون على كل ما تنتجه المطابع الغربية والاجنبية بالقراءة والدراسة والمطالعة والتمعن واللهفة والتذوق معتقدين انه احسن ما يتعين على مثقفي العصر ان يقراوه ويتدارسوه ويتمعنوه ويتفهموه بل ذهب الطيش والخطل ببعضهم الى اعتبار هذه الثقافة الحديثة وحيا منزلا وكتابا مقدرا وقضاء مقضيا من اخذ به نجا ومن خالفه غوى . اما الدراسات اللغوية والابحاث التاريخية فانها لا تخرج في نظر اصحاب هذا الفريق عن اجترار اغذية قديمة ان لم تكن قد فقدت الطعم فانها قد فقدت على الاقل المواد المقوية التي كانت تحتوي عليها في زمانها الغابر والفيتامينات التي كانت تتوفر عليها في عهدها الماضي .

يتبع ــ الرباط : عبد اللطيف احمد خالص



- 2 -

وبازدياد حركة الاستعمار الاوربي توافرت كمية المعلومات عن القبائل البدائية واستفاضت ، وقد انبرى عالمان وهما تيلور ومرغان يحاولان سوق تلك المعلومات وتوحيدها في مجرى علمي ، وكلاهما كان متأثرا ، في محاولته هذه ، بنظرية داروين التطورية ، ولكن هناك اختلافا بينهما في اخضاع الدراسات الانثربولوجيا لمبدأ التطور .

فمرغان حاول استخلاص المراحل التي مر بها التطور الاجتماعي ، واعتمد في ذلك على كتاب « حق الام » الذي نشره العالم السويسري باخوفن سنة 1866 ، كما قام بدراسات خاصة في بعض قبائل امريكا الشمالية ، وانصب اهتمام مرغان على بحث النظم القرابية والسياسية والاجتماعية ، وحدا به شغفه بذلك الى شد الرحال الى مواطن الهنود الحمر ، وارسال قوائم باسئلة معينة الى المبشرين والمغتربين في شتى جهات العالم البدائي ، والى جانب هذا فقد استوعب مرغان كتاب السير هنري مين « القانون القديم » . وتمخضت كل هذه الجهود العلمية عن ابحاث ضخمة نشرها مرغان في كتابين قيمين : الاول سنة 1870 تحت عنوان « نظم روابط الدم والمصاهرة بين العائلة الانسانية» والثاني سنة 1878 باسم « المجتمع القديم » .

واهم ما توصل اليه مرغان من نتائج ان المجتمع الامي اقدم من المجتمع الابوي ، وان ظهور اول عائلة كان بعد مرحلة من الشيوع الجنسي البدائي . لقد كان نظام الزواج ان تتزوج مجموعة من الاخوة والاخوات ، في طبقة العمر ، ونظرا لصعوبة تحديد الاب كان لا بد من اتباع النسب الامي ، وما يلحق هذا النسب من تنظيم اجتماعي خاص ، ولم يظهر النسب الابوي الا بعد تطور الحياة الاقتصادية وخصوصا نشوء الملكية الفردية والارث ، ثم انتهى تطور نظام الاسرة الى ما هو عليه الحال في اوربا الحديثة حيث الاسرة الابوية التي تتكون من اب واحد وام واحدة . وكان مرغان يعتقد ان تطورا سياسيا لازم تطور الاسرة والحياة الاجتماعية ويضع مرغان للبشرية ثلاث مراحل حضارية ، لكل مرحلة ثلاث درجات : مرحلة الهمجية ، فمرحلة التبربر ثم اخيرا مرحلة المدنية .

اما تيلور فقد دخل الميدان من باب آخر ، فنزع الى دراسة وتحليل المظاهر الحضارية بناء على مقياس عقلي ، وذلك قصد البرهنة على ان التاريخ الانساني جزء لا يتجزأ من تاريخ الطبيعة . كان تيلور يعتبر ان تفكير الانسان ورغباته وفعالياته تتفق وقوانين محددة كتلك التي تتحكم في حركة الامواج ونمو الحيوان والنبات . ولقد اراد تيلور في كتابه الشهير « الحضارة البدائية » المنشور سنة 1871 ان يبين ويثبت انه من الممكن اقامة علم للحضارة على اساس المقارنة . ولعل اهم ما اسفرت عنه بحوثه هو فكرته عن الحضارة او الثقافة بانها «ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والعرف وكل المقدرات والعادات التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في مجتمع » . وبالرغم من تفاني تيلور العلمي فان نتائج مجهوده العظيم جاءت ملغية للاختلافات الصارخة بين الثقافات بحكم نظريته التطورية البسيطة : يرى تيلور ان التطور يبدأ اولا بمرحلة الاعتقاد في الارواح وقوة الارواح ثم يتطور الى مرحلة الاديان والعقائد المختلفة ، وينتهي بالنظرة العلمية . ويعتقد تيلور ان الظروف المتشابهة تخلق عقائد متشابهة ، وان كان في ذات الوقت يؤمن بانتشار الحضارات . ومن جهة اخرى فقد كان هذا العالم يعترف بالتدهور او الركود الحضاري ولكن هذا الاعتراف لم يكن ليغير من طبيعة نظريته البسيطة القائلة بان التطور التدريجي من اسفل الى اعلى ومن اللامعقول الى المعقول ، فالتطور الثقافي في نظره تطور ميكانيكي تسود فيه الاضافات الكمية والطرح الكمي دون الكيفي .

كان ادوارد تيلور يمثل الرجل الانجليزي المثالي في عهد بلغت فيه بريطانيا حد الكمال في التنظيم الاجتماعي والتقدم المدني ، كما كان معتقدا . اما لويس مرغان فكانت بلاده امريكا تعيش على عهده في طور بناء اسس دولتها ، وتتطور في قفزات هائلة ، وتتعامل مع القبائل الهندية ، لذا نلاحظ على كتابات تيلور روح متعالية ، وان كان يشوبها بعض العطف على بعض القبائل التي تحكمها بريطانيا ، في حين نلمس في كتابات مرغان تقديرا عميقا لقيم الحضارة لدى الهنود الحمر .

وقد اقتدى بتيلور او مرغان عدد من العلماء ، والذين اتبعوا تيلور واشهرهم جيمس فريزر واندلاند انتهى بهم المطاف الى هتك الحجب عن العلاقات التاريخية بين الحضارات، بينما اولئك الذين تتلمذوا على مرغان واهمهم درلا ت وجورج طومسون انكبوا على دراسة نظام القرابة على اعتبار انه الاساس في التركيب الاجتماعي البدائي . ثم ظهرت ضرورة البحوث الانثربولوجية الميدانية (في عين المكان) ، فظهر عدد من البحاث الحقليين مثل بواس وتيلقون في امريكا ، وريفرز وهادون وسلغمان في انجلترا ، ولكن كل ابحاث هؤلاء العلماء النظريين منهم والعمليين ، لم تفلح في صياغة وتوحيد آراء تيلور ومرغان في نظرية مقبولة ومنهج عام محكم . وغدت المادة المتراكمة عن طريق مختلف البحوث تجسم الشعور بان الانثربولوجيا تعاني نقصا منهجيا يجعل اخضاع المعلومات الضافية للتحليل ضربا من المستحيل .

وكرد فعل للاتجاه الانثربولوجي الانجلوساكسوني ، قامت المدرسة الاجتماعية الفرنسية بزعامة اميل دوركيم (1858 ـ 1917) لتصب جام نقدها العلمي على محاولات العلماء الانجليز الرامية ، خطأ ، الى فهم الحضارات البدائية عن طريق مفاهيم ومصطلحات الحضارة البريطانية في العصر الفيكتوري . والواقع ان كتابات دوركيم اثرت بشكل عميق على العلم ووجهته وجهة جديدة بفضل ما ورد فيها من نظريات اجتماعية عامة ، طبقت على يد دوركيم نفسه او على يد فئة من زملائه وتلامذته الموهوبين ، في دراسة المجتمعات البدائية بمهارة واستبصار يدعوان الى الاعجاب والتقدير .

ويمكن تلخيص موقف دوركيم في انه لا يمكن تفسير الحقائق الاجتماعية في حدود علم النفس الفردي ، لان تلك الحقائق توجد خارج عقول الافراد ومستقلة عنها ، فاللغة مثلا تكون موجودة قبل ان يولد الفرد في المجتمع الذي يتكلم بها ، كما انها تظل موجودة بعد ان يموت ذلك الفرد ، بينما يتعين عليه هو ان يتعلمها كما تعلمتها من قبل كل الاجيال السابقة وكما ستتعلمها كل الاجيال اللاحقة ، فهي حقيقة اجتماعية ، او هي شيء قائم بذاته ولا يمكن فهمه الا في علاقته بالحقائق الاخرى التي من نفس النوع ، اي كجزء من نسق اجتماعي وفي حدود والفاظ وظائفها في المحافظة على ذلك النسق .

ويرى دوركيم ان الحقائق الاجتماعية تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال وعلى القهر . فكل اعضاء المجتمع لهم ـ على العموم ـ نفس العادات واللغة والاخلاق ، كما انهم جميعا يعيشون في نفس الاطار من النظم السياسية والاقتصادية ، وكل هذه الاشياء تؤلف بناء له درجة معينة من الثبات والاستقرار ، بمعنى انه يستمر في الوجود فترات طويلة من الزمن يحتفظ خلالها باهم مقوماته التي تنتقل من جيل الى جيل

اما الفرد فانه يمر فقط خلال ذلك البناء الذي يجد نفسه فيه ، فالبناء الاجتماعي لم يولد معه ولن يموت بموته ، لانه ليس نسقا فيزيقيا ، وهذا البناء يسوده شعور جمعي يختلف تمام الاختلاف عن الشعور الفردي . وتمتاز الظواهر الاجتماعية التي تؤلف في مجموعها البناء بانها ظاهرات ملزمة ، فالفرد الذي لا يذعن لها يتعرض للعقاب والمآخذ . والفرد في العادة لا يشعر باية رغبة ـ بل ولن يجد الفرصة ـ لان يفعل سوى ما تقضي به تلك الظاهرات ، فالطفل الذي يولد في فرنسا من ابوين فرنسيين لن يجد امامه الا ان يتعلم الفرنسية ، ولن يرغب في غير ذلك . ان مجموعة القيم والعقائد والعرف التي يتعلمها الفرد في المجتمع من المجتمعات ويقبلها ويحيا بها ثم يورثها لغيره هي في نظر دوركيم « تصورات جمعية » . وقد قام لوسيان ليفي بريل (1857 ـ 1939) بدراسة رائعة عن المحتوى الفكري او الذهني لتلك التصورات الجمعية في سلسلة من الكتب بين فيها ان المعتقدات والاساطير وعلى العموم كل الافكار التي تسود في المجتمعات البدائية تعكس البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات ، وهذا هو السبب في اختلافها من مجتمع لآخر ، وعلى هذا كرس بريل نفسه لتوضيح ان هذه المعتقدات تؤلف نسقا متماسكا يرتكز على مبدا منطقي يسميه « المشاركة الغيبية » . والحقيقة ان دراسته لهذا الموضوع كانت تحليلا بنائيا لا يقل شأنا عن ابحاث دوركيم . ولكن بينما يهتم دوركيم بتحليل انواع النشاط الاجتماعي المختلفة فان ليفي بريل يحلل الافكار المتعلقة بهذا النشاط .

هكذا اكدت المدرسة الفرنسية ان الحضارات البدائية تقوم على قيم مختلفة عن القيم الاروبية ، اساسها التماسك الاجتماعي وان اكبر مظهر في الحياة النفسية البدائية هو التمثيل الجماعي اي ان الفردية متهافتة ، وقد ذهب ليفي بريل الى ابعد من ذلك فقال : بان البدائيين يعيشون في عالم لا معنى فيه للمنطق . وقد لعبت موسوعة « الحولية الاجتماعية » دورا كبيرا في بلورة ونشر آراء علماء هذه المدرسة وخصوصا بعد وفاة عميدها مرسيل موس . وينتقد على الانثربولوجيين الفرنسيين عدم اهتمامهم بالفوارق الكبيرة بين مجتمعات العالم البدائي الا انه من جهة اخرى يعترف بفضل توجيه الاهتمام الى الدور الكبير الذي تلعبه الطقوس البدائية في حياة البدائيين وبوضع النظرية الشارحة لكيفية تمخض تلك الطقوس عن رموز هي ما تسميها المدرسة بالتمثيل الجماعي ، وهي ذات مدلول هام في الفن والدين لدى البدائيين .

(يتبع)

الرباط : العربي محمد الزنايدي

وجوه التشابه بين الأمير عبد القادر الجزائري والإمام الشيخ شامل القوقاسي

للأستاذ: عبد القادر القادري



اخذت هذه الصورة الفريدة التي تمثل هذا اللقاء التاريخي ، في بور سعيد عام 1863 للامير عبد القادر الجزائري (رقم 1) والامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية (رقم 2) في القرن الماضي . ويحف بهما خديوي مصر محمد سعيد ، وفيردناند دوليسبس حافر قنال السويس

نشرت مجلة « جون افريك » التونسية في عددها رقم 221 المؤرخ في 28 يبراير 1965 انطباعات الكاتب الجزائري « كاتب ياسين » عن رحلته عبر اقطار آسيا الوسطى الاسلامية المنظمة الى الاتحاد السوفياتي وزينتها بصورة شمسية نادرة اخذت في بور سعيد عام 1863 م للامير عبد القادر الجزائري بطل الثورة الجزائرية في القرن الماضي ، وللامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقازية في القرن الماضي ايضا ، يحف بهما خديوي مصر محمد سعيد وفيردناند دوليبس حافر قنال السويس .

والصورة المذكورة من الصور النادرة التي قد توحي للمؤرخين المسلمين بكتابة المجلدات عنها ولشعراء الاسلام بنظم القصائد العصماء عنها ، وقد اوحت هي لمحرر هذه السطور بهذه المقارنة للعبرة . .

فالامام الشيخ شامل القوقاسي على نمط الامير عبد القادر الجزائري خرج من المشيخة الى الامارة وتناول السيف عن طريق القلم .

ورفع الامير عبد القادر الجزائري السلاح في وجه جيوش امبراطور فرنسا شارل العاشر عام 1832 م كما رفع ايضا الامام الشيخ شامل القوقاسي السلاح في وجه جيوش قيصر روسيا نيقولا الاول عام 1832 م .

فدامت الثورة الجزائرية بقيادة بطلها الامير عبد القادر الجزائري زهاء خمسة عشر عاما ، كما دامت الثورة القوقازية بقيادة بطلها الامام الشيخ شامل القوقاسي زهاء خمسة وعشرين عاما .

وسلم الامير عبد القادر الجزائري نفسه الى الفرنسيين على يد الجنرال لاموريسيير في 23 دجنبر 1847 م ، كما سلم الامام الشيخ شامل القوقاسي نفسه الى الروس في 6 سبتمبر 1859 م ، فسمح له قيصر روسيا اسكندر الثاني بالذهاب الى الديار المقدسة كما سمح امبراطور فرنسا لويس نابليون للامير عبد القادر الجزائري بالذهاب الى الديار الشامية ، فمكث فيها البطل الجزائري الى ان وافاه الاجل المحتوم عام 1883 ودفن بمقام الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي في الصالحية بدمشق ، كما مكث الامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية في المدينة المنورة الى ان وافاه الاجل المحتوم عام 1871 م فدفن فيها .

واطلقت عليه الصحافة ابان معارك الثورة القوقاسية اسم عبد القادر القوقاسي ، وبذلك كان هذا الاخير سمي عبد القادر الجزائري .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الباب ان المقارنة التي نقلها « كاتب ياسين » عن المستشرق الفرنسي فانسان مونتيل صاحب كتاب « المسلمون السوفياتيون » حول المغرب وعزبكستان وحول مدن الدار البيضاء وفاس وطشقند وسمرقند من حيث عدد سكانها قد عول فيها على احصاءات عام 1952 لسلطات الحماية في المغرب لا على احصاءات المغرب وهو مستقل ، حيث ان عدد سكان الدار البيضاء وفاس قد ازداد زيادة ملحوظة في عهد الاستقلال ولا علم لنا هل الزيادة في عدد السكان قد وقعت كذلك في طشقند وسمرقند لقلة المصادر .

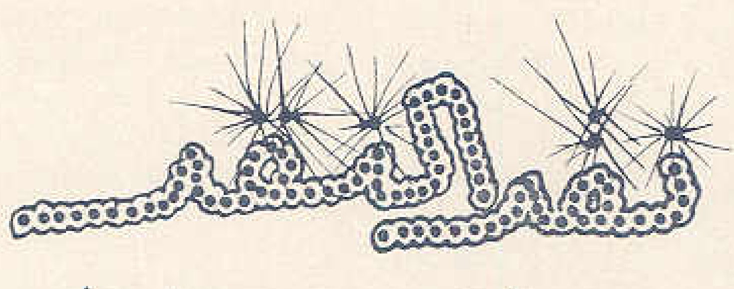
كما ان بلاد الجزائر التي حصلت على استقلالها في الاعوام الاخيرة بفضل ثورتها المسلحة وبفضل خروج فرنسا ودول اوربا الغربية منهوكة القوى في الحرب العالمية الاخيرة وبفضل انفصالها — اي الجزائر — عن فرنسا بحرا ، لان البحر له دور عظيم في احراز بلدان افريقيا وآسيا على استقلالها اخيرا كما كان له سابقا في اكتشاف امريكا واستعمار الجنس الابيض الاوربي لها ولافريقيا وآسيا ، اقول بفضل العوامل الثلاثة : الثورة المسلحة — الحرب العالمية الثانية — البحر ، التي ادت الى استقلال الجزائر وغيرها من بلدان افريقيا وآسيا ، استطاع احد كتاب الجزائر وهو كاتب ياسين القيام برحلة عبر اقطار آسيا الوسطى الاسلامية المنضمة الى الاتحاد السوفياتي وهي : عزبكستان — تركمانيا — تاجكستان — قرغيزيا — قازاخستان — اذربيجان ، ونشر انطباعاته عن رحلته لتلكم الديار الاسلامية التي انجبت الامام البخاري صاحب الصحيح ، والزمخشري صاحب الكشاف ، ويوسف السكاكي صاحب المفتاح ، وعبد القاهر الجرجاني صاحب اعجاز القرآن ، والسرخي صاحب المبسوط ، والجوهري صاحب الصحاح ، والامام الترمذي ، والنسائي ، والتفتازاني ، والماتريدي ، والفارابي ، والفرغاني والبلخي ، وابن سينا ، والنسفي صاحب تفسير القرآن ، والامام الشيخ شامل القوقازي وغيرهم ...

فمتى يقوم احد كتاب المغرب بزيارة تلكم البلدان الاسلامية في الاتحاد السوفياتي لتاليف كتاب عنها بالعربية للتعريف بها لقراء لغة الضاد .

الرباط : عبد القادر القادري







للأستاذ : عبد الله العمراني

تقديم

الكاتب العربي الدكتور محمد مندور ، أديب فذ ، وناقد ممتاز ، وصحفي لامع ، كرس حياته داعيا الى سبيل تحقيق الادب الرائد الهادف الذي يسعى الى تطوير الحياة الشعبية دائما الى الامام بالكشف الدائم عن منابع الشر ... له آثار ادبية هامة فى هذا المجال .. ورسالة دكتوراه فى الادب ، هي الكتاب الذي اصبح الآن مرجعا اساسيا فى جميع الجامعات العربية والمعروف اليوم باسم : « النقد المنهجي عند العرب » الذي يعاد طبعه كل عام لحاجة الجامعات العربية اليه ، وله كذلك كتاب : « النقد والنقاد المعاصرون » الذي تناول فيه طائفة من النقاد المعاصرين ، وهذا الكتاب هو الذي يتناوله اليوم بالنقد الاستاذ السيد عبد الله العمراني ....

التحرير

يعتبر الدكتور محمد مندور من الباحثين والنقاد العرب المعاصرين . وله آثار ادبية هامة فى هذا المجال، مثل كتابه « النقد المنهجي عند العرب » ومثل « النقد والنقاد المعاصرون » . ويهمنا هذا الاخير الذي لا ادري متى صدر عن مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، لان الطبعة خالية من تاريخ الصدور ، وكل ما ادريه اني اشتريته امس وشرعت فى قراءة صفحاته الاولى، فهالني ما وجدت فيها مما سأعرضه عما قريب على انظار القراء الكرام .

تناول الدكتور مندور طائفة من النقاد المعاصرين، وجعل فاتحتهم الشيخ حسين المرصفي باعتباره واحدا من رواد النقد الحديث ، ولا ازعم اني قد قرات الكتاب كله ، ذلك اني فى الحقيقة لم استطع ، ووجدت نفسي مضطرا ان اتركه جانبا — والى حين — لكي احرر هذه المقالة التي عنونتها بنقد النقد ، وان كانت فى الحقيقة نقدا لبعض صفحاته الاولى التي عالجت موضوع الشيخ حسين المرصفي ذلك الاديب الجليل المتوفى سنة 1307 هـ 1889 م وليست نقدا للكتاب كله .

لايكاد القارىء يفرغ من قراءة مقدمة كتاب « النقد والنقاد المعاصرون » ، حتى يشعر بطابع الاستعجال — وربما الارتجال — فى طبع الكتاب واخراجه للوجود ، قبل التمكن من مواد الموضوع ، خصوصا ان الكتاب كتاب نقد ، وتمحيص ، وتمييز ، للغث من السمين .

والظاهرة الثانية التي تصادف قارىء الموضوع الاول من الكتاب هي اعجاب المؤلف بالشيخ المرصفي وبجهوده فى التاليف والنقد ، وخاصة فى كتابه الضخم « الوسيلة الادبية للعلوم العربية » الذي هو عبارة عن

المحاضرات التي كان القاها على طلبة (دار العلوم) التي انشئت لاول مرة سنة 1871 ، فكان هذا العالم الضرير من الذين وقع عليهم الاختيار للتدريس بها الى جانب علماء من العرب والعجم ، ان هذا يثير الاعجاب حقا ، وقد بلغ من اعجاب المؤلف بالمرصفي انه صار يتلمس تاثيره فى تلاميذه امثال الدكتور طه حسين استاذ الدكتور مندور .

كل هذا جميل ، ويعتبر عرفانا للجميل ان يذكر التلميذ استاذه او استاذ استاذه بالخير والتقدير والثناء ، غير ان الذي يدهش قراء الدكتور مندور او يؤسفهم حقا ، هو ان ذلك الثناء والاعجاب الذي يصبه على الشيخ المرصفي ، لم يكن فى محله ، ذلك ان الاراء النقدية التي اتى بها مؤلف (النقد والنقاد المعاصرون) على انها للشيخ المرصفي ، لم تكن فى الحقيقة للشيخ المرصفي ، بل كانت لغيره من فطاحل الامة العربية ، هو العلامة ابو زيد عبد الرحمن ابن خلدون صاحب المقدمة والتاريخ المشهورين .

لا اتوفر فى الوقت الحاضر على نسخة من كتاب (الوسيلة الادبية) لاعرف علة الخلط بين كلام المرصفي وكلام غيره ، بيد ان الكتاب ربما كان املاء مؤلفه الضرير على احد تلاميذه ، ولكن ، الم يكن فى مقدور الكاتب او الطابع ان يستعمل علامات الترقيم ؟ واذا لم تكن هذه غير مستعملة حينئذ ، افما كان للمؤلف او تلميذه ان يشير الى الاقتباس كما هي عادة القدماء فيقول مثلا : قال فلان . . . وانتهى كلام علان ؟ ؟ ثم الم يكن فى استطاعة الدكتور مندور وهو الناقد الحصيف ، ان يميز فى كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » بين الكلام الجديد كل الجدة فى عالم الادب العربي ، وبين الكلام الذي مر على قوله مات السنين ، وتدارسه الكتاب والباحثون فى اقطار المشرق والمغرب ؟ الم يكن فى مقدور الدكتور مندور ان يتانى قليلا ، ويرجع الى المظان والمراجع الاصيلة ، ويقارن بينها فيقع على الحقيقة الناصعة ؟ هذا ما اغفله للاسف ، ويظهر ان العصر عصر السرعة ، وان الفكرة المسيطرة كانت هي طبع الكتاب واخراجه ونشره كيفما كان الامر ، وحتى ولو كانت النتيجة نسبة كلام ابن خلدون الى الشيخ المرصفي .

يقول الدكتور مندور : (وايا ما كان الامر ، فان الشيخ حسين المرصفي ، يعتبر بلا شك من رواد البعث الادبي المعاصر ، ومن بناته الاصليين ــ على نحو ما نحس من قراءتنا لوسيلته الادبية الضخمة ، وبخاصة الفصول التي كتبها عن صناعتي الشعر والنثر ، وطريقة تعلمهما . . . . ومن اهم ما تحدث عنه الشيخ المرصفي فى وسيلته المنهج الذي رسمه لمعاصريه وتلاميذه لتجويد انتاجهم الشعري والنثري ، والسمو به الى مرتبة الادب العربي القديم البالغ الروعة والجمال ، فهو يوصي شداة الشعر مثلا بان يحفظوا اكثر ما يستطيعون من الشعر الجزل القديم مضيفا ــ وهنا موضع الجدة والطرافة (كذا) ــ ان ينسوا بعد ذلك ما حفظوه حتى لا يظلوا عبيدا له ، وحتى لا ينقلب شعرهم الى ترقيع من الذاكرة ، بدل ان يكون شعر حياة ومعاناة ، فيقول ص 468 وما بعدها من الجزء الثاني من الوسيلة : (اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته ، شروطا اولها الحفظ من جنسه ، اي من جنس شعر العرب ، حتى تنشا فى النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الاساليب ، وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة ، وكثير ، وذي الرمة ، وجرير ، وابي نواس ، وحبيب ، والبحتري ، والرضى ، وابي فراس ، واكثره شعر كتاب الاغاني ، لانه جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خاليا من المحفوظ ، فنظمه قاصر رديء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه ، او عدم ، لم يكن له شعر ، وانما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم ، وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ . وربما يقال : ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هي صادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها ، كانه منوال ياخذ بالنسج عليه لامثالها من كلمات اخرى) . انتهى كلام الدكتور مندور فى صفحتي 15 و 16 .

وما وضعناه بين هلالين (. . .) هو كلام ابن خلدون فى مقدمته الطبعة الازهرية سنة 1930 ص 505 بالحرف الواحد ، وليس ــ قطعا ــ بكلام الشيخ المرصفي . . . ثم استمعوا الى تعليق الدكتور على هذه الدرر : « وفي هذه العبارات جماع الاسس السليمة للبعث الشعري المعاصر ، بل لكل خلق شعري سليم . فالشعر لاتنمو ملكته فى النفس الا بكثرة مطالعة الجيد منه وحفظه ، كلما استطاع الشباب الى ذلك سبيلا .

وهذه هي الطريقة الوحيدة لتحصيل ملكة الشعر منذ اقدم العصور حتى اليوم وفي اللغات كافة .

« وبعد حصول هذه الملكة لابد من الدربة الطويلة على النظم ، والاكثار منه حتى تستحكم الملكة ، كما يقول الشيخ حسين بحق » (كذا) لا يستطيع المرء ان ينكر فضل الشيخ المرصفي وتبحره في العلم والادب ، ولكن مع ذلك ياخذنا العجب من انه او تلميذه لم يشر بتاتا الى انه اقتبس من ابن خلدون ، ثم ما اعجب امر الدكتور مندور الذي لم يدقق في النص فصار يضرب في حديد بارد ، على الرغم من ان اسلوب ابن خلدون معروف مدروس ويتم عن صاحبه تماما ... ثم يضيف الدكتور مندور قائلا : « واخيرا يقرر الشيخ حسين (اي ابن خلدون في الحقيقة) المبدا الثالث ، وان يكن لسوء الحظ اسهله بقوله : (ربما يقال) وكان الاجدر به ان يحذف حرف الاحتمال من هذا المبدا ، وذلك لانه من الضروري ان يتحلل كل انتاج شعري اصيل من الذاكرة لكي يصبح شعر حياة ... » (ص 17) . ثم يبدي الدكتور اسفه لعبارة « ربما يقال » وانا ارى ان ذلك الاحتمال او التقليل الذي افادته « رب » له مغزى عظيم لم يغب عن ذهن ابن خلدون الجبار على الرغم من تقدم عصره ، ذلك ان تجارب المربين والنفسانيين في العصر الحديث برهنت على ان الانسان لا يستطيع التخلص تماما مما حفظ ، وان نحو العشر يظل عالقا بالذاكرة .

وقبل ان يختم الدكتور كلامه على هذا الرائد « الذي بعث النقد التقليدي ، وساعد في حركة البعث الادبي كله وطرائقه » نراه يقول : ان الشيخ المرصفي اهتدى بفطرته السليمة الى بعض ما تردى فيه بعض نقاد العرب القدماء مثل قدامة بن جعفر عند ما عرف الشعر في كتابه « نقد الشعر » بقوله (انه الكلام الموزون المقفى) وجاراه في هذا التعريف جميع من خلفه ، على حين نرى الشيخ المرصفي (يعني ابن خلدون) بفطرته السليمة يقول (وقول العروضيين في حد الشعر انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر (1) باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة ، فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا ، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول : الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على اساليب العرب المخصوصة به) انتهى كلام الدكتور مندور من كتابه النقد والنقاد المعاصرون ص 24 وانتهى معه كلام ابن خلدون الذي وضعناه بين قوسين كبيرين (....) راجع المقدمة ص 504

ثم يعقب الدكتور مندور على هذا الكلام قائلا : « ويكفيه (اي الشيخ المرصفي) فخرا في هذا التعريف انه فطن الى خاصية اساسية تميز الادب عامة ، والشعر خاصة عن غيره من الكتابات ، وهي التصوير البياني بدلا من التقرير الجاف » . (النقد والنقاد المعاصرون ص 24) .

اجل ، يكفي المرصفي فخرا انه اتى بكلام ليس له فاستحق عليه التنويه من الدكتور مندور ، وعلى راي المثل العامي المغربي (سكسو الخادم وشنعة للاهــا) .

اما بعد ، فهذه كلمة عابرة اردت بها وجه الحق والنقد ، وليس لي من غرض غير لفت نظر الدكتور مندور ، كي يعمل على تلافي ذلك في المستقبل ، ولكي يسرع فيعيد تحرير الفصل الاول من كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » على اساس الحقيقة الجديدة الباهرة الناصعة .

تطوان : عبد الله العمراني

1) هنا سقط اخل بالمعنى ، ولا ادري ما اذا كان يوجد في الوسيلة الادبية ايضا . وتمامه : الشعر الذي نحن بصدده ، ولا رسم له ، وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار .... الخ .

حول ميزان زيّاد

للأستاذ : محمد بن تاويت

عرفت السيد زياد ، سنة 1950 ، يعمل بجريدة « العلم » ، فعرفته مرحا نشيطا ، حسن الاعتقاد في الناس ، ورأيته في تطوان سنوات المحنة التي حلت بالمغرب ، أثناء اقصاء العاهل المقدس محمد الخامس ، عليه الرحمة والرضوان ، ثم غاب عني ولم التق به الا في القاهرة اواخر سنة 1957

وما رأيت السيد زياد بعدها ، الا مرة واحدة ببناية الاذاعة في الرباط ، واخيرا وجدتني ، التقي به على صفحات هذه المجلة وهو يزنني ويزن غيري . . وانه للقاء حميد ، جعلني ادين للسيد زياد ، في اتصالي بكتاب طالما سمعت عنه ، ولم اقرأه . ولكنني بوحي من السيد الفاضل ، اتصلت بهذا الكتاب ، وقرأته وشروحه ، واستفدت منه ومنها ، وكان الفضل في ذلك كله راجعا الى صاحبنا السيد ، كما قلت . . .

هذا الكتاب هو « درة الغواص » للحريري ، فقد غصت فيه ، وما كنت قبله من الغواصين ، وصرت به من الخواص ، وما كنت أدري من قبل اني من هؤلاء الخواص . . .

ومع هذا كله ، فاني ما وجدت فيه صدى لما كتبته ، بل ما وجدت فيما كتبت صدى لما فيه ، فلعل السيد زياد قرأ الكتاب فنسي ما به ، او لعله قرأ المقال فنسي ما به ، وان كنت من المعتقدين انه ما قرأ المقال ، وانما قرأ عنوانه ، وكأني به يتلفظ بهذا العنوان من ثناياه ، في طراوة وندى ، ثم يتناول قلمه ، فيخط به تلك الكلمات المعدودات ، في طراوة وندى كذلك . . .

والا فكيف يتصور قارىء المقال ، ما ادعاه السيد زياد ، زاعما انه قرأ المقال ؟

وما علينا من جناح ، وما على السيد من مؤاخذة ، ولننتقل الى النقاش المجرد ، فنجد أن السيد يجعل تلك الاخطاء ، من طفيف ما يتغاضى عنه ويتسامح فيه ، لانه كما يقول : لايمس جوهر اللغة ، فهل بلغ به العلم ان يمكنه من هذا الحكم ، وهو اي الحكم بعيد كل البعد عن « الجوازط » ولفاتها ، والمتمرسين بها من رجالها ؟ لا ياسيدي ، انه العلم ، والمسألة ليست فوضى ، فان كنت تريد خوضه ، « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس » . . . ولا ترام ، فمصيبتنا ، في يومنا وفي امسنا القريب ، هي هذا الترامي ، على كل شيء . . . على الماديات اولا ، ثم على المعنويات . . .

ما هي المخاوف التي تتخوفها على التعريب ، من أن تعرف ما يجب أن تعرفه في هذه اللغة ، ولا نقول ان تعلم ، لان هذا من البساطة المتناهية ، التي لا تكلفك الا ان تعرف « لن » وتقاطع « سوف لا » او « سوف لن » ، وتعرف « الا » في الاستفهام ، وتهجر « هلا » فيه ، والسلام والامان التام ، ولا ضير على اللغة ولا عليك . .

ثم قل لي بربك ، اتجد في لغة من اللغات ، وفي لسان امة من الامم ، من يجحف بقواعدها من قومها ، ومن يهضم لها حقها منهم ، ويهدم حرمتها : ويبيح حماها ، فيدعو الى ان يتكلم بادوات استقبالاتها كما اريد ، وان يستعمل المتكلم بها والكاتب لها ما يريد في غير هذه الادوات ، فنتقبل منه مثل ذلك في لغتنا ، بل نشجعه في ذلك ، فرحين مسرورين ، صائحين له بهيا وهات . . .

ما هو التعريب الذي نحرص عليه يا سيدي زياد ؟

ليس المراد منه مجرد وضع كلمة محل كلمة اخرى ، فهذا ميسور ، حتى للغريب عن هذه اللغة ، وفى كثير من امثلة هذا التعريب الذي تفهمه ، فالمعاجم بحمد الله كثيرة ، والآفاق على اللغات اصبحت جد واسعة ، ولكن التعريب الحق ، والتعريب الذي خلق الله له رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، هو التعريب القائم ، على اللفظ (العربي) المركب (تركيبا عربيا) المفيد (افادة معقولة) بالوضع (العربي كذلك) . فهذا هو الكلام « فى التعريب » لا الالفاظ الجوفاء ، والمظاهر الخداعة الكاذبة العرجاء ...

اننا ان كنا نتناول اغلاط غيرنا بالتنبيه عليها ، فلسنا فى ذلك نصور عربيتنا « بعبوعا » كما قال السيد زياد ، وانما نريد فى تبسيط وتيسير ، وزيادة فائدة ، ان تنظف اللغة التي لوثها الجهل ، وتقحمها الجهلاء ، نريد ذلك غيورين عليها ، حامين لحوزتها ، مدافعين عنها ، من يريد انتهاك حرمتها ، فى جهل منه تارة ، وعبث منه تارة اخرى . ولا نريد فى هذه اللغة من يتبناها ، ويحدب عليها ، ولكنه ينزع منها رجلها ، فيضعها مكان ذراعها ، وذراعها فيضعها ، حيث اوصت العربية ابنها ، للشهرة ... وللشهرة فقط ... ولو بالتعليق ، كما قالت ، ونعوذ بالله .. من ان نعلق ما للحمير ...

مما ادركنا عليه الناس ، انهم يهزلون او يتندرون بقولهم : « الجبن سيد الاخلاق »

ولكن المتندرين الهازلين ، فى بعض المواطن ، قد يصبحون حكماء ، وهم لايدرون ، وقد تصبح كلماتهم توزن بالذهب ، ولا يفي لها الذهب حقا ، وللكلام مواطن ، فياتي ما كان هزلا جدا ، كما ياتي ما كان جدا هزلا ، ومن هذا : « الجبن سيد الاخلاق » ...

نعم ، انه سيد الاخلاق فى العلم ، وان فضيلة العالم لهي التثبت والتحري ، وعدم التسرع والتهور، فى مسائل علمه ، فالشجاعة فى ميدان العلم ، مهلكة واية مهلكة ، وما قضى على شخصيات العلماء ، الا كلمة – قد تكون – واحدة ، تشجعوا فيها ، او تهوروا فيها ، او كذبوا – سم ذلك ما شئت – فقال لهم العلم: « اخسأوا فيها ولا تكلمون » وقال لهؤلاء المتنطعين ، بقية الكلام ، وصدق فيما قال ... فان جبناء العلم « هم الفائزون » ...

وبعد فهذا كلام الوازن لمقالات العدد الماضي – وكان علينا ان نجعله قبل – ونترك للقارىء حكمه على السيد زياد ، زاد الله علم العلماء ، « شرفا وكرما ومهابة ورفعة وتعظيما ونعما » ، قال ، لافض فوه ، ولا كسر قلمه :

« أما الاستاذ محمد بن تاويت ، فانه اختار ان يكتب مقاله ، فى « سوف لا » و « هل لا » ، وهو مقال يندرج فيما كتبه الحريري ، فى « درة الغواص في اوهام الخواص » ، على انني لا ادري ، هل ما (كذا) يزال العصر والظروف تسمحان (كذا) بمثل هذه الصرامة ، فى اللسان العربي ام لا ، ولعله من الاحسن ان نتساهل فى هذا الباب ، ما دام الامر لا يمس جوهر اللغة العربية ، حتى لا يجد خصوم التعريب ، مبررا من هذه الصرامة ، يشنعون بواسطته على اللسان العربي ، ويقولون عنها (كذا) ما يقولون من انها (كذا) غول » هـ

ومعنى هذا – ونحن غاضون – ان نتنازل للمخطئين، كما يتنازل بعض الزعماء للتابعين، لا ان ننقذهم من ضلالهم ، كما يفعل الهداة من المصلحين ، حتى ولو كان هؤلاء المخطئون ، قد اصابوا اللغة العربية في صميمها ، وحطموا ذرة جوهرها ، ذلك الجوهر الذي هو كامن – لا كما يدعي السي زياد – فى مثل « لن » الاستقبالية ، و « الا » الاستفهامية ...

فما هكذا يكون « الكلام المركب المفيد » ، والا فما هو جوهر اللغة ؟ زدنا علما ياسيدي زياد ، واجرك على الله ، ولا تتركنا فى هذه الحيرة من امرنا وامرك ، وفي اية صفحة من صفحات الدرة ، وجدت منا تلك الفرة ؟ ، لا ياسيدي « ما هكذا تورد ياسعد الابل » ، فان كلماتك المضطربة المقتضبة فى آن ، لاتفيدنا شيئا ، بل لا تزيدنا الا بلبلة وهراء ، وفي لسان كل متجرىء ، قدرة على لوكها والقذف بها ، « وصاحبها لا يلقي لها بالا » ، ولو حاول ان يحكم بها على كل كلام ، لما صده عن ذلك اي ملام ، بل قال له « اصنع ما شئت » وانت القاهر ...

ان المجلة التي فسحت لك – كما فسحت لغيرك – صدرها ، لتسجل على صفحاتها ما فى مكنونك، ولتجلي فيها عرائس افكارك ، لم تهدف في هذا كله ، الا الى افادة القراء وتقويم الكتاب ، او افادتهم هم كذلك ، وما ارى هؤلاء القراء ، ولا اولئك الكتاب ، قد استفادوا شيئا من احكامك « الابتدائية » ، فلتعد

ميزانك الى جرابه ، ولتغمد سيف كتابتك فى قرابه ، ولا تستله الا حينما تكون قد سعيت الى الهيجـــاء ، وانت مزود بالعدة والعتاد ، ولتكن على ذكر من الآيـة الكريمة « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا » ، فاحسـن ولا تقسط الميزان ، « احسن الله اليك » ، ولا تبغ الفساد فى لغتنا العربية ، وانت تريد لها من الصلاح ما كان مشرفا ، ومن السيادة ما كان مطلقا ، حتى تكون ياسيدي زياد ، من خير العباد ، وأن تكون ممن قـال فيهم ربنـا : « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » ، وما اجدر بالاحسان أن تستعمله فى عربيتنا المهضومة ، وما اجدرك فى عملك المثالي ان يحلك فى مصاف العباد ، وأن يبوئك منزلة الزهـاد ، فيما يتهافت عليه المتهافتون ولا اريدك أن ترانا فيما نكتب ، نقصد به جمهور العوام، وعوام الجمهور ، حتى نتملقه ، ونستمـد رضـاه ، ونستميل هـواه ، بـل اننا نكتب لنخاطبك ونخاطب الزملاء منا ، ونحن بحمد الله فى مأمـن من سخطهم ، وفي بحبوحة من استحسانهم ، وفى غنى من شعـور الجمهور ، الذي لانعنيه ولا يعنينا ، بفضل الله وحسن عونه ، ومني عليك ايها الزميل أزكـى السلام ، ومـن لساني أطيب الكـلام ، والى اللقـاء فى فرصة قريبة ان شـاء الله .

محمد بن تاويت

آدم ... وأوادم

يذكر ابن العربي في كتابه « الفتوحات المكية » ما ثبت اليوم للعلماء المحدثيـن، من أن الجنس البشري ، قديم على سطح الارض ، وأن وجود الانسان يرجع الى مئات الوف السنين ، فيقول ابن عربي معللا ذلك :

« قبـل آدم الصغيـر ابي البشر ، كـان هناك اوادم كثيـرون ... »

وبهذا التعليل والتخريج المنطقيين سبق العلماء المحدثين بنحو سبعة قرون .

قـال ابو العلاء المعـري :

وما آدم ، فى مذهب العقل واحـد ※ ولكنـه عنـد القيـاس اوادم



للأستاذ: محمد الحلوي

عندما كتبت آرائي معقبا بها على استنتاجات السيد ابن تاويت في عناصره القرآنية التي لمحتها في ثنايا شعر امرىء القيس والمهلهل والخنساء لم اكن اقصد اثارة حفيظته او امتحان حلمه واحتماله لمناقشة آرائه ، فهذا ما لم اكن شاكا فيه ، ولكني قصدت فقط ان اسجل ما عن لي من آراء لا تتفق مع آرائه في نطاق حرية الفكر ، وتبادل الراي ، وما كنت اظن ان السيد الفاضل يبلغ به ضيق العطن ، وحراجة الصدر ، الى حد لا يقبل فيه ان يناقش ، ولا يحتمل معه ان يعقب عليه ولا يرضى ان يجري معه في الميدان كاتب ، ولا ان يتطاول على تصحيح افكاره متطاول ، لقد عقبت على السيد مرتين تجنبت خلالهما ما يند عن القلم في هذه الحالات من فلتات جامحة او نكت لاذعة قد يوحي بها للناقد تعصبه او ثقته بوجاهة رايه ، فقد اكتشفت بالتجربة ما طبع عليه ادباؤنا على اختلاف مستوياتهم – الا القليل – من جماح في الطباع ومماراة في الحوار حينما يتطاول ناقد على ارائهم فيناقشها فما ان تفتح بين اثنين منهما صفحة نقاش وحوار حتى يتحول الى ما يشبه مصارعة ثيران وحتى يتعدى نطاق الحوار الهادىء المتزن الى السخرية اللاذعة والدعوى العريضة والانانية المريضة .

ومن المؤسف ان لا يكون السيد ابن تاويت من ذلك القليل الذي ياخذ ويعطي ويناقش غيره في حدود من الحكمة والمنطق لقد جعلني اشعر وانا اقرأ حواره انني جاوزت حدي وجازفت بنفسي حين ولجت على الاسد عرينه ، واصلت عليه سيفي الخشبي كما شاء سيادته ان يتظارف فينعتنا .

لقد كان احرى بالسيد الكاتب وهو الذي لا يقنع في العلم « بالحسني ودرهم ونصف » كما قال ان يعطينا من نفسه مثالا لما يجب ان يكون عليه النقد من تجرد وموضوعية فيتجنب هذه السخرية اللاذعة التي زكمت الانوف ويمسك من غليان نفسه وثورتها الهادر ويكبح من جماح الغرور وطغيان العلم ولو قليلا ..

وكنت انتظر منه وقد عنون جوابه « برد الصدر على العجز » ان يكون هذا الصدر حافلا بالجديد والمفيد في موضوع اثاره بعد ان مله الناس وقتلوه ردا وتعقيبا وصدورا واعجازا .. ولكنه خيب الظن مرتين عندما جانب الموضوع وتعلق بالابيات وفضول الكلام وعندما ميع اسلوبه وتنكب به عن اسلوب الحوار الهادف الى التندر والاسفاف .

ولعل القارىء الكريم لم ينس ان روح النقاش بيننا ينصب على اسراف السيد في تحكيم ذوقه وتصيد كل ما فيه من ملامح من القرآن لادراجه فيما انتحل على الشعراء من شعر وضع لخدمة الدين والقرآن ، فحيثما وجدت هذه الملامح ومتى تقاربت الشعور او المعاني بين المهلهل او الخنساء الا وتفسير ذلك عنده هو الوضع والانتحال .. وقد قلت اني لا انكر هذا الانتحال في الشعر الذي شغل الناس بالحديث عنه في القديم والحديث ، ولكني انكر على الكاتب فقط اسرافه وتمحله في الافتراض الذي يفرغ التاريخ من معناه ويفضي بنا الى الشكل في كل ما بين ايدينا من تراث نعتز بانه عربي ويفصح كل ما يربطنا من هذا الادب بامة العرب .

تلك هي الفكرة التي ناقشتها ووقفت عندها طويلا اكثر من وقوفي عند النصوص والابيات التي استمد منها الكاتب عناصره وابتعد عنها في « رد الصدر على العجز » ولم يزد على ان اكد انكاره للشعر المروي

عن امرىء القيس والمهلهل واحيانا ينكر حتى الوجود التاريخي للمهلهل « ان كان هناك مهلهل »

ومن الغريب ان ينكر «السيد» وجود المهلهل تاريخيا او ان يشكك فيه ثم يبدو اكثر ثقة وتصديقا بعدي الغساني عندما يصحح نسبة بيت من الشعر نسب خطا الى ابي نواس وليت شعري من يكون عديا هذا ؟ واين هو من المهلهل ومن شهرة المهلهل الذي ينكر وجوده ؟ ..

وما زلت اقول واردد مع الاخرين الذين قد يتفق « الاستاذ » معهم يوما ما فيردد اقوالهم كذلك — ان وسائل النفي ليست اقوى من وسائل الاثبات .. وان انكار المهلهل وامرىء القيس .. يعني انكار شعراء الجاهلية عامة ، والغاء هذا التراث الادبي لفترة ما قبل الاسلام .. ومن التحكم ان نعتمد التاريخ وهو يحدثنا عن عمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني ، ثم لا نطمئن اليه فيما يرويه عن المهلهل وامرىء القيس ..

لقد وضع « السيد » بين ايدي القراء قصيدة المهلهل في رثاء اخيه كليب واخرى للخنساء في رثاء اخيها صخر واحتكم فيهما الى اذواق القراء ، وهو لا يشك في ان قطعة المهلهل موضوعة لانها تنظر بمعانيها الى مرثية الخنساء فبينهما اكثر من شبه ولا يمكن ان يكون اتفاقيا ولا قدريا تركيا كما يقول ، فلابد ان يكون شاعر ماهر نظر الى مرثية الخنساء ثم وضع القصيدة ونسبها الى المهلهل ولابد ان تكون قصيدة الخنساء هي الام والاصل المنظور اليه ، هذا هو افتراض الاستاذ الذي حكم فيه ذوقه واحتكم فيه الى القراء يقول به وهو يعلم ان المهلهل متقدم تاريخيا على الخنساء وان كتب التاريخ تناقلت قصة مقتل اخيه كليب وتفجعه مثلما روى قصة مقتل صخر اخي الخنساء وتفجعها عليه ، فاطمأن السيد الفاضل الى هذا الذي روي عن الخنساء من شعر فزكاه واعتبره الاصل الذي يوخذ عنه وشك في المهلهل وفي هذا الشعر الذي رواه التاريخ عنه فاعتبره موضوعا واعتمد التاريخ كمصدر للادب والنقد عندما تحدث له عن الخنساء وزيفه عندما تحدث له عن المهلهل ووجوده بين الشعراء .

وعندي ان مرثية الخنساء لاتعدو ان تكون احتذاء وترسما لمرثية المهلهل الذي ذاق مرارة الثكل قبلها وبكى اخاه كليبا بأرق ما يبكي به الرجال على الرجال ، فنقلته الفاجعة وهو زير النساء من رجل اللهو والحسان الى فارس الحرب والميدان ، فلم لاتتحكك الخنساء وهي امراة بشاعر رزيء قبلها فمهد لها طريق التفجع والرثاء ؟ ولم لا تترسم قوافي الحزن في مراثيه لتسكب فيها دموعها وتجسد بها عواطفها واشجانها ؟ لم لا تكون شاعرتنا هي التي نظرت الى مرثية المهلهل واعجبت بها فكانت لها مصدر الالهام لرائيتها ، ان الاعجاب بأي عمل فني كثيرا ما يدفع بالمعجب الى احتذائه ومعارضته والاستاذ لا يجهل ما للشعراء من معارضات ازوع من القصائد التي عارضوها ، ان مرثية المهلهل ليست موضوعة ولا منتحلة وان هذه الملامح التي تتراءى في مرثية الخنساء انما هي ظلال عكسها الاحتذاء او المعارضة اذا استساغها ذوق « السيد » الفاضل وما اظن انه يزكي ذوقا غير ذوقه او يغير حكمه القاسي على المهلهل ومرثيته .

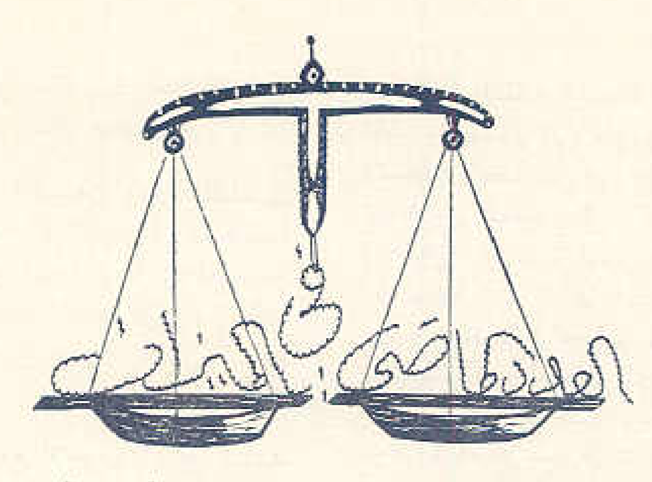
على ان هذه القسوة على المهلهل لاتدخل في نطاق عناصر « السيد » ولا افتراضاته ولكنها النظرية التي اثارت ضجة في عالم الادب وانقسم الناس فيها بين متطرف ومتعصب ومتحفظ ، وما دام « السيد » قد حدد موقفه من هذه النظرية المثارة فاختار ان لا يكون من حملة (راية القرآن) ولا ممن يناضلون تحت راية القرآن فهو حر في ان يتمذهب حتى بمذهب الشيطان ....

لقد كنت اتمنى ان لايبعدنا النقاش حول (المدار) (ولا تبعدن) ولا التندر (بيشويني فيك) (ويرزيني فيك) عن جوهر الفكرة التي من اجلها استنجد بالنصوص والمقارنات وكنت اتمنى ان نتعرف جميعا من خلال هذا الحوار المفتوح الى ما عند « الاستاذ » الرحلة النقلة من جديد وطريف في موضوع ما يزال في حاجة الى عناية وتمحيص .

اما وقد تنكب عن اسلوب الحوار الجاد الى السخرية والتندر ، اما وقد ابى الا ان يحرمنا من معينه الثر ، وأدبه الفياض ، وسل علينا ونحن لانملك الا سيفا خشبيا سيفه العنتري .

فليعذر اخاه اذا لم يوافه بالرد وصد عنه صدود الكرام شاكرا له جهوده وفضله ...

فاس : محمد الحلوي



للأستاذ حسن السائح

ليس من رأيي ان انقد مقالات وابحاث وقصائد مجلة « دعوة الحق » ، فقد يحدث ان يهتم الناقد ببحث او بحثين ، ولكن لا يجوز ان يتناول مجلة بابحاثها كافة ، ذلك لان « دعوة الحق » لا تنشر ابحاثا من مستوى معين ، وانما تتناول بالدراسة مختلف القضايا والمشاكل الاسلامية وبمختلف الاقلام، وهي فوق ذلك تنشر الانتاج الفكري المغربي سواء أكان علما او ادبا او فنا لا يهمها الا ان يكون ذا طابع اسلامي ملتزم لقضايا الاسلام وما يتصل به ، وبذلك يعسر ان يكون الناقد مؤرخا وباحثا واديبا لينقد مختلف هذه الابحاث ، واذا كانت بعض المجلات تتأثر هذا النهج ، فهي صحف خالصة للادب او للقصة او للشعر او للبحث العلمي مما يجعل الناقد لمقالات المجلة وابحاثها يتناول موضعه من قريب او بعيد .

واذا كانت دعوة الحق قد تعودت ان تنقد العدد السابق فليس من شك انها تريد ان تعرف موقف القراء من مقالاتها وابحاثها ، وهي على اي حال خطة تفيد ولا تضر .

وقد كان نصيبي ان اتناول هذا العدد بالنقد كما اراد لي محرر المجلة صديقي الاستاذ السيد ... الامر الذي جعلني لا استطيع ان التزم ما قلته لكن على اي حال سأحاول ارضاءه وارضاء التزامي في نفس الوقت .

وما دام هذا العدد صدر في المغرب ، وفي سنة 1965 يحمل دعوة الحق الاسلامية فانا انقده كقارئ يريد ان يتعرف على القضايا الاسلامية والاتجاهات الفكرية المعاصرة من بين مقالات وابحاث دعوة الحق ، وعلى هذا الاساس سأحكم اذا كانت « دعوة الحق » قد استطاعت من خلال ذلك ان تبرز بوضوح التفكير الاسلامي المعاصر في المغرب الاقصى ، والتزاماته لخدمة الاسلام ، واداء الرسالة او هي مقصرة في ذلك وبهذا يجوز لي ان اتناولها كقارئ ناقد يبحث عن مدى التزام كتاب دعوة الحق لرسالتهم وتحملهم لمسؤوليتهم ، وشعورهم بجدية ما يكتبون لمجلة تحترم نفسها وتريد ان تشق طريقها . لا كناقد متخصص .

ان مجلة دعوة الحق ، دعوة اسلامية خالصة ، تنبض حروفها بالايمان والصراع النفسي العميق ، وكل ما فيها دعوة الى الايمان ، وليس هذا مدحا ولا تقريظا ، ولكنه تقرير لواقع فهي تفتح صدرها لتنشر ما يتسم برسالتها وهي موضوعية في ابحاثها تعطي لمختلف الطبقات الفكرية ما تصبو اليه من معرفة ، هي مجلة الواعظ ، والفيلسوف ، والباحث ، والمؤرخ والشاعر وعاوي الانباء الثقافية ، تبرز في حلة قشيبة وحروف واضحة لا تعشي الابصار ، وان من الواجب يقضي ان نسجل لكل جهده اعترافا به .

والعدد الذي بين يدي يبتدئ بمقدمة لمجلة « دعوة الحق» وهو عن « ادب العرش » وآثره في بعث الروح القومية وتسجيل ما يختلج في صدور المواطنين من صادق الاحساس ووحدة الامال في المعركة المغربية الخالدة التي التحم فيها العرش بالشعب اثناء وليس من شك ان الانتاج الذي قيل في الموضوع ليس ادب مناسبة ولكنه ادب تولد عن المناسبة وعبر عن احداث عاشتها البلاد في صدق وجمال ، ويختلف بين قوة المنتج القادر على الحفاظ على امانة الاداء وصدق التعبير وجمال الصورة ، وادبنا المعاصر يحتفظ بثروة من هذا الادب ستظل تمد المؤرخ والباحث الادبي والاجتماعي بمورد ثر ، وهذا هو اعظم دليل على ما اقول .

واذا جاز ان اعلق على افتتاحية قلم التحرير ، فانا ارى ان عليه ان يبرز في خطاب صاحب الجلالة الكلمات التي تتصل بالاسلام ، وهذا ما اهملته وما كان يجب عليها ان تظهره ، فخطاب العرش يعطي لكل قطاع ما صرف فيه من جهد وما يعتزم ان يقدم له من عناية ، ومن يتولى ذلك غير « دعوة الحق » الاسلامية .

وموضوع ادب المناسبة من الموضوعات التي يجب ان لا تثار بمثل هذه العجالة لان للادب اصنافا ، كما ان له اهدافا ، والادب الذي يسجل الملاحم التاريخية لم ينصف بعد في الادب العربي ولم يدرس بعناية توضح اثره الاجتماعي ودوره التاريخي

وعمله التوجيهي ولا شك ان الانتاج هو الذي يقيم ذلك فمن الظلم الا نستعرض هذه الانتاجات المتعددة حتى نحكم لها حكما فنيا دقيقا ، وما دامت المجلة نفسها لم تنشر من ذلك فمن الفضول اثارة نقد موضوعات ليست بين يدي ، وحسبي ان ابقى جهد المقل في التعليق على كلمة التقديم .

والاستاذ ابو علي المودودي ، يحدثنا واعظا عن واجبات الشباب المسلم اليوم ، وبما ان كلمة الاستاذ هي موعظة خطابية فليس من سبيل الى مناقشته ، وان كنت في غالب الاحيان اوافقه على تصوير المأساة التي تعيشها الامة الاسلامية ، واذا كانت مسؤولية المأساة تقع على الاستعمار ، فان الاستعمار لن يستيقظ ضميره في يوم من الايام ليعانق فريسته التقليدية ، وان الواجب ان نبحث عن اسباب المأساة في نفوسنا ، في اعماقنا لا في اعدائنا ، لاننا لا نطلب منهم اكثر من ذلك ، فهل نريد من المستعمرين ان يؤسسوا مدارس لتعليم اللغة العربية وتطويرها وتقويتها ، ويقفلوا ابواب مدارسهم ، وهل نريد من الرهبان ان يدرسوا القرآن ويفهموا اسراره . ان القضية هي عراك وكفاح واذا كان الاستعمار خلق في مجتمعاتنا ثقافة غريبة عنا على حساب ثقافتنا ، فمن الواجب ان نشعر بمدى مسؤوليتنا لمقاومة هذا التيار ، والا فستعرض ثقافتنا للمحاق ونحن نشير الى ان المسؤول هم الذين مهمتهم ان يعرضوها للمحاق ، والا اخلوا بواجبهم . اننا كأمة اسلامية يجب ان نخلق لانفسنا ثقافة معاصرة وفلسفة قوية ، وعالما مليئا بالحياة والتقدم في ميدان العلم والادب والفن ، فلن ينصرف احد عن حضارة الا اذا بنيت له حضارة ، ولست متشائما من ان يحقق ذلك ، وقد اخذنا نسير في طريق التنفيذ .

بعد ذلك يتناول العلامة السيد التهامي الوزاني موضوع ثقافة القرآن العالمية ، والواقع ان البحث نظرا لاتصاله بمختلف فروع المعرفة فقد كثيرا من عناصر التركيز ، اذ ان تحديد مفهوم الثقافة ليس واضحا في البحث الذي يتناول موضوعا من الاهمية بمكان ، فالقرآن معجز بلفظه ومعجز باسلوبه ، ومعجز بما فيه من اخبار المستقبل ، وبصلاحيته لكل زمان ومكان ، وهو كتاب مقدس اصيل يعتبر علميا النموذج الاعلى للبيان والفكر الانساني ، ويأتيه الاعجاز مما ذكرنا حسب رأي علماء البلاغة ومنهم من يذكر ان الاعجاز انما هو « بالصرفة » ولكن لا يمكن ان يذكر من الاعجاز اخباره بما مضى من الحضارات الماضية .

ولا اريد ان اجاري العلامة الجليل في ان المفسرين القدماء انما فسروا القرآن داخل حدودهم الضيقة وايام عزلتهم عن بقية اطراف العالم ، فقد كان علماء التفسير في طليعة العلماء الاكاديميين ذوي الدراسات المختلفة في سائر شعب المعرفة وذوي الاقلام على مختلف مستويات الابحاث والنظريات ، لذلك لم يكن افقهم ضيقا فقد فسره القدماء على اسس مذهبية وفلسفية وصوفية وادبية وكانوا موفقين في ذلك ، ولا يفوتني ان اذكر ان القرن العشرين طلع علينا بتفاسير غاية في الاستجابة لروح العصر ، فمحمد عبده ورشيد رضا فسراه على اسس اجتماعية ، والشيخ الطنطاوي الجوهري على اسس علمية ويعتبر تفسير الشيخ المراغي ، وتفسير السيد قطب ، وتفسير السيد شلتوت ، وعشرات من التفاسير الاخرى التي ظهرت في المشرق او في المغرب آية في الاستجابة لروح العصر وتمكينا لمعجزة القرآن الكريم

ولا يفوتني ان اذكر ان المفرثين القدماء يعرفون نسب ذي القرنين ، وماجوج وياجوج ، ولا شك انه يعرف كتاب المصباح الاجوج في اخبار جوج وماجوج ، وانه مطلع على ما تذكره دائرة المعارف حول لقمان ونسبته . ويحتاج قول العلامة الجليل عن نقل القرآن من الحكمة اليونانية بنسبة متساوية مما ينقل عن الديانات السالفة الى منهجية دقيقة — وان كنت لا اعتقد انه يحتفظ لكلمة النقل بكل دلالتها اللغوية ، كما احتفظ في خصوص التأثير اليوناني ، فالمنطق اليوناني والمحاورات السقراطية لم تكن تعتبر شيئا جديدا بالنسبة للفكر الانساني ، وانما هي اعطاء قواعد للفكر الانساني الذي منطق اقواله منذ ان فكر وتكلم ، كما لا اعتقد ان العرب لم يعرفوا شيئا عن الرومان ، وهم كانوا يجاورونهم في قصور الغساسنة بالشام ، ويعرف تاريخ الادب ما كان بين الروم والعرب من الاتصالات حدثنا بها الرواة في قصة امرىء القيس ، وجاءت تفاصيل قرآنية عنها في سورة الروم وكتب السيرة والفت بهذه المناسبة قلم التحرير الى تصحيح كلمة (الكالسيوم) .

اما عن الاستاذ انور الجندي فتحت عنوان (فجر الاسلام) نقل آراء المفكرين الغربيين والمستشرقين عن الاسلام وكنت اوده ان يضع عنوانا آخر لبحثه غير هذا ، ويعلل في صلب مقاله سبب جهل الغرب بالاسلام لسببين كان في غنى عن الثانية لانها تعتمد على الاولى وهي نتيجة لها ، كما كان عليه ان يبسط الاهداف التي تسعى اليها الحملة التضليلية وان لا ينسى اسم

جوته ودوفرجي وروبرمون كما كان عليه ان يقلل من النقط الاربعة عشر لتداخل بعضها في بعض وتكرارها .

والاستاذ الهراس من المؤمنين بالفكرة الاسلامية والوعي لقضاياها ، ويستند دائما على اقوال استاذه مالك ابن نبي واين في الناس اب مثل ابي ! ؟ ، والحق اني أؤكد ما يذكره الاستاذ مالك ابن نبي من نزوع المفكرين المسلمين الى السهولة بل ارى ان هؤلاء ينزعون الى اكثر من السهولة ، فقد نزعوا الى الخيانة السافرة ، وهل ينسى التاريخ مأساة انهيار غرناطة وتنصر بعض الوزراء ؟ او هل ينسى التاريخ تلاحم بعض المسؤولين في تاريخنا الوسيط من المسلمين مع المسيحيين ضد العالم الاسلامي لصالح شخصية بحتة ، فهل يا ترى آثروا السهولة او تعدوا السهولة الى الخيانة .

ان هذا هو سبب مأساة انهيار الثقافة الاسلامية ، وانهيار فلسطين ، وستظل دائما في خسارات اذا لم تتنبه للخطر المحدق

واني اذ اوافق الاخ الاستاذ على كثير من الاراء اتساءل دائما عن موقفنا في هذه الاحداث وما هي نقطة الانطلاق ؟ تلك هي المشكلة كما يقول شكير واعظم بها من مشكلة ! وكم اتمنى ان تتاح لي فرصة نشر تقرير عن القضية الاسلامية فيكون البحث متكاملا لا تند عنه حادثة مهمة او توجيه صحيح .

والاستاذ عبد الله كنون يعلق على « منجد الآداب والعلوم » ، ويصوب كثيرا من الاغلاط واذا كنت احبذ هذا الصنيع ، فمن الواجب ان انبه ان ما قاله صاحب المعجم عن ابن باجة يشابه ما في المعاجم الغربية ، وان ابن باجة في حاجة الى دراسة موضوعية ، فنحن نجهل الكثير عنه ولا نعرف عن حياته الا نتفا متفرقة في كتب المترجمين ، وعن ملاحظة الغناء ، فالاقرب ان يكون الغناء بدل الفناء الذي ارتآه الاستاذ عبد الله كنون ويعني الغناء الصوفي في حلقات الذكر ، كما ان البهاليل لم يهاجروا من الاندلس المسلمة حتى يكون الواجب افتراضهم مسلمين لا مسيحيين كما يقول الاستاذ ، بل هاجروا منها قبل الاسلام كما يؤخذ من الروايات المغربية .

اما عن ابي يحيى الرباطي ، نسبة الى رباط تازا فهو وهم وقع فيه بعض المؤرخين ، ومنهم ابو جندار في نسبة بعض الاعلام الى رباط سلا ، ولا يضر عدم تعيين المدينة في شيء او وجود النسبة الى (تازا)

وآسف مع الاستاذ لاغلاط فاحشة في معجم عربي ككلمة (يغور) وضم باء (بلال) وتسكين لام (البلوي) .

وبعد ذلك اجدني مع الاستاذ محمد زنيبر في بحثه الرابع عن نجيب محفوظ والتقي معه في التقاء الكاتب القصصي مع كتاب الف ليلة وليلة، ولست اتصور هذا الالتقاء من الوجهة الادبية الفنية، لان الف ليلة وليلة تصور عقلية المجتمع الشرقي ولا تصور المجتمع المصري وحده بل تصور عواصم الشرق العربي كله ، ولم تكتب لتصور مجتمعنا او تخلق حياة في مجتمع ، اما القصصي نجيب محفوظ فهو يصور المجتمع المصري في دقة تكتب لاساويه القصصي شخصية جديدة ، وهو يبعث في هذا المجتمع الذي يصوره وعيا ليلفته الى اشياء ويصرفه عن اشياء ، واذا كان ذلك ناتجا عن تطور الاحداث التي يقصها والبيئة التي يصورها فكفى ان يكون ذلك اعظم ما يباعد بين هذا الالتقاء ، وابطال الف ليلة وليلة ابطال شرقيين خياليين ، لا ابطال مصريين واقعيين ، ثم ما ابعد جو عالم الف ليلة وليلة عن عالم نجيب محفوظ .

ويحدثنا الدكتور جمال الدين الرمادي عن رفاعة الطهطاوي وهي ترجمة تاريخية أؤكد على كاتبها ان يراجع ما كتبه الرحالون المغاربة الى باريس في نفس العصر تقريبا وما سجلوه من اوصاف للمسرح الفرنسي توافق ما يثير الاستغراب عند كتاب اليوم .

والاستاذ العربي الزتايدي كتب بحثا عن الانثربولوجيا وكان عليه ان لا يخشى من تطويل العنوان ليكون عن (الانثربولوجيا الاجتماعية) لانها موضوع بحثه ، وكما اعتمد على مدرسة دينقريط في التفسير التاريخي ، فمن واجبه ان يرجع الى تفسيرات العرب وما كتبوه في الموضوع ، ليشعرنا بالعزة الفكرية دائما ، وهو شيء لن يعسر عليه .

ويحدثنا محمد جميل بهيم عن تطور المغرب الثقافي والاجتماعي في القرون الوسطى والواقع ان الكاتب لم يرجع الى المصادر المغربية كعالمات المغرب ، ونفح الطيب ، وغير ذلك من المصادر الكثيرة التي تلقي ضوءا على حياة المرأة المغربية عبر التاريخ المغربي وخصائص الحضارة المغربية المتفتحة الوقورة في نفس الوقت .

والاستاذ عبد النبي ميكو ، بدأ في دراسة موضوع متعارف عن القانون بين المذهب الفردي والمذهب الجماعي ، والمهم عندي ان ينتقل في الفصل المقبل من هذه الصفحة الدراسية

الى موضوع الاسلام ، والذي لا يسمي احكامه بقانون ، وانما تسمى (بشريعة) لانها تضم عنصر الضمير الواعي الى عنصر الحقوق الجماعية ، واثير انتباهه مسبقا الى ان القضية ليست ملاحظة موقف الاسلام من النزعة الاشتراكية او النزعة الفردية ، فالاسلام له رأي واضح وفلسفة مستقلة ، وليس من الانصاف في شيء ان ندخله في الموضوع كآراء تصلح للمقارنة .

فلست من الذين يقولون ان نظام الخليفة عمر كان شوريا ، او كان ديمقراطيا ، وان الاسلام ينزع منزعا اشتراكيا ، او غير ذلك ، لسبب بسيط ، وهو ان الاسلام مذهب كامل نسميه (الاسلامية) ، له رأي واضح ، في كل ما يعرض له من مشاكل عظيمة او صغيرة ، ولذلك فليس من الانصاف ان تأخذ نصوصا مشوشة من كلام علماء الاسلام لنقارنها ثم لنقول وجدنا ضالتنا في الاسلام ، فلم ار الشيوعيين اليوم يقولون عن الشيوعية انها تشبه الاسلام في مواقف خاصة كما لم الاحظ ان الماديين او الاشتراكيين يقولون ذلك ، فلما ذا نظل دائما عند ما نعطف على الاسلام نشبهه بمختلف المذاهب ، ثم لا نبدي نظريته متكاملة في دقة وموضوعية .

والاستاذ حسن الوراكلي يلقي اضواء على الادب الاسباني ، وهو عرض عن تاريخ الادب الاسباني في اجمال غير مخل ، غير انه يجب ان لا ننسى ان ادب (المودرنو) الذي كان على يد الاديب الاسباني (سلفادور رويدا) كان يخضع لنقد اديب موريسكي لا يذكر التاريخ اسمه ، لان محاكم التفتيش كانت تقضي على كل ما يذكر بشعلة الفكر العربي وحيويته ، فالواقع ان ادب (الالخيمادو) له اثر واضح على الادب الاسباني اثناء تطوره .

بقي علي ان ادخل في نقد موضوعي مع الاستاذ حجي في بحثه عن الزاوية الدلائية ، ومع الاستاذ عبد العلي الوزاني حول دراسات حول الادب المغربي الحديث ، ولكنني تجاوزت ما خصص لي من صفحات ، والموضوعان يتطلبان كثيرا من التبسيط ، فلندعهما الى فرصة اخرى .

الرباط : الحسن السائح





ترتيب المدارك، وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

تاليف : القاضي عياض

*** لا زال قسم التاليف والترجمة والنشر بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية يولي نشاطا ملحوظا في ميدان التاليـــف •

فبعد كتاب : « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » للقاضي عياض الذي طبع في الشهور الاخيرة والذي ابتهجت له مكتبتنا المغربية يعود اليوم هذا القسم لاصدار الجزء الاول من كتاب « ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك » تاليف القاضي عياض ••

ولكتب القاضي عياض مكانة مرموقة في نفوس الاسرة المالكة العلويـة •

فالمغفور له المولى محمد بن عبد الله كان شديد العناية والحرص بكتب عياض •

وقد عرف المولى عبد الحفيظ بعنايته ورعايته لكتب عياض ، فقد طبع على نفقته « مشارق الانوار » كما عـزم على طبـع « ترتيب المدارك » بمصر ، فعهد الى وكيل الدولة المغربية بها اذ ذاك ، الحاج محمد بن العباس بن شقـرون ان يطبعه ضمن المجموعة القيمة من الكتب التي طبعها جلالته على نفقته ، هناك وبالمغرب ، غير ان مانعا حال دون تنفيذ ذلك •

وفي سنة 1330 بدأ المولى عبد الحفيظ بطبع « ترتيب المدارك » بفاس على نفقتـه ايضا ، فطبعت منـه ستـة عشر صحيفـة *** ثم توقف العمـل •

وتابى الاقدار الالهية الا ان تقرن هذه المأثرة العلميـة الخالدة بعهـد جلالـة الملـك الحسن الثانـي ـ حفظه الله ـ وتكتب هذه الحسنة المقبولة في صحفه ***

فلقد امر جلالته ـ حياه الله ـ بطبع « ترتيب المدارك » وتكرم بالاذن في الاستفادة من نسخة منه ، تحتفظ بها الخزانـة الملكيـة ، وواصل جلالته اهتمامه بانجـاز العمـل فيه منذ بدايتـه الى نهايتـه •

وكتاب « ترتيب المدارك » من اهم كتب طبقات المالكية عموما يقع في خمسة اسفار ، كما قدره ابن القاضـي عيـاض وعنه ابن الخطيب ، والمقـري •

وقد عارضه باصوله ، وعلق حواشيه ، وقدم له البحاثة الثبت الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي رئيس قسم التاليـف والترجمة والنشر بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الذي بذل جهودا محمودة في تقويم هذا الجزء الاول مـن ترتيب المـدارك ***

ويسر مجلتنا « دعوة الحق » ان تتحف قراءها بالتقديم الضافي الذي دبجه يراع الاستاذ السيد محمد بن تاويت فـي ترجمة القاضي عياض لكتاب المدارك ***

لولا عياض لما ذكر المغرب (*)

هذه هي الكلمة التي اختارتها الامة المغربية للتعبير عن مكانة عياض في تاريخها •

وهي خلاصة لما تركته حياته الحميدة الحافلة ، وعملــه الواسع ، وسلوكه الحميد ، من آثار جميلة بعيدة الغور في قلوب مواطنيــــه •

وذكره المؤرخون والمشارقة من اهل العلم والمغاربة ، سواء في اللهج بحمده ، والاشادة بمآثره الخالدة •

وعياض في الشرق ، وفي الغرب ، وفي كل بلد من بلاد الاسلام ، حق ان يخلد ذكره ، وان ينشر فضله ، وحـري ان تتسابق محافل العلم في كل بقاع الارض المسلمة على اجلالـــه وتقديـــره •

وللقاضي عياض ـــ حين يحدث ، وهو يعني لم يحدث ، عن بعض شيوخه ، انه كان يقول : (ما لكم تأخذون العلم عنا ، ثم تستفيدون منا ثم تذكروننا فلا تترحمون علينا (*) » يعتبر الاعتراف بفضل العلم المفيد شكرا للعلم ، ودينا يجب على الخلف المستفيد ان يؤديه ، وهو للسلف ـــ قبل وبعد ـــ لسان الصدق في الآخرين • وقد قيل : «من ورخ مؤمنا فكأنما احياه(*)» •

(*) كلمة شاعت على السنة الجماهير في المغرب ، من غير ان تنسب لقائل معين •
(*) ابن بشكوال ، الصلة 446 ، الغنية 128 •
(*) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ 28 •

واراد الله ان يكون الخلف وفيا لعياض ، فقد اختصه بالتاليف قوم وترجم له اقوام (*) .

وليس من غرضنا – في هذه الكلمة – ان نستقصي دقائق تاريخ القاضي عياض ، فانا ، لو قصدنا الى ذلك هنا ، لما وفينا به ، فحياته – من اي جانب نظرت اليها – غنية عامرة ، وهذه جهة ، والحديث عنها ، حديث – في الواقع – عن عصر من ادق عصور التاريخ في هذا البلد وتلك جهة ثانية .

وانما هدفنا ان نسجل معالم عامة لحياته وخاصة ما يتصل بالجانب الفكري منها ، بغية ان نقف على ما لعله ان يكون قد اثر في منهجه في البحث والتاليف ، وخاصة في كتابه (ترتيب المدارك) الذي نقدم له بهذه الكلمات .

نسبه :

نقل ابنه محمد (*) ، وابو القاسم الملجوم (*) ، كلاهما عن القاضي عياض انه : (عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ابن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي)

وهو نسب يرتفع – كما ترى – الى يحصب بن مالك بن زيد (*) ويحصب ، اخو ذي اصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتهي اليه نسب الامام مالك بن انس الاصبحي .

وهكذا يمت القاضي عياض الى الامام مالك بصلتين :

صلة المذهب المالكي الذي دان به سكان المغرب وما يزالون وكان عياض من ابرز اعلامه واشهرهم . وصلة القربى والانتساب الى قبيلة حمير من عرب اليمن ، ذات الصيت الذائع في التاريخ الاسلامي .

ومن المحتمل ، ولا نذهب الى اكثر من الاحتمال ، ان يكون لصلة القربى هذه – فوق ما للاسباب التي بسطها القاضي في مقدمته (ترتيب المدارك) (*) ، وفوق ما لصلة المذهب – اثرها في توجيه القاضي عياض الى العناية البالغة بحياة الامام ، وابرازها في اطار من الجلال والبهاء ، وفي اصراره على ان يبعد عنها كل ما من شانه ان يشوب نصوعها ، ويخدش في بهائها .

موطن سلفه :

وكان منزل اجداده بجهة بسطة (*) التي تبعد 123 كيلومترا نحو الشمال الشرقي من مدينة غرناطة ، ومنها انتقلوا الى فاس ، ثم الى مدينة سبتة .

وذكر ابنه محمد ان سلفه قد استقر بالقيروان غير انه لم يدر هل كان استقرارهم بها قبل نزولهم بالاندلس او بعده (*)

ولم نعرف ، في عداد اهل العلم ، احدا من اجداده ، غير ان بيتهم كان من البيوتات النابهة بفاس وبسبتة ، وان جده عمرون الذي انتقل من فاس الى سبتة حوالي سنة 373 هـ ، كان من اهل الخير ، حافظا للقرآن ، حج احدى عشرة مرة ، وغزا مع المنصور ابن ابي عامر كثيرا من الغزوات ، وانه اشترى ارضا بسبتة من ماله جعل جزءا منها وقفا على المسلمين يدفنون فيه موتاهم ، وجزءا بنى فيه مسجدا ، وديارا جعلها حبسا على المسجد ، وانه لازم هذا المسجد للتعبد الى ان مات سنة 397هـ (*)

وهي خلال كلها تمكن لنباهة الذكر ورفعة المكانة .

مولده :

وبسبتة – حسبما كتب القاضي بخطه (*) وعنه نقل ابنه محمد – ولد القاضي عياض في منتصف شعبان من سنة 476هـ (*)

وسبتة قاعدة من قواعد المغرب ، هيأها موقعها الجغرافي لان تكون ملتقى العلماء ، سواء الواردون عليها من المشرق والمغرب ، بقصد العبور الى الاندلس ، ام القادمون اليها من الاندلس الى المغرب ، بقصد الرحلة او الاقامة ، وان تصبح – نتيجة لذلك – ملتقى لثقافات متنوعة متعددة .

وهكذا انشأ العلماء المقيمون بسبتة ، والوافدون اليها ، مركزا ثقافيا بهاء له اهميته ، وله مميزاته وخصائصه .

(*) ذكرنا لائحة تتضمن مراجع لترجمة القاضي عياض .

(*) في كتابه الذي عرف فيه بابيه صحيفة 3 / 4 ، وانظر ازهار الرياض 1 / 23 – 25 .

(*) ازهار الرياض 1 / 24 .

(*) وقع في ازهار الرياض 1 / 27 : « يحصب بن مدرك » ، وهو تصحيف . ونسب يحصب في جمهرة ابن حزم 408 – 409 ، ونهاية الارب للقلقشندي 249 – 254 ، وانظر تاج العروس (حصب – صبح) .

(*) 1 / 4 ، 6 – 22 .

(*) التعريف 4 ، المعجم لابن الابار 294 ، الديباج 168 ، الوفيات 1 / 497 ، تاريخ الفكر الاندلسي 293 – 397 . وفي تاج العروس (حصب) ان اليحصبيين نزلوا بقلعة يحصب على بعد ست مراحل في الشمال الغربي من مدينة غرناطة وان هذه القلعة سميت بهم واليها ينسب القاضي عياض .

(*) التعريف 4 – 5 ، وانظر الديباج 168 .

(*) التعريف 5 ، وعنه ابن الخطيب في الاحاطة 182 . أ ، والمقري في ازهار الرياض .

(*) الصلة 447 ، المعجم لابن الابار 296 .

(*) بغية الملتمس 425 ، المعجم 294 ، الصلة 447 ، الوفيات 1 / 497 ، الاحاطة 182 – ب .

واتفقت مصادر ترجمة عياض على وصفه بالذكاء ، والفهم ، والحذق ، والفطنة ، والتيقظ ، والحرص على طلب العلم . وهي مؤهلات من شانها ان ترفع صاحبها الى مراتب عالية في العلم والفضل .

وبهذه المواهب العقلية الممتازة ، وفي ذلك الجو العلمي الذي تهيأ له بمسقط رأسه سبتة ، بدأ عياض طلبه للعلم .

واذا كانت الكتب التي يدرسها طالب العلم ، تتدخل – مثلما يؤثر الشيوخ – في تكوين شخصيته ، فان ما قرأه عياض الطالب ، وقد حباه الله تلك المواهب العقلية ، من امهات الكتب على اختلاف موضوعاتها ، في بلده سبتة ، دال على ان شخصيته العلمية قد اكتملت قبل ان يغادر بلده ، وانه قد انتزع شهرته الخالدة على الزمن بسعيه ، دون ان يحابيه بها احد .

ففي بلده حفظ القرآن بقراءاته السبع ، برواية نافع ، وابن كثير ، وابي عمرو بن العلاء ، وابن عامر ، اخذ هذه الروايات بطرقها المختلفة المعروفة عن عبد الله بن ادريس بن سهل المقرئ (المتوفى سنة 515 هـ) (*) ، وبرواية حمزة بن حبيب الزيات ، عن عبد الله بن محمد النفزي (المتوفى سنة 538 هـ) (*) .

وقرأ اللغة العربية ، متنها وادبها ، في كتاب الفصيح لابي العباس ثعلب ، وكتاب الامالي لابي علي القالي ، والكامل لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، وادب الكاتب لابي محمد ابن قتيبة (*) .

ودرس قواعدها في كتاب الجمل للزجاجي ، والواضح لابي بكر الزبيري ، والكافي لابن النحاس ، والمقتضب للمبرد ، والايضاح لابي علي الفارسي (*) ، وشرح الجمل لابن فضال (*) .

اما اصول الفقه ، واصول الدين وعلم الكلام (*) على مذهب ابي الحسن الاشعري ، والجدل والمناظرة (*) ، فقرأ اصول الدين على قاضي سبتة عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم اللخمي (المتوفى سنة 458 هـ) (*) ، وقرأ رسالة ابن ابي زيد القيرواني (*) على محمد بن عيسى التميمي ، وصحب عبد الغالب بن يوسف السالمي (المتوفى سنة 516 هـ) المتكلم على مذهب اهل السنة من الاشعرية مدة اقامته بسبتة ، وتناوله كثيرا من مجموعاته (*) . وقرأ على يوسف بن موسى الكلبي ، المتكلم على مذهب الاشعرية ، ارجوزته التي الفها في الاعتقادات (*) ، كما قرأ كتاب المنهاج في الجدل والمناظرة لابي الوليد الباجي (*) .

واحتجاج عياض المتكرر في كتاب الشفا بآراء ابي الحسن الاشعري (*) ، والقاضي ابي بكر الباقلاني (*) وابي بكر بن فورك (*) ، وابي المعالي امام الحرمين الجويني (*) ، يثبت كل ذلك صلته الوثيقة بمذهب الاشعرية وبكتبهم ، وقراءته لمؤلفاتهم في الاعتقاد (*) ووصفه للباقلاني ، وابي بكر ابن فورك بقوله : (من ائمتنا) (*) ، دال على انه اشعري المذهب ، ومناقشاته العميقة لاراء المعتزلة (*) والفرق الاعتقادية الاسلامية ، على اختلاف مذاهبها (*) وللفلاسفة (*) والصوفية (*) والخوارج (*) تطلع الدارس لعياض على معرفته الواسعة بالمذاهب الاعتقادية وآراء اصحابها .

وصلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة ، ومعرفته بدقائق آراء المخالفين لاهل السنة فيه ، تصل بنا الى ان المدرسة التي اخرجت القاضي عياضا وشيوخه

(*) الغنية 149 ، وانظر 173 .
(*) الغنية 148 ، وانظر 43 / 44 .
(*) الغنية 134 – 135 ، وانظر 43 – 67 .
(*) الغنية 135 . (*) الغنية 160 . (*) جاء في « التعريف » صحيفة 6 ان القاضي عياض كان متكلما اصوليا ، وكان لا يرى الكلام في ذلك الا عند نازلة ، وعلم الكلام ، منذ نشأته ، يعني الحجاج عن العقيدة والمناظرة عليها ، ثم اشتهر بين اهل السنة – استعماله في معنى الحجاج عن العقيدة السنية بالادلة البرهانية العقلية ، والرد على المخالفين لهم فيها . فالمحاجة والمناظرة جزء من مفهوم علم الكلام . (*) اما « علم الجدل والمناظرة » ، فيراد به الجدل في مسائل الفقه تارة ، وفي مسائل الاعتقاد تارة اخرى ، ومهما كان فهو صناعة الجدل . (*) الغنية 146 . (*) الغنية 22 . (*) الغنية 166 . (*) الغنية 215 . (*) الغنية 160 . (*) الشفا 2 / 277 . (*) الشفا 1 / 216 ، 2 – 263 – 267 – 276 .
(*) الشفا 1 / 216 ، 2 / 156 .
(*) الشفا 1 / 205 ، 311 ، 2 / 264 . (*) الغنية 166 / 215 . (*) الشفا 1 / 216 .
(*) الشفا 2 – 266 – 267 – 278 – 279 . (*) الشفا 2 – 268 ، 269 . (*) الشفا 2 – 269 . (*) الشفا 2 – 269 .
(*) الشفا 2 – 271 .

الذين تعلم عليهم الكلام واصول الدين ، وكثير من العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بعلم الكلام واشتهروا به ، وترجم لهم في « ترتيب المدارك » .

تقول هذه المدرسة كانت على علم تام بالجدل والمناظرة واصول الدين والكلام على مذهب ابي الحسن الاشعري ، وان كتب الاشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة انحاء المغرب .

ومن هنا نصل الى عدم صحة ما حيك حول مهدي الموحدين، من ان علماء المغرب في عهد المرابطين ، لم تكن لهم معرفة بالجدل والنظر ، وانهم ــ لذلك لم يستطيعوا ان يثبتوا له في في مناظراته ، وان التجسيم كان غالبا عليهم في الاعتقاد ، فجاء ابن تومرت بعقيدة التوحيد ، ونشرها، وسمى اتباعه بالموحدين، الى آخر ما قيل وكرر (✱) .

انه خدعة سياسية اذاعها ابن تومرت وانصاره لتوطيد نفوذهم في نفوس الجماهير ، واغتربها المؤرخون ، ومن العجيب ان يكون ابن خلدون الواعي من ضحاياها ، وبسبتة ايضا عن اعلامها ومحدثيها اخذ علم الحديث ، متنه وغريبه ورجاله ومصطلحه .

فقرأ الموطأ للامام مالك ، ومسند الموطأ لابي القاسم الجوهري ، وصحيح البخاري بروايتي الفربري والنسفي ، وصحيح مسلم ، وسنن النسائي ، وشرح غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام ، واصلاح الغلط على ابي عبيد لابي محمد ابن قتيبة ، وغريب الحديث لابي سليمان الخطابي ، وعلوم الحديث للحاكم ، وكتاب الطبقات لمسلم الحجاج صاحب الصحيح ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ، وكتاب الطبقات له ، وكتاب التقصي لابن عبد البر (✱) ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني (✱) ، والمؤتلف في تكملة المؤتلف والمختلف للخطيب البغدادي (✱) ، ومشكل الحديث لابن فورك (✱) ، والاكمال لابن ماكولا (✱) .

اما الفقه المالكي ، فدرس رسالة ابن ابي زيد (✱) ، والمدونة (✱) ، وتآليفا في الايمان اللازمة للقاضي ابي بكر ابن العربي المعافري ، قرأه عليه بسبتة عند مروره بها (✱) .

وقرأ اصول الفقه على محمد بن داود بن عطية القلعي .

رحلتـــــــه :

بهذا المحصول العلمي الرائع رحل عياض الى الاندلس .

وقد عنى مؤرخوه بتحديد مبدأ رحلته ومدتها (✱) ، وهي عناية محمودة لها فوائدها ، ولكن مبدأ الرحلة ومدتها لا يهمنا ولا يفيدنا الفائدة التي تعود علينا من معرفة ما فعله القاضي في رحلته ، وما خلفته هذه الرحلة من آثار في معلوماته وفي تفكيره .

والرحلة في طلب العلم ، تعني ــ في ميدان التربية العلمية وتقويم اسس التفكير في الاسلام ــ امرين :

الاول : التأكد من سلامة المنهج النقلي ومن كماله ، ويتطلب ذلك تصحيح المتون المروية ، والبحث عن اصولها ، ووصل اسانيدها باصحابها ، والبحث عن اعلى هذه الاسانيد واقومها واصحها .

فهذه المادة المروية ، اذا لم تثبت بصورة صحيحة نسبتها الى اصحابها ، لا تصلح ان تتخذ اساسا للبحث والدرس وبناء احكام عليها ، سواء كانت هذه الاحكام دينية او علمية او ادبيـــة .

والحرص على اكمال المنهج النقلي وسلامته ، واضح في عناية القاضي البالغة بالتوسع في الرواية والقراءة ، فنراه يقرأ كتبا جديدة لم يقرأها ببلده (✱) ، وبمقابلة كتبه (✱) بالاصول الصحيحة ، والبحث عن اصول العلماء الخطية المسندة(✱) والتنصيص على الاصح والافضل من رواياتها الى اصحابها ، ان تعددت الطرق والروايات (✱) وبالنص ــ كذلك ــ على انه قابل او صحح .

والامر الثاني : تصحيح منهج التفكير ، واقامة اسسه على قواعد ثابتة ، وتقول مصادر ترجمته : انه عنى فى رحلته بلقاء

(✱) ابن خلدون ، العبر 6 ــ 226 ــ 229 ، 6 ــ 266 .
(✱) الغنية 2 / 22 ، 146 ، 190 ، 191 . (✱) الغنية 51 / 56 .
(✱) الغنية 51 / 56 / 64 . (✱) الغنية 135 . (✱) الغنية 56 .
(✱) الغنية 56 . (✱) الغنية 22 . (✱) الغنية 19 ، 119 ، 146 ، 40 ــ 42 . (✱) في التعريف 9 ــ 10 ، وازهار الرياض 3 / 8 ــ 10 : انه خرج من سبتة سنة 507 هـ وعاد من رحلته سنة 508 هـ . (✱) الغنية 142 ، 155 .
(✱) الغنية 15 ، 27 ، 27 ، 172 . (✱) الغنية 11 . (✱) الغنية 142 ، 155 .

الشيوخ (*) ، ولم يكن غرض عياض الاساسي من رحلته ان يرى وجوه الشيوخ ، وانما كان يعني – بعد ان سلم له المنهج النقلي – ان يقابل افكارهم ، فيزنها بما تعلمه في بلده من افكـــــار .

وقديما قيل : (اذا اردت ان تعرف مقدار شيخك فجالس غيره) . ولقاء الشيوخ هو الذي اتاح لعياض ان يرصد عن كثب مناهجهم في التفكير ، ويرقب كيف يتناولون المسالك بالدرس والبحث ، يردون منها ما يردون ، ويقبلون ما يقبلون ، فينقله ما شاهد وما فهم الى ما تعلمه عن علماء بلده من اسس ومناهج يقارن بينها ويفاضل ، فيبقى في ذهنه – بعد الموازنة والعرض على ميزان النقد – ما يصلح ان يبقى وينفي ما يثبت للنقد .

وبعملية الاختبار والمفاضلة ، والتنقيح هذه ، تم له بناء الجهاز النقدي ، وتكاملت له اصول التفكيــر على اساس من المقارنة والاختبار .

شهادة اهـل العلـم لـه :

وعرف مكانه عند اشياخه اثناء رحلته وقبل ان يعود الى وطنه ، وقد اثرت عنهم كلمات تشير الى فراستهم فيه، وتقديرهم له واعترافهم بفضله وعمله .

قال له استاذه ابو عبد الله ابن حمدين ، وقت رحلته : (وحقي يا ابا الفضل ان كنت تركت بالمغرب مثلك) (*) .

واراد الرحلة الى بعض الاشياخ بالاندلس للاخذ عنه ، فقال له الوزير ابو الحسن ابن سراج : « لهو احوج اليك منك اليــــه » (*) .

وقال ابو محمد ابن ابي جعفر : (ما وصـل الينـا من المغرب انبل من عياض) (*) .

ولقيه بسبتة الوزير الكاتب الشاعر عبد المجيد ابن عبدون (المتوفى سنة 527 هـ) ، فاقسم له انه ما قصد سبتة الا للقياه (*) وفي رحلته كتب عنه ابو عامر محمد بن احمد بن اسماعيل الطليطلي اشياء من حديثه (*) .

وعاد عياض من رحلته ، قبسا من النور يضيء ، ومعينا عذبا فياضا من العلم لا يلحقه النضوب ، وصوتـا عاليا للحـق ينادي – مرشدا ، وحاكما – فيسمع النداء ، وطاقة هائلة من الايمان والثبات والخلق .

والى هذا جميعا احساس واع بنفسـه وبلـده (*) ، وبالمكانة التي تهيأت له ، بما ورثه عن سلفـه ، وبما افـاده بسعيه ، وتقدير للمسؤوليات الثقيلة التي تفرضها عليه تقاليد هذه المكانة ، من ارشاد وهداية ، وتوجيه وتنوير ، وحماية ان كانت السلامة في الكرامة الانسانية وفي المقدسات لا تحفظ الا بالحماية .

وفتحت له بلاده قلبها ، فاحبته واكبرته ، واسندت اليه قيادها ، فكان عياض في جميع ذلك الرائد الامين الذي لا يكذب اهلـــــه .

حدث ابنه في « التعريف » ، وابن صعد في « النجم الثاقب » ، وعنه الافراني في « درر الحجال في سبعة رجال » في السمط الثاني منه : ان القاضي عياضـا لما ولي قضاء بلـده كانت الخدمة والعامة على غاية من محبته واجلاله واكباره ، وكان له من الهيبة والجلالـة عند الامـراء والولاة ، ما جعلهـم يقبلون قوله ، حين يطالبهم باداء حـق من حقـوق الرعيـة ، ويتنافسون في قضاء حقه والقيام بواجبه .

وحدثوا عن سيرة القاضي في قومه ، فقالوا : انـه كان صلبا في الحق لا تاخذه فيه لومة لائم ، محبا في طلبة العلـم ، محرضا لهم على طلبه (*) ، كثير التواضع ، يقبل على المساكين والفقراء ، فيسألهم عن احوالهم ويكثر الصدقة عليهـم (*) ، ويعاشر الناس بالاخلاق الحسنة ، والجانب اللين ، ويؤثرهم بما يجد ، انفق في ذلك اكثر ما ورثه عن ابيه ، وباع فيـــه رباعه بسبتة واملاكه ، ومات مدينا بخمسمائة دينار (*) .

اما صلة القاضي عياض بربه في عبادتـه ، فكان متيـن الدين ، مجتهدا ، كثير الصوم ، قوام الليل . تاليا لجزء من كتاب الله – عز وجل – في الجزء الاخير من الليل ، لم يتركه – ما قدر على تلاوته – في اية حالة ، ملتزما لحدود الشريعة ، سنيا في عقيدته ، شديد التمسك بها الى حد التعصب (*) .

ولم يصرفه واجبه الديني والاجتماعي عن الواجب العلمي المقدس ، فكان دائـم الصلة بعلمـه ، لايفارق كتبه ، يقـرأ ويدرس ، ويبحث ويؤلف .

❊ ❊ ❊

وتطورت الاحداث ، وارغمته على ان يخوض غمارها ، وكانت هناك مقررات سنية عقدية لا سبيل الى التخلي عنها ، آمن بها اهل هذا المغرب ، ومنهم علماؤه الذين جاهدوا في سبيل المحافظة عليها بكل ما كان لديهم من الوسائل .

(*) الصلة 446 ، الوفيات 1 / 497 . (*) التعريـف 121 .

(*) التعريف صحيفة 121 . (*) التعريف صحيفة 121 . (*) الغنية 167 . (*) الغنية 59 . (*) من مظاهـر هـذا الاحساس عنايته باخبار سبتة ، وتأليفه كتاب « العيون الستة » . والعناية بتاريخ المدن المغربية قديم ، فقـد الف محمد بن يوسف التاريخـي الوراق اخبار تاهرت ، والبصرة ، وسجلماسة ونكور ، وغيرها ... (*) التعريف 7 .

(*) التعريف 7 . (*) التعريف 128 . (*) شذرات الذهب 4 / 139 .

والعقيدة السنية تجيء في طليعة هذه المقررات ، وهي تقرر ــ فيما تقرر ــ ان لا عصمة لاحد من الناس غير الانبياء .

اضف الى قضية العصمة ، ما كانت تستلزمه من مظاهر التشيـــع .

وهناك الموقف الحذر او العدائي الذي اتفق عليه اعلام المغرب ، او كادوا تجاه مباحث واتجاهات في كتاب « احياء العلوم للغزالي » .

ويمكن حصر هذه المباحث التي رفضتها الاوساط الفكرية في المغرب في نقطتين :

الاولى : ذلك الموقف السلبي الخطير الذي يقفه الغزالي في كتاب الاحياء وغيره ــ من الاشتغال بالعلـوم الاسلاميـة ، باستثناء التصوف .

والثانية : ما عرض للبحث فيه من « علوم المكاشفة » ، وما بناه عليه من نتائج واحكام .

وآمن عياض بما آمن به اهل السنة في المغرب ، وكان شديد التمسك بما آمن به ، وقرأ على محمد بن عبد العزيـز التغلبي (المتوفى سنة 508 هـ) ردوده على الغزالي (✱) واغلب الظن ــ ولا شيء يمنع من ــ انه كان على علم بموقف المازري شيخه من كتاب « احياء العلوم » للغزالي .

فكان لعياض ــ من هذا جميعه ــ رأيه في كتب الغزالي وآرائه مماثلا لما رآه شيوخه ومعاصـروه فيها ، كـان عياض يرى ان الغزالي لو اختصر الاحياء واقتصر فيه على العلم الخالص، وهذه عبارته ، لكان كتابا مفيدا (✱) وغير الخالص من العلم في كتاب الاحياء ــ فيما يعني عياض ــ هو « علم المكاشفة » .

وحكى بن العماد الحنبلي (✱) والشعراني (✱) ان عياضا كان يرى ان كتاب الاحياء يجب ان يحرق ، وليس غريبا ما حكياه عنه ، فلعياض في كتاب الشفا (✱) حكم على ابي حامد الغزالي ــ رحمهما الله ــ في غاية القسوة .

وكان لعياض كذلـك اعتقـاده في العصمة التـي وصف المهدي بها نفسه .

وجاء مهدي الموحدين فصدم اهل المغرب في اقدس ما لديهم وهي عقيدتهم السنية ، وسماهم مجسمين كافرين ، وقاتلهم قتال كفر ، وحصر التوحيد في اصحابه واتباعه (✱) .

واقام حركته على دعامتين :
عصمة الامام ، وهو كان الامام .
وعلمه بالمغيبات ، وقد استفاده من كتاب الجفر الـذي يتضمن علوم اهل البيت .

وعصمة الامام ، عند الامامية ، وعنهم ينقل ابن تومرت : تعني ان الامام لا يجوز ان تصدر عنه معصية صغيرة ، ولا يجوز ان يحصل منه سهو في الدين ، ولا يجوز ان ينسـى شيئـا من الاحكـــام (✱) .

ومن كرامة الامام عندهم ان يعرف ضمائر الناس وان يعرف ما يكون قبل كونه (✱) .

وموقف العقيدة السنية من عصمة الائمة انها لا تقبـل عصمة احد من الناس غير الانبيـاء ، كما انها ترفـض وصف الائمة بانهم يعلمون الغيب وما تكنه ضمائر الناس ، ويخفيـه الفـــد .

وتعرض الغزالي لعلوم المكاشفة ، وافاضته فيها ، واعتماده عليها (✱) ، من الاسباب التي حدت بالعلماء في المغـرب ان يقفوا من كتاب « الاحياء » موقفهم العدائي المعروف ، ومـن اجل هذا ايضـا كان موقف عياض ورأيـه ، الـذي رأى في الغزالي وفي كتبه .

ومن السهل ــ بعد هذا الذي اشرت اليه ــ ان يفهم الدارس لما ذا قاوم المغاربة في مكان دعوة الموحدين ، ثم لما ذا ثارت سبتة وكررت العصيان ، بزعامة عياض في وجه نظام الموحدين .

والموضوع لا يسمح لي بتفصيل القول في هذا هنا ، ولكني اريد ان اقول : ان عياضا لم يتنازل قط عن عقيدته السنية ، وما كان الظن به ان يفعل ، وان الموحدين لم يسامحوه قط ، ولذلك غربوه عن بلده ، فجزع ــ رحمه الله ــ لفراقها ، وكان يقول لمواطنيه عند وداعهم بسبتة : « جعلني الله فداءكم » ويبكي (✱) ونغصوا عليه اواخر حياته ، الى ان لقي ربه في سابع جمادي الاخيرة ، او في رمضان سنة 544 هـ .

وانطلقت في الفضاء بعده الرؤى والمنامات والقصص والحكايات ، له ، وعليه . وما اكثر ما تحاك الاقاصيص حول النابهين من الناس بعد ان يفارقوا هذه الحياة الدنيا .

✱) الغنية 25 . (✱) التعريف 121 . (✱) الشذرات 139/4 . (✱) طبقات الشعراني 1 / 15 . (✱) 2 / 267 . (✱) ابن خلدون ، العبر 6 / 226 ــ 227 ــ 228 ــ 229 ــ 6 / 266 ، وابن زيدان اعلام الناس 1 / 87 ــ 88 . (✱) اوائل المقالات 36

✱) اوائل المقالات 37 . (✱) فصلنا القـول عن هـذا في مقدمتنا لشفاء السائل لابن خلدون .

✱) التعريف 131

وما اسهل ان يقول فيها القائلون : انها خرافات لا تثبت للنقد ويبعدوها عن مادة التاريخ .

وهو صنيع خاطئ، تسخر منه الخبرة بنفسيات الشعوب والامـــــم .

ان هذه الجنود المجندة من الحكايات ، وهو التعبير الذي اختاره لها اسلافنا ، هي الاسلوب ذو المنطق الخاص الذي يبعد الزمان والمكـــان ، وكثيــرا من مقررات وقواعــد الاحاديــث الرسمية من حسابه ، وهو الطريقة التي تختارها الشعوب للتعبير عن احساسها نحو من تريد ان لا تسامح من الناس ، ولتسجيل رأيهـــا فيهـــم .

ففي رؤاها واحلامها واقاصيصها واسجاعها وامثالهـــا وفقرها القصيرة التي تشبه الامثال ، وتطير كالسهام ــ في هذه الصورة جميعا تصوغ افكارها ، وتسكب حبها او كراهيتهـــا لاولئك الذين تستودعهم التراب ولامر ما قالوا : (لسان الخلق اقلام الحق) .

والذي دفنوا عياض ــ رحمه الله ــ فئتان من الناس : حكام الموحدين وسادتهم ، وامة المغرب ، وشعور الفئتين نحوه مختلف متباعـــد .

اما الموحدون فحكت اقاصيصهم ان الغزالي بلغــه رأي عياض في كتبه ، فدعا عليه ، فمات فجأة في الحمام يوم الدعاء عليـــــه (*) .

وقالت ايضا : ان المهدي هو الذي امر بقتله بعد ان ادعى عليه اهل بلده بانه يهودي ، لانه كان لا يخرج يوم السبت .. فقتله المهدي لاجل دعوة الغزالي (*) .

واما الامة المغربية ، فكانت اصابعها تشير الى الموحدين تتهمهم وتقول : (سم ابن العربي ، وخنق اليحصبي (*) . وتقول ، وهي تعده بقولها هــذا ، في الشهــداء : « سمـــه يهـــودي » (*) .

ورؤاها المتعلقة بعياض ، والتي تربطها ببلده حيث نشأ ودرج وافاد وارشد ، وبالجزيرة الخضراء حيث ازال عن اهلها مظالم بعض حكامها (*) ، ومراكش حيث قــدم نفســه فداء لمواطنيه ــ هذه الرؤى (*) كانت تشيــر جميعا الى انــه في الجنة منعما مكرما ، جزاءا لما قدمه من اعمال الخير يــوم كان حيا يسعى ، واجابت امته عن كل ما من شأنه ان يمس ذكراه العاطرة بكلمتها التي رددتها الشفاه اعواما تتلوها اعوام : لولا عياض لما ذكر المغرب .

تآليفــــــه :

وعياض الى هذه الحياة الحافلة ، مؤلف مجيد مكثـر ، اثنى العلماء على مؤلفاته ، واستفادوا منها ، وعنوا بها .

وقد بلغت المؤلفات المنسوبة اليه الثلاثين او تزيـده ، والذي وصل الينا منها قليل وقد حرصنا على احصائها وذكـر اسمائها جميعا ــ مرتبة على حروف المعجم ــ رجاء ان يفيـد ذكرها في الحصول على ما لم يعرف وجوده منها . وهي :

1) الاجوبة المحبرة عن المسائل المتخيرة :

وهو من الكتب التي لم يكملها القاضي عياض ، وذكـر ابنه في التعريف 133 / 134 : انه وجد منه يسيرا فضمه الى ما وجده في بطائق ابيه ، او عند اصحابه ، من معان شاذة فـي انواع شتى سئل عنها ــ رحمه الله عليه ــ فاجاب عنها . جمع كل ذلك في جزء ، وقد ذكره ايضا في الاحاطة 183 ، وازهار الرياض 2 : 239 خ (المخطوط) وكشف الظنون 1 : 11 .

2) اجوبته فيما نزل في ايام قضائه من نوازل الاحكام :

لم يكمله ايضا ، واختلفت المراجع في تقدير ما ترك منه ، ففي الاحاطة 183 ــ 1 ، والتعريف 134 انه جزء ، وفي ازهار الرياض 2 : 239 خ انه جزآن .

3) اجوبـــة القرطبييـــن :

قال ابنه : رأيت هذه الترجمة بخطه ، ولم اجدها عنـده مبيضة ، غير اني وجدتها في بطائق فجمعتها مع اجوبة غيرهم . ذكره في التعريـــف 134 ، الاحاطــة 183 / 1 ازهــار الرياض 2 : 239 خ .

4) اخبـــار القرطبييـــن :

ذكره في كشف الظنـون 1 : 28 وفي هديــة العارفيــن 1 : 805 وتاريخ الفكر الاندلسي 283 وقال : وله تاريخ لعلماء قرطبة يسمى اخبار القرطبيين . واخشى ان يكون « اجوبـــة القرطبيين » السابق ذكره .

5) اختصـــار شـــرف المصطفـــى :

(وشرف المصطفى) اسم كتاب لابي سعد عبد الملك بن محمد الواعظ النيسابوري الخركوشي المتوفى سنة 406 هـ ، وهو ثمان مجلدات ، ويسمى ايضا (شرف النبوة) .

(*) طبقات الشعراني 1 / 15 . (*) فهـرس الفهارس 2 / 185 . (*) المرقبـة العليـا 95 .
(*) الديباج 172 . (*) التعريف 131 . (*) التعريف 129 ــ 131 .

وقد اختصره القاضي عياض ، حدث به عنه ابن خير اجازة ومشافهة واذنا ، وذكره في فهرست ما رواه عن شيوخه 489 ، 497 ، وذكره ايضا صاحب كشف الظنون ، 2 : 1045 .

وكان القاضي عياض كان يمهد لتأليف كتابه الشفا ، فاستطال كتاب شرف المصطفى فلخصه ليسهل رجوعه اليه ، واستفادته منه .

6) الاعلام بحدود قواعد الاسلام :

ذكره ابنه في التعريف 133 ، والاحاطة 183 ـ ا وكشف الظنون 1 : 127 ، وهدية العارفين 1 : 805 ، وقد طبعته وزارة الشؤون الاسلامية في سلسلة مطبوعاتها .

7) اكمال المعلم بفوائد مسلم .

وهو شرح على صحيح الامام مسلم بن الحجاج ، كمل به شرح ابي عبد الله محمد بن علي المازري المسمى بالمعلم بفوائد مسلم .

ذكره القاضي عياض في اول مشارق الانوار 1 : 7 ، وابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه 196 / 494 ورواه عن مؤلفه ، وابنه في التعريف 132 والاحاطة 183 / ا وقدره كابنه بتسعة وعشرين جزءا ، وذكره في كشف الظنون 1 : 145 / ا : 557 والوفيات 1 : 496 وهدية العارفين 1 : 805 ، وهو موجود بالخزانة العامة .

8) الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع :

ذكره ابنه في التعريف 133 ، والضبي في بغية الملتمس 425 ، والاحاطة 183 ـ ا كشف الظنون 1 : 158 هدية العارفين 1 : 805 تاريخ الفكر الاندلسي 397 .

وهو من الكتب التي كثر اعتماد المتكلمين في مصطلح الحديث عليه ، وقد وصلنا ، ففي كل من مكتبة الاسكوريال ، وايا صوفيا نسخة منه .

9) بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد :

وهو اوفى شروح هذا الحديث ، واغزرها مادة ، ذكره ابنه في التعريف 133 والذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97 وابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه ، ورواه عن مؤلفه 197 ، 478 ، وابن خلكان 1 : 496 ، كشف الظنون 1 : 248 هدية العارفين 1 : 805 وفي الخزانة العامة ، وبرلين نسخ منه .

10) تاريخ المرابطين .

انتهى فيه الى سنة 540 هـ ذكره ابن خاتمة في « مزية المرية » ازهار الرياض 2 : 239 خ ، وانظر : الجامع في التاريخ

11) ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك :

ياتي الحديث عنه .

12) التنبيهات المستنبطة ، على الكتب المدونة والمختلطة :

قدره ابنه وعنه الاحاطة بعشرة اجزاء .

وكان عليه المعول في حل الفاظ المدونة وحل مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رواتها ، ويرجع السبب في ذلك الى انه جمع بين شرح المعاني وايضاحها ، وضبط الالفاظ ، وذكر من رواها من الشيوخ والحفاظ . ذكره ابنه في التعريف 132 والوفيات 1 : 496 ، وعنه الذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97، والاحاطة 183 / ا ازهار الرياض 3 : 21 كشف الظنون 1 : 493 ، 2 : 1644 ، هدية العارفين 1 : 805 ، وفي الخزينة العامة نسخة منه

13) الجامع في التاريخ :

يقول القاضي عياض في ترجمة عبد الله بن ياسين القائم بدعوة المرابطين : « وقد بسطنا اخباره في كتاب التاريخ » ، وذكر تلميذ عياض محمد بن حمادة البرنسي السبتي ، وعنه الذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97 بعنوان (جامع التاريخ) والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ : انه تاريخ المرابطين ، انتهى فيه الى سنة 540 هـ وانه كتاب اربى على جميع المؤلفات فيه اخبار الملوك بالاندلس ، والمغرب ، منذ دخول الاسلام اليهما ، واستوعب اخبار سبتة وقضاتها وفقهاءها ، وجميع ما جرى من الامور فيها ، واستوفى اخبار الدولة الحسنية ، وذكره في كشف الظنون 1 : 538 تحت عنوان (جامع التاريخ) وهدية العارفين 1 : 805 ولم يضيفا شيئا زائدا على هذا العنوان انظر : العيون الستة ، والفنون الستة .

14) كتاب (خطبه) :

في سفر ذكره ابنه في التعريف 133 ، وذكروا في ترجمة القاضي انه كان لا يخطب الا من انشائه .

15) سر السراة ، في آداب القضاة :

قال ابنه (التعريف 134) : رأيت ايضا هذه الترجمة بخطه ، ولم اجد من هذا الكتاب شيئا ، ولا وقفت له على خبر ، وذكره في الاحاطة 183 / ا وازهار الرياض 2 : 238 خ وقال : ومما تركه في المبيضة سر السراة الخ . وهو كلام لا معنى له بعد قول ابنه السابق .

16) كتاب سؤالات وترسيل :

انظر : غنية الطالب .

17) السيف المسلول ، على من سب اصحاب الرسول :

ذكره كشف الظنون 2 : 1018 وهدية العارفين 1 : 805 .

18) الشفا بتعريف حقوق المصطفى :

وسماه الذهبي : الشفا في شرف المصطفى ، وهو اشهر من ان يعرف ، اقرأه القاضي في حياته واجاز به . ذكره ابنه 132 ، وعنه الاحاطة 183 / ا وقد راه بستة اجزاء ، وازهار الرياض 2 : 238 خ ، وتذكره الحفاظ 4 : 97 ، كشف الظنون 2 : 1052 / 1055 ، هدية العارفين 1 : 805 .

19) الصفا بتحرير الشفا للقاضي :

سبق هذا نص كشف الظنون 2 : 1079 ، وهي عبارة موهمة فهم اسماعيل باشا البغدادي منها ان « الصفا بتحرير الشفا » اسم كتاب لعياض ، فذكره له في ترجمته 1 : 805 .

وهو فهم خاطئ ، والصفا بتحرير الشفا من تأليف قطب الدين محمد بن محمد بن الخيضري المتوفى سنة 834 ه كما في كشف الظنون عند الحديث عن شروح الشفا .

20) العيون الستة في اخبار سبتة :

هكذا ذكره كشف الظنون 2 : 1186 ، وهدية العارفين 1 : 805 ، وتاريخ الفكر الاندلسي 283 ، وانظر : الفنون الستة .

21) غريب الشهاب :

ذكره كشف الظنون 2 : 1027 وهدية العارفين 1 : 805 .

22) الغنية في اسماء شيوخه :

ذكرها ورواها عنه ابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه 43 / 512 ، الاحاطة 183 / ا التعريف 133 ، كشف الظنون 2 : 1213 ، هدية العارفين 1 : 805 .

23) غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل :

هكذا اورده ابنه في التعريف 133 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ وبقية المصادر مختلفة في ايراد هذا الاسم ، ففي الكشف : (في صدور الرسائل) وفي الاحاطة : (... في الصدور او الرسائل) وقال ابن خاتمة : كتاب في سؤالات وترسيل له ، في نحو اربعة اسفار ، قال المقري : وانظر هذا الذي قاله ابن خاتمة هل هو غنية الطالب المذكور او غيره .

24) كتاب العقيدة :

ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97 ، وهدية العارفين 1 : 805 وفي فهرس دار الكتب المصرية القديم 7 : 295 : (شرح بالقول لبعض الفضلاء على عقيدة الامام الاجل القاضي عياض) .

واظن هذه العقيدة هي كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام الذي مر ذكره .

25) الفنون الستة في اخبار سبتة :

هكذا سماه في الاحاطة 183 / ا وابنه في التعريف 133 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ وهو مما لم يكمله من تآليفه وعبارة الاحاطة : مما تركه في المبيضة ، انظر : العيون الستة ، والجامع في التاريخ .

26) القواعد :

هكذا ـ مجردا عن الاضافة ـ ذكره في هدية العارفين ، ولم يذكره غيره . وهو ، فيما ارجح : كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) .

27) مسألة الاهل المشترط بينهم التزاور :

من الكتب التي تركها القاضي في المبيضة ، وذكره ابنه في التعريف 133 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ .

28) مشارق الانوار ، على صحيح الاثار :

وهو من اقوم ما خلف القاضي عياض رحمه الله ، درس فيه الموطأ وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم : عمد الى كلمات المتن واسماء الاماكن ، والرجال وكناهم والقابهم ، فرتب كل ذلك على حروف المعجم ، ثم شرع في عمله ، فضبط متونها وصححها على الاصول ونبه على رواياتها المختلفة واشار الى الصواب او الارجح منها ، اعتمادا على المقارنة بين الروايات ، ومتون اللغة ، واستفادة من دراسات السلف التي سبقته ، بعد هذا كله ، على استقصائه وكثرة بحثه .

ثم افرد فصلا لاسماء الامكنة فضبطها ، وكذلك فصل في الاسماء والالقاب والكنى والانساب الواردة في اسانيد هذه الكتب الثلاثة المذكورة ، وعاد فعرض الى ما وقع في كل فصل من هذه الفصول من تصحيف وتحريف يقومه وينبه على الصواب فيه ، وختم هذا العمل المحجز بشرح وجيز لغريب كلمات الكتب الثلاثة .

وقد ترك هذا الكتاب في مبيضته ، ووصف خط القاضي فيه بانه غاية في التشبيج ، (والتشبيج التعمية في الخط) والادماج والاشكال واعمال الحروف ، وجاء الحافظ المحدث ابو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطي المعروف بالطراز ، فجمع اصولا

وامهات حافلة من كتب الغريب واللغة ، وامتعان بها على اخراج نص هذا الكتاب من مسودته .

وذكره ابنه في التعريف 133 ، وعنه الاحاطة 183 / 1 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ . وقد روه بستة اجزاء ضخمة ، وابن خلكان 1 : 496 ، وكشف الظنون 2 : 1687 ، وهدية العارفين 1 : 805 . وقد طبعه السلطان المولى عبد الحفيظ بفاس سنة 1328 ه .

29) مطامح الافهام في شرح الاحكام :

ذكره في كشف الظنون 2 : 1718 ، وهدية العارفين 1 : 805 .

30) المعجم في ذكر ابي علي الصدفي واخباره وشيوخه واخبارهم :

وهو يتضمن نحو المائتي شيخ ، ذكره القاضي عياض نفسه في الغنية 123 ، وابنه في التعريف 133 ، والاحاطة 183 /1 .

31) المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان :

من الكتب التي لم يكملها ، قال ابن خاتمة : انه في سفرين ، ذكره ابنه 133 ، الاحاطة 183 / 1 ازهار الرياض 2 : 238 خ وقد تركه في المبيضة ايضا ، وهو في جزء .

32) نظم البرهان على صحة جزم الاذان :

ذكره ابنه 133 ، الاحاطة 183 / 1 ازهار الرياض 2 : 239 خ ، كشف الظنون 1 : 1961 ، هدية العارفين 1 : 805 .

★ ★ ★

اما ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة اعلام مذهب مالك ، فقد قدره ابنه ، وعنه ابن الخطيب ، والمقري بخمسة اسفار .

وهناك ظواهر يلحظها القارئ لنسخ هذا الكتاب الخطية ، تلح في ايجاد تفسير لها ، يمكن اجمالها فيما يلي :

1) اختلاف النسخ في عدد اجزاء الكتاب ، وتخطي الاجزاء التي تظن ان المؤلف جزء اليها كتابه ، وهي اجزاء يدل الموجود منها على انه كان يبتدئ كل جزء منها بالبسملة والتصلية ، وينهيه بالتنصيص على نهاية الجزء .

ولم تلتزم النسخ التي بيدنا — بصورة دائمة — النص على بداية كل جزء ونهايته على الصورة التي ذكرناها بل تركته اكثر مما عنيت بذكره .

2) كثرة الفروق بين النسخ في الكلمات والجمل بلغت حدا يدعو الى البحث عن الوجه فيه ، بل وصل الامر فيها في بعض الاحيان الى ان كانت لكل نسخة روايتها التي لا تشارك فيها غيرها من النسخ .

3) الاختلاف بين النسخ في ترتيب التراجم ، تقديما وتأخيرا .

4) تكرار التراجم ، بحيث ترد ترجمة الشخص الواحد في مكانين ، وهي مظاهر لا بد ان يكون وراءها ما انتجها .

وقد اتفقت المصادر المعتد بها في ترجمة عياض — على انه لم يسمع كتاب (ترتيب المدارك) في حياته لاحد من الناس ، وهي اشارة فيها — فيما نظن — التفسير لهذه الاختلافات ، فهي على كل حال تعني ان الكتاب لم يقرأ الناس على مؤلفه فتتحدد عند قراءته — بصورة علنية ونهائية — اجزاؤه ، وتتحد — بشكل جماعي — النسخ المسموعة منه على متن واحد ، وعلى ترتيب واحد ، وتحلف منه التراجم المتكررة .

لم يسمع الكتاب ، بل ظل في مسودة المؤلف (★) الى ان تداولته ايادي النساخ ، فاخرجوه من المسودة باجتهادهم .

ووصف خط عياض عند الحديث على مسودة (مشارق الانوار) من تأليفه ، فقيل : انه « في انهى درجات التشبيج » (★) والادماج والاشكال واهمال الحروف » (★) .

وهي صفات وسعت المجال للاجتهاد ، فولدت المظاهر التي سبق الحديث عنها . ومهما كان الامر فقد حدث الاختلاف ، وكان له اثره في عملنا في نشر الكتاب ، فقد ارغمنا ، ازاء ذلك ، ان نستكثر من النسخ بغية الوصول — او المقاربة — الى درجات الاطمئنان .

وكان علينا ان نختار من الفروق ما تتحقق دلالته على معنى صحيح ، غير انا آثرنا ان نضع بين يدي القارئ كل ، او جل الفروق ليكون له ان يختار ، اذا وجب عليه ان يختار ، ولم نجتهد الا في اختيار النص الذي اثبتناه ، فهو — حسب اجتهادنا — النص المرجح ، وما وضع من الروايات في اسفل المتن بين الفروق نص مرجوح ، في اغلب الاحيان . وقد اعتمدنا في تقويم هذا الجزء على النسخ التالية :

(★) كانت هذه المسودة التي بخط المؤلف عند النباهي وقد اشار اليها مرات في المرقبة العليا .

(★) التشبيج : التعمية وعدم البيان في الخط . (★) الديباج 292 .

ا ـ نسخة تحتفظ بها الخزانة الملكية ، وهي نسخة جيدة . وقد التزمنا ترقيم صفحاتها ، فالارقام المحصورة بين قوسين عن يسار المتن او يمينه ، تشير الى صفحات هذه المخطوطة ، وكذلك ارقام فهرس الموضوعات .

ب ـ نسخة محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم 2334 .

ت ـ نسخة خاصة بمكتبتنا .

ج ـ نسخة خاصة بمكتبتنا ايضا .

ط ـ نسخة محفوظة بالخزانة العامة ايضا تحت رقم 2655

ك ـ نسخة محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم 2633 .

وقد اغنانا القاضي عياض ـ بما بينه في مقدمة ترتيب المدارك ، عن الحديث عن منهجه في التأليف ، وتمثله للاصول العلمية المقررة في عهده وتطبيقها ، واستيفاء المراجع ونقدها ـ عن تكرار الحديث في ذلك ، فهو افصح منا لسانا في التعبير عن عمله .

★ ★ ★

وبعد

فلابي الفضل عياض ، ولكتبه مكانة خاصة في نفوس الاسرة العلوية السالكة منذ القديم ، فالمغفور له السلطان مولاي محمد بن عبد الله كان شديد العناية بكتب عياض ، يقرأها ويطلع على خفاياها ، وينقد ما لا يروقه منها ، لقد امر جمعا من العلماء ان يشرحوا مشارق الانوار للصاغاني فشرح الشيخ التاودي ابن سودة الثلث الاول منه ، وكان على الشيخ عبد القادر بوخريص ـ حسب الامر السلطاني ـ ان يشرح الثلث الثاني ، فكان السلطان مولاي محمد بن عبد الله يدل الشيخ على المراجع والمآخذ وكان من بينها شرح عياض على صحيح مسلم (★) .

وعني بقراءة كتاب الشفا ، ولم تعجبه التفاصيل واستقصاء الجزئيات في قسم « حكم من سب رسول الله (ص) » فانتقد عياضا ، وبعث بانتقاداته الى علماء مصر يسألهم رأيهم ، فاجابه من علماء الازهر الشيخ الامير والشيخ عبد المعطي الحريري ، يؤيدان وجهة نظره .

والسلطان مولاي عبد العزيز ـ قدس الله روحه ـ انشأ قراءة لشفا للقاضي عياض في الضريح الادريسي بفاس عند شروق كل يوم ، وعين لذلك جماعة من جلة العلماء ، وخصص لكل واحد منهم راتبا يوميا لقاء القيام بعمله (★) .

وعناية السلطان مولاي عبد الحفيظ ـ اسكنه الله دار رضوانه ـ بعياض معروفة ، فقد طبع على نفقته كتابه (مشارق الانوار) وعزم على طبع (ترتيب المدارك) بمصر ، فعهد الى وكيل الدولة المغربية بها اذ ذاك الحاج محمد بن العباس ابن شقرون ان يطبعه ضمن المجموعة القيمة من الكتب التي طبعها جلالته على نفقته ، هناك وبالمغرب ، وارسل له النسخ الخطية ليشرع في العمل غير ان مانعا من الموانع حال دون ذلك .

وفي سنة 1330 هـ بدأ مولاي عبد الحفيظ بطبع ترتيب المدارك بفاس على نفقته ايضا ، فطبعت منه ست عشرة صحيفة ، ثم حال حائل دون الاستمرار في الطبع .

وفي ايام الاحتفال بالذكرى الالفية لجامعة القرويين ، حدثني بعض المقربين الى حضرة صاحب الجلالة الملك الخالد الذكر ، مولانا محمد الخامس ـ انزله الله مقعد صدق عنده ـ ان جلالته قد عزم على طبع (ترتيب المدارك) وانه امر بجمع نسخه لهذا الغرض ، غير ان هذه الامنية الغالية لم يكتب لها حينذاك ان تتحقق .

وهكذا ظلت العناية بترتيب المدارك عهدا يتوارثه ملوك هذه الاسرة العلوية الكريمة الاماجد لاحق عن سابق ، حرصا منهم جميعا على احياء مجد هذه الامة ، والحفاظ على مقدساتها .

وان الاقدار الالهية ـ حين حالت مرارا دون ان تتحقق رغباتهم الكريمة ، وحين اختارت لتنفيذها وتحقيقها حضرة صاحب الجلالة مولانا امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ـ الا ان تقرن هذه المأثرة العلمية الخالدة بعهده ، وتكتب هذه الحسنة المقبولة في صحفه .

فلقد امر جلالة الملك ـ حياه الله وايده ـ بطبع ترتيب المدارك ، وتكرم بالاذن في الاستفادة من نسخة منه تحتفظ بها الخزانة الملكية ، وواصل جلالته اهتمامه بانجاز العمل فيه منذ بدايته الى نهايته .

ففي نور هديه الرشيد سار العمل ، والى جلالته ـ بدءا وختاما ـ يعود الفضل في اخراج هذا الجزء من (ترتيب المدارك)

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية يسعدها ان ترفع لجلالة العاهل العظيم الجوهرة الثانية من كنوز القاضي عياض وهي بمناسبة ذلك ترجو ان يسدد الله ـ جلت قدرته ـ خطاه ويرعاه حتى يصل بامته الى المكان الذي يليق بها وبامجادها وان يقر عينه الكريمة بولي عهده ويحفظه فيه فهو ـ جل جلاله ـ ولي الاجابة المتفضل بها .

وقسم التأليف والترجمة والنشر بهذه الوزارة يرى لزاما عليه ان يسجل لمعالي السيد الوزير الحاج احمد بركاش شكره الجزيل ازاء ما يلقاه من معاليه من تشجيع واهتمام داعين فالله الكريم يجزيه على عمله احسن الجزاء .

اما انا فقد بذلت وحسبي انني بذلت ما في وسعي فان اصبت فبتوفيق ربي وان كانت الاخرى فلي اجر ما اجتهدت والله يهديني للتي هي اقوم .

الرباط : محمد بن تاويت الطنجي

★) الدرر الفاخرة : 55 / 59 .

★) الدرر الفاخرة 111 .

علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الأول

للأستاذ: محمد المنوني

مقـدمـــة

من التقاليد التي انبعثت في العهد المريني، ربط العلاقات ـ على الصعيد الحكومي ـ بين المغرب والشرق، وفي صدد هذه العلاقات مع مصر بالخصوص، يقول ابن خلدون (*) :

« ... ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد، يعرفون لملوك الترك بمصر حقهم، ويوجبون لهم الفضل والمزية، بما خصهم الله من ضخامة الملك، وشرف الولاية بالمساجد المعظمة، وخدمة الحرمين الشريفين، وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الاحيان، ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الاحـــوال ».

والمعروف ان العلاقات المرينية المملوكية انما ابتدأت في عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحين، الذي كان يعاصره بالمغرب ـ لاول دولته ـ: ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني كما سيذكر، ولكنا نجد اشارة عابرة تفيد قيام هذه العلاقات ايام المنصور قلاوون الصالحي والد الملك الناصر، فقد اورد ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري (*) » القصة التالية.

« انبأني غير واحد عن القاضي نور الدين ابن الصائغ الدمشقي قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: ارسلني الملك المنصور قلاوون الى ملك الغرب بهدية، فارسلني ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها ... ».

فملك الغرب الوارد في هذه القصة، هو اللقب الذي كان عدد من مؤرخي الشرق الاوسط في هذه الفترة، يستعملونه في حق الملوك المرينيين (*)، وهكذا يكون احد هؤلاء هو المعني بالامر هنا، وبالتالي يتضح ان العلاقات المرينية المملوكية ابتدأت من ايام المنصور قلاوون الذي استقل بالسلطة على مصر والشام والحجاز من سنة 678 هـ 1280 م الى سنة 689 هـ 1290 م (*)

وحسب هذا التاريخ فقد عاصره من الملوك المرينيين اثنان: الاول: ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني الذي صار ملكا للمغرب من سنة 656 هـ 1258 م الى سنة 685 هـ 1286 م. والثانـــي: ابنه يوسف آتي الذكر.

ولسنا نستطيع ان نعرف ـ بالضبط ـ احد الملكين المغربيين المعني بالامر في هذه السفارة، ما دام النص الذي يوردها لا يحدد لها تاريخا، وسيبقى الامر مترددا بين الاثنين حتى يتسنى الوقوف على نص توضيحي في الموضوع.

اما هدف السفارة فقد يكون هو توسيط ملك المغرب في حل مشكلة تهم الجانب المصري، وتتصل بعلاقاته مع ملك الفرنج الذي يعني به ملك قشتالة، (*) وقد يدل لهذا قول رواية فتح الباري: فارسلني ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبلهـــا.

في عهد يوسف بن يعقوب :

ازدهرت العلاقات المغربية المصرية ابتداء من ايام يوسف ابن يعقوب الذي بويع سنة 685 هـ 1286 م وتوفي سنة 706هـ 1307م وكان يعاصره في مصر الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحين الذي كانت دولته الثانية من سنة 698 هـ 1299 م الى سنة 741 هـ 1341 م.

وكثيرا ما كانت مهمة هذه السفارات حمل الهدايا الملكية الى سلاطين مصر مع رسائله مرينية في شأن هدايا البقاع المقدسة وفي التوصية بالحجاج، وفي هذه الحالة كانت تذهب في رفقة واحدة مع ركاب الحجاج، وهناك بعض سفارات كانت تذهب

(*) العبر ج 5 ص 479.

(*) ج 1 ص 42 ط مصر سنة 1300 هـ، ونقله في « التراتيب الادارية » ج 1 ص 157.

(*) انظر عن هذا « تتمة المختصر في اخبار البشر » لابن الوردي ج 2 ص 253، والنجوم الزاهرة ج 8 ص 225 و ج 9 ص 290 و ج 10 ص 329/251، مع السلوك للمقريزي ج 2 ق 1 ص 15.

(*) الاعلام للزركلي ج 6 ص 50.

(*) هذا التفسير مأخوذ من التراتيب الادارية ج 1 ص 162

في اغراض اخرى . ونذكر هنا ثلاث سفارات ذهبت على عهد يوسف ، مع سفارة شرقية زارت المغرب في هذا العهد ، وسنتحدث ضمن هذه السفارات المغربية عن الركاب التي رافقت بعضها ، بما ان الحديث عنها يتمم خبر السفارة .

سفـــارة سنـــة 700 هـ :

هذه اول سفارة ذهبت من المغرب المريني لمصر المملوكية ، وكان الذي قام بها وزير مغربي لم يذكر اسمه ولا موضوع سفارته ، والمصدر الوحيد الذي اشار لها ، هو العبر (✱) في الكلمة التالية : (حضر في سنة سبعمائة وزير من المغرب في غرض الرسالة) .

سفـــارة سنـــة 703 هـ :

توجهت مع ركب هذه السنة وكانت غايتها التوصية بحاج المغرب (✱) ولم يرد ذكر اسم السفير القائم بها ، اما الركب الذي سار معها فقد كان اول ركب جهزه المرينيون ، بعد ما انقطع ذهابه مدة ، بسبب الفتن التي صاحبت نقل الحكم من الموحدين الى المرينيين ، وقد تحدث عن هذا التوقف مصدران معاصران تقريبا: احدهما شرقي،وهو «السلوك» (✱) للمقريزي، والثاني مغربي ، وهو « العبر » (✱) لابن خلدون الذي يسجل هذه الظاهرة هكذا : « ... واستجد اهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ، ورغبوا من السلطان اذنه في السفر الى مكة ، فقد كان عهدها بعد بمثلها » .

وتفيدنا هذه الفقرة ايضا ان احياء هذا التقليد كان منبعثه الاول رغبة شعبه وهو احد مظاهر شعبية السياسة المرينية (✱)

وبما ان هذا الركب اول ما بعثه المرينيون ، فقد كان يكتسي اهمية خاصة ، ولهذا نظمه يوسف تنظيما اتخذ نموذجا اول للركاب بعده : فعين له قاضيا هو محمد بن زغبوش احد اعلام المغرب ، وبعث معه فرقة عسكرية لحمايته تناهز 500 من ابطال زناتة (✱) ، كما بعث معه اموالا كثيرة برسم توزيعها على سكان الحرمين الشريفين : مكة المكرمة والمدينة المنورة(✱)

وكان في الركب – ايضا – جماعة من رجالات الصلاح والعلم ، برسم حمل المصحف الشريف الذي اهداه يوسف للحرم المكي ، ومن هؤلاء ابو عبد الله القصار كبير علماء المغرب (✱) وابو عبد الله محمد بن ابراهيم البقوري دفين مراكش ، ويظهر انه كان المكلف الرئيسي بحمل الربعة القرآنية ، فقد ذكر عنه في النفح (✱) : انه قدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل ، بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ، وقد تحدث في العبر (✱) عن هذا المصحف كما يلي :

« ... فامر يوسف باتنساخ مصحف رائق الصنعة ، كتبه ونمقه احمد بن الحسن الكاتب المحسن ، واستوسع في جرمه ، وعمل غشاءه من بديع الصنعة ، واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت ، وجعل منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا ، واستكثر من الاصونة عليه » .

وقد وصل هذا المصحف للحرم المكي وهناك وقف عليه ابن مرزوق حسب المسند الصحيح الحسن (✱) وقال عنه : « وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى ابو يعقوب بخط ابن حسن ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة ، فانتزع ما عليه وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا ، وقد قرأت فيه في اعوام » .

اما كاتب هذا المصحف فيظهر انه احمد بن حسن البلياني التلمساني وقد ورد ذكره في « المسند الصحيح الحسن » (✱) .

هذا ومن المفيد ان ننبه الى وهمين اثنين وقعا في شأن هذا المصحف ، الاول ما ذكره المقريزي في السلوك (✱) من ان يوسف بعثه مع ركب سنة 704 هـ وهو سبق قلم ، فان ابن

(✱) ج5 ص 416 .
(✱) ج 7 ص 226 .
(✱) الجزء الثاني – القسم الاول – ص 9 .
(✱) ج 7 ص 226 .
(✱) انظر عن هذه الظاهرة الشعبية : (نظم الدولة المرينية) مجلة البحث العلمي ، العدد الثاني – السنة الاولى ، ص 213 .
(✱) العبر ج 7 ص 226 .
(✱) روض القرطاس ص 284 .
(✱) (الترجمان المعرب) للزياني – نسخة خاصة –
(✱) ج 1 ص 353 ط مصر سنة 1279 هـ وانظر الديباج المذهب ص 323/322 .
(✱) ج 7 ص 225 .
(✱) الباب 55 – الفصل السابع .
(✱) الباب 26 – الفصل الثاني .
(✱) الجزء الثاني – القسم الاول ص 9 .

الوردي (*) الذي هو اقرب لهذا التاريخ من المقريزي لم يذكر هذا في سنة 704 هـ لما تحدث عن ركب المغرب الوافد في هـذه السنة ، وابن خلدون (*) انما ذكر هذا المصحف في سنة 703هـ واقوى من هذا كله وثيقة معاصرة عن المصحف المعني بالامـر ، وهي رسالة (*) صادرة عن يوسف المريني الى كبير اشراف آل آمغار ، يلتمس منه فيها ان يعين ثلاثة رجال من بينهم ، ليتوجهوا الى بلاد الحجاز المشرفة ، مع من يتوجه برسم حمـل الربعة القرآنية ، وكسوة البيت الكريم ، وقد كتبت هذه الرسالة في 11 صفر الخير عام 703 هـ .

وتفيد هذه ارسالة ـ ايضا ـ ان يوسف اعلن عن توجيه الكسوة للكعبة المشرفة ، وهو شيء انفردت به هذه الوثيقة .

الثاني : جاء في الترجمان المغرب للزياني : ان يوسف هو الذي تولى بيده كتابة المصحف وتنميقه وهو سبق قلم ايضا ، ومخالف لما ذكره ابن خلدون وابن مرزوق ، وقد عاين هذا الاخير مصحف يوسف ، وقرأ فيه بنفسـه ، واكد انـه بخط ابن حسـن .

وبعد هذا نذكر ان من مظاهر علاقات المغـرب بشريف مكة في هذا العهد ، انه لما عاد هذا الركب في ربيع الاخير سنة 704 هـ وفد معهم على السلطان المريني الشريف لبيدة بن صاحب مكة ابي نمي نازعا عن الملـك الناصـر ، لما كان تقبض على اخويه حميضة ورميثة اثر مهلك ابيهم سنة 702 هـ .

وقد استبلغ يوسف في تكريمه ، وسرحـه الى المغـرب ليجول في اقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره ، واوعز الى العمال بتكريمه واتحافه كل على شاكلته ، ثم رجـع الى حضرة السلطان سنة 705 هـ وفصل منها الى المشرق صحبة احـد اعلام المغرب (*) .

سفـــارة سنـــة 704 هـ :

لم نعرف بالضبط غاية هذه السفارة ، وقد امتازت بالهدية الجليلة التي بعث بها السلطان يوسف للناصر بن قلاوون ، وكان السفير الحامل لها هو ايدغدي الشهرزوري عـلاء الدين ، مـن حاشية يوسف المقربين لديه (*) .

اما الهدية فكانت حافلة ، فيها عدد من الخيل والبغـال والابل ، وكثير من ماعون المغرب وسائر طرفه ، مع جملة من الذهب العين (*) وقد بلغ عدد الخيل اربعمائة جواد من العتاق بجهازاتها برسم الجهاد (*) كما ان عدد البغال الفارهة كان اربعمائة ايضا (*) وممن ذهب مع هذه الهديـة ابـو الحسن التنسي ، كبير اهل الفتيا بتلمسان (*) .

وتوجهت هذه السفارة في رفقة ركب عظيم ، عقد السلطان على دلالتهم لابي زيد الغفائري ، وفصلوا من تلمسان الجديدة ـ مقر الملك اذ ذاك ـ في شهر ربيع الاول سنة 704 هـ (*) .

وقد اكرم الملك الناصر السفير المغربي ، وانزل بالميدان ، واجريت عليه الرواتب (*) كما قابل ركب الحجاج بابلـغ وجوه التكرمة ، وبعث معهم اميرا لاكرامهم وقراهم في طريقهم حتى قضوا فرضهم (*) ومن صدى هذه السفارة والركـب في الاوساط المصرية ما كتبه عنها ابن الوردي (*) :

(*) « تتمة المختصر في اخبار البشر » ج 2 ص 253 مصـر المطبعة الوهبية سنة 1285 هـ .

(*) العبر ج 7 ص 226 .

(*) ورد نص هذه الرسالة في (بهجة الناظر في مناقب اهل عين القطر) آل آمغار ـ نسخة خاصة لدى بعـض الاشراف الامغاريين بمكنـــاس .

(*) العبر 7 ص 226 .

(*) قال المقريزي في (السلوك) الجزء الثاني ، القسم الاول ص 9 : (وكان ايدغدي هذا لما قبض على يعقوب في الايام الظاهرية ـ ايام الظاهر بيبرس ـ فر في جماعـة من الاكراد الى برقة ، وقدم على ابي يعقوب بهدية ، فقر به وقدمه حتى صار في منزلة وزير وحسنت سيرته عندهـم الى ان بعثه ابو يعقوب بالهدية ليحج) .

(*) العبر ج 5 ص 420 .

(*) روض القرطاس ص 285 .

(*) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ص 337 .

(*) المصدر الاخير ص 337 ، هذا وفي بغية الرواد ج 1 ص 48 توجد ترجمة محمد بن يخلف بن عبد الســلام التنسي من اكابر العلماء ، وجاء في ترجمته انه تصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق ، وانه كان محترما لدى ابي يعقوب ملك المغرب ، فهل هذا هو الذي عناه ابن خلدون ؟ .

(*) العبر ج 7 ص 226 .

(*) السلوك للمقريزي ـ الجزء الثاني ـ القسم الاول ص 9 .

(*) العبر ج 5 ص 420 .

(*) تتمة المختصر في اخبار البشر ج 2 ص 253 .

(*) العبر ج 7 ص 226/227 .

« . . . ب دخلت سنة اربع وسبعمائة فيها وصل من المغرب كثير ، « كذا » صحبتهم رسول ابي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك الغرب ، الى مصر بهدية عظيمة : خيل وبغال نحو خمسمائة ، بسروج ولجم ملبسة بالذهب المصري » .

ثم في شعبان من سنة 705 هـ عاد الركب وسعه الدليل ابو زيد الغفاري ، وتاخر السفير ايدغدي بمصر حتى ياتي مع وفد الهدية الناصرية ، ولم تخل هذه العودة من مفاجأة بشأن علاقات المغرب مع مكة المكرمة ، فقد كان دليل الركب يحمل معه بيعة اشراف مكة ليوسف المريني ، لما اسقهم الملك الناصر بالتقبض على اخوانهم ، واهدوا لسلطان المغرب مع البيعة ثوبا من كسوة الكعبة ، شغف به واتخذ منه ثوبا للباسه في الجمع والاعياد ، يستبطنه بين ثيابه تبركا به (✱) ، وان هذه البيعة مع وفادة لبيدة بن ابي نمي على مالك المغرب قبل هذا ، ليدلان على مدى الصيت الذي صار للمغرب المريني في الشرق العربي حينئـــذ .

هذا ويحسن ان ننبه هنا الى ان ابن خلدون وهم في تاريخ هذه السفارة في موضعين من العبر ، فجعله في ترجمة يوسف سنة 703 هـ وفي ترجمته التي ذيل بها الكتاب سنة 700 هـ وكلا التاريخين سبق قلم ، ومخالف لما سجله هو نفسه في ترجمة الملك الناصر من « العبر » ، من ان تاريخ السفارة هو سنة 704هـ وهو الذي اثبته كل من ابن الوردي في « تتمة المختصر » ثم المقريزي في « السلوك » .

السفارة الناصرية سنة 705 هـ :

حسن موقع السفارة والهدية لدى الملك الناصر ، فبعث للسلطان يوسف المريني بهدية عين لحملها من عظماء دولته علاء الدين ايدغدي التليلي الشمسي ، والامير علاء الدين ايدغدي الخوارزمي ، ومعهما ايدغدي الشهرزوري سفير ملك المغرب (✱)

وكانت الهدية جميلة ، فيها من طرف بلاد الشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوان ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما (✱) ولما كان الملك الناصر حديث العهد بالانتصار الذي احرزه ضد التتر في المصاف الثاني ظاهر دمشق سنة 702 هـ (✱) فقد جعل في الهدية الناصرية اشياء من مغانم هؤلاء اشهارا لامر هذا الفتح بالمغرب ، ولذلك كان صحبة الهدية عشرون اكديشا من اكاديش التتر ، وعشرون اسيرا منهم، وشيء من طبولهم وقسيهم (✱) .

وقد فصلت السفارة من القاهرة اخريات سنة 705 هـ ثم وصلت الى تونس في ربيع الثاني من سنة 706 هـ وفي جمادي الاخرى من نفس العام كان وصولها الى تلمسان الجديدة حيث السلطان المريني (✱) .

وقد اكبر مقدم هذا الوفد فاركب الناس الى لقائه ، واحتفل للقاء افراد السفارة ، وبروفادتهم ، واستبلغ في تكريمهم نزلا وقرى ثم بعثهم الى ممالكه بفاس ومراكش ليتطوفوا بها ويعاينوا محاسنها .

وفي اثناء هذا مات السلطان ابو يعقوب يوم الاربعاء 7 قعدة سنة 706 هـ وبعد ذلك انطلق السفيران الى فاس راجعين من رسالتهما ، فجهزهما ابو ثابت الملك بعد يوسف ، وبالغ في التكرمة والاحسان ، وبعث معهما للملك الناصر بهدية اخرى من الخيل والبغال والابل ، ثم شيعهما الى مصر في ركب عظيم من حجاج المغاربة (✱) .

هكذا سياق « العبر » لهذه الهدية ومرسليها ، وفي « الاعلام » (✱) لابن الخطيب تحدث عنها كما يلي :

« وجرت بين الملك المنصور قلاوون « الصواب الناصر محمد بن قلاوون » وبين الملوك الكرام من بني مرين — قدسهم الله — المهادات ، فبعث اليه امير المسلمين ابو يعقوب هدية مشتملة على خيل عديدة ، وبغال رومية وغير ذلك من الامتعة زعموا ان الدواب بين فرس وبغل وجمل بلغت سبعمائة دابة ، وكان الذي تولى ايصالها رسول الملك المنصور « الصواب الناصر » عند قفوله بجواب رسالته اليه . . . ولما بلغت الهدية الى المدية من احواز تلمسان ، اتصل بهم خبر مهلك السلطان ابي يعقوب ، فسلبتها العرب بذلك الوطن ، ولحق الرسول بالمشرق بعد مشقة » (✱) .

— يتبع —

الرباط : محمد المنوني

(✱) السلوك للمقريزي الجزء الثاني — القسم الاول ص 15 .

(✱) العبر ج 7 ص 227 ، الاستقصا ج 2 ص 41 .

(✱) انظر عن هذه الموقعة العبر ج 5 ص 418/417 .

(✱) السلوك للمقريزي — الجزء الثاني — القسم الاول ص 15

(✱) ان تحديد تواريخ هذه السفارة ماخوذ من العبر ج 5 ص 227 ومن رحلة التجاني ، نسخة خاصة ، وفي روض القرطاس ص 298 . تحديد تاريخ مقدم السفارة المصرية على يوسف سنة 705 هـ ، وهو سبق قلم لمخالفته لمن ذكر وبالخصوص التجاني التونسي ، الذي مر وفد الهدية على تونس قيد حياته ، وسجل ذلك اوائل رحلته ، محددا التاريخ بالعام والشهر

(✱) العبر ج 5 ص 421 مع ج 7 ص 227 .

(✱) نسخة الخزانة العامة بالرباط — رقم د 1552 ، ورقة 93 .

(✱) انظر العبر ج 5 ص 421 مع ج 7 ص 227 ، والسلوك للمقريزي ، الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص 49 .



للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 3 -

« يعقوب المنصور »

من اهم ما نلاحظه في تاريخ الموحدين وحدة التصميم الذي كانوا يهدفون الى تطبيقه وتنفيذه فمنذ تأسيس هذه الدولة وملوكها يعملون على توسيع رقعة البلاد وبسط نفوذهم على كثير من الارجاء والانحاء ليوحدوا بين اجزاء المغرب العربي من جهة وبين المغرب والمشرق من جهة اخرى وليزيلوا التنافر بين المغرب والاندلس - فهم كانوا يسعون في تحقيق امبراطورية اسلامية كبرى يحيون بها الخلافة الاسلامية التي كادت تنهار في الشرق .

فالموحدون كانوا يرون ان المسلمين في حاجة الى قائد عظيم يجمع بينهم ويوحد صفوفهم ويعيد لهم مجدهم . وقد لاحظوا ان الخلافة العباسية اصبحت لعبة في يد كثير من الوزراء والحجاب وان الهيبة الاسلامية ضعفت بسبب ضعف الخلافة الكبرى لذلك ارتأوا ان يقوموا باعباء هذا الامر الجلل وان يتحملوا في سبيله كل الاخطار دون ان يبالوا بما سيكلفهم ذلك من جهود جبارة ومقاومات عنيفة .

ومما لا ريب فيه ان هذا الامر لا يمكن ان يتم دون ان تراق دونه الدماء وان تحاك ضده الدسائس وان يصاب برد فعل قوي من المحافظين على الانظمة السابقة الذين كانوا يرون ان الخلافة العباسية يجب ان تظل مسيطرة على العالم الاسلامي ولو سيطرة صورية او من الذين كانوا يرون ان ضعف الدولة العباسية ييسر لهم طريق الحكم والسلطان .

لقد كان تصميم الموحدين حقيقة يثير كثيرا من الاحقاد ويبعث القلق في نفوس كثير من الملوك الذين كانوا يحكمون بعض الممالك الاسلامية ويضرم الغيرة في انصار الخلافة العباسية آنذاك .

فالموحدون كما تقدم في المقال الاول كانوا يرون ان عمرة البسيطة جميعا مطالبون بالرضوخ الى حكمهم وان يأتوا الى بيعتهم طائعين مهطعين ، وقد كان الشعراء يذيعون هذه الفكرة توددا الى الخلافة الموحدية او ايمانا بها ، ويبدو ذلك واضحا في النصوص الادبية الرائعة التي كانت تصور موقف الموحدين ازاء الاحداث وتبين تصميمهم السياسي العام وتدعو لهم بما كانوا يرجون ، فهذا الشاعر الجراوي يخاطب احد ملوك الموحدين فيقول : (★)

ستملك ارض مصر والعراقا
وتجري نحوك الامم استباقا

وان استعمال السين الدالة على المستقبل القريب زاد المعنى تأكيدا وقوى الايمان بالنصر وبتحقيق هذه الخلافة الاسلامية التي كان يطمح اليها الموحدون ويودون ان تكون لهم دون غيرهم .

وازاء هاته الخطة التي كان يود الموحدون تنفيذها والتي كان يذيعها شعراؤهم ويبثها في كل الاصقاع ممثلوهم ودعاتهم وتؤكدها حروبهم وفتوحاتهم قامت معارضة كبرى حمل لواءها بعض المرابطين الذين لم يرضخوا لحكم الموحدين واعانهم على الثورة صلاح الدين الايوبي الذي كان يعتبر حامي الاسلام في الشرق وزعيم المسلمين في الحروب الصليبية الشهيرة .

لقد عمل صلاح الدين على افساد خطة الموحدين وعلى احباط اعمالهم فاعان الفتن الداخلية في بلاد المغرب ليشتغل الموحدون بإطفائها ولئلا يجدوا القدرة على فتح الشرق والاستيلاء عليه .

لقد رأى صلاح الدين ان الخطة السليمة هي ارسال بعض قواده الغزيين لاحتلال ليبيا وبعض اجزاء تونس فارسل قائده قراقوش الذي استعان ببعض الثوار في المغرب والاندلس .

فبنو غانية الذين كانوا يحكمون جزر البليار والذين استمروا على بيعة المرابطين رغم القضاء عليهم قد اتفقوا مع بعض بني حماد من سكان الجزائر ومع القائد قراقوش فكونوا جبهة لمقاومة الموحدين .

★) هذا البيت مطلع قصيدة للجراوي هنأ بها ابا يعقوب يوسف بن عبد المومن بابلاله من مرض . «النبوغ المغربي لعبد الله كنون — الجزء الثالث صفحة 854 الطبعة الثالثة .

وعمل علي بن اسحاق بن محمد بن غانية على تنفيذ الاتفاقية فارسل اسطولا الى بجاية ودخل اليها على غفلة من عاملها الموحدي ولم يلق من سكانها الا مقاومة ضئيلة ثم ارسل جنوده لاحتلال بعض المدن الاخرى فاستولوا على اجزاء من تونس ونحوا الموحدين عن قابس وقفصة .

ولكن هذه الثورة لقيت من الملك الجديد يعقوب المنصور مقاومة عنيفة لانه كان يرى في القضاء عليها تركيزا لحكمه وتثبيتا لخلافته .

فاذا كان مقتل ابيه على حدود البرتغال قد شجع هؤلاء على الفتنة وحرضهم على العصيان والتآمر فان زمام الحكم الذي اخذه المنصور قد غير الموقف وادخل الرعب في نفوس الذين ظنوا ان الساعة قد ازفت لاضعاف الدولة الجامحة ، فقد ارسل المنصور جيشا جرارا اشرك فيه جنود البر والبحر للقضاء على المتمردين والثائرين والمتآمرين واستطاعت جنوده ان تتغلب عليهم وان تعيد البلاد الى حكم الموحدين من جديد .

ورغم تمكن ابن غانية من الفرار فان جنود الموحدين استمروا في ملاحقته وقرر المنصور قرارا حربيا صارما بمتابعة الحرب الى النهاية وبر بوعده حيث استمر ما يقرب من اربع سنوات في القضاء على هذه الثورة التي كادت تؤدي بملك الموحدين .

وفي كبح جماح هذه الثورة اظهر المنصور حزما وعزما واذكى روح المقاومة في جنوده وصور لهم في جل خطبه بانهم سينالون النصر لانهم يدافعون عن الحق ، والحق لا يقهر ولا يغلب .

وكان يقوم بدعاية حربية كبرى بحيث كان لا يفتر عن نشر البلاغات الحربية التي تضفي جلالا على مواقفه وتظهر انتصاراته المتوالية بل كان دائما يصور اعداءه في صورة الجبناء الذين لا يستطيعون ان يثبتوا في مواقف الحرب والجلاد ويصور جنوده آخذين بزمام المعارك يخشى بطشهم ويخاف من عذابهم الشديد .

وكان يكتب بذلك الى عماله رسائل يدعوهم الى نشرها في عمالاتهم وقراءتها على الكافة حتى يطمئنوا الى النصر المبين

وفي هذه الرسائل كان الكتاب يتعمدون الاطناب ليبعثوا الامل في نفوس المواطنين وليدخلوا الرعب والهلع في نفوس الاعداء وكانوا ينتقون لاساليبهم الادبية ما يرفعها عن الابتذال حتى اذا ما سمعها من وجهت اليه اثرت فيه تأثيرا كافيا ولعبت بعواطفه فاصبح مأخوذا ببلاغتها وبيانها .

ومن هذه الرسائل رسالة كتبها عند محاربته للثوار بتونس يقول فيها : (✱) « وكان هؤلاء الاشقياء والمتمردون، والكفرة المتخلعون ، من ثوب الاسلام المتجردون ، والجبناء المجرون بالخلاء وهم متفردون ، والاوباش المتظافرون ، على الحراية المتعاقدون ، قد استنزلهم الشيطان واغواهم ، واستجرهم الطمع المهلك واستهواهم ، وصور لهم ان لا قامع يقمعهم فأضلهم وارداهم . ولما اذن الله تعالى بهلكهم وقضى بقهرهم على ايدي اوليائه المظفرين وعركهم ، واراحة هذه الجهات مما دهاها من زورهم وافكهم عزم الموحدون ــ اعزهم الله ــ على النهوض اليهم الى محال قرارهم ، وغزوهم في عقر ديارهم ، واستعانوا بالله تعالى على ابادتهم ومحو آثارهم ، فنهضوا من تونس ــ كلأها الله ــ ودلائل نجحهم صادقة واعلامهم بالفتح والتأييد خافقة ، والنفوس بنصر الله وعونه واثقة ، وتيسيراته سبحانه مضايقة للرجاء في فضله وموافقه ... وعند ما احس الاشقياء بحركة اهل التوحيد ــ اعزهم الله ــ اليهم واطلال راياتهم المظفرة عليهم ، وان اخذة الله الرابية قد اتتهم من ورائهم ، ومن بين ايديهم ، تحركوا من مواضعهم مخيلين بزورهم ، متجرين بحبل غرورهم ، متقادين بربق الصغار الى مصارع تدميرهم . وقدروا فكان حتفهم بحول الله في تقديرهم وتخيلوا ان كل بيضاء شحمة وكل سوداء تمرة ، وتوهموا ان تخيلاتهم الكاذبة تنفعهم كل مرة ، وانخدعوا بما املي لهم ليزدادوا اثما من امهال وتبرة ، فسقط العشاء بهم على سرحان ، وقادهم الحين المتاح لهم بارسان واشطان وعوضوا مما قدروه من انتهاب مقر الجلاد ومر الطعان ، واعمال ظبى القواضب فيهم وعوامل المران ، وصارت ضروح اشلائهم الممزقة ، واوصالهم المفرقة ، حواصل الطيور وبطون الذؤبان »

ثم استمر في الحديث عن حروب الموحدين الى ان بلغوا الى بلاد قابس وهناك طلب المحاربون الامان وتنازلوا عن المدينة دون حرب او طعان وقد اشار الكاتب الى ذلك بقوله : « وكان من صنع الله الذي لم يدر في خلد ، ولا ينسبه الا التوكل على الواحد الصمد ، ان لم يفقد من الموحدين ــ اعزهم الله ــ احد ولا انتقص لهم بفضل الله عدد »

وهكذا نجد ان هاته الرسائل كانت تقوي معنوية الموحدين وترفع نفوسهم فهي بمثابة الصحافة الموالية للحكومة تتحدث باسمها وتذيع انتصاراتها وتطري مواقفها وتفرط اعمالها وتشوه مواقف اعدائها .

كانت هذه الرسائل تقوي نفوس الاتباع وتدخل الرعب في نفوس الاعداء ، كانت تذاع على الخاصة والعامة وتلقى على الجمهور من المنابر في خطب الجمعة وتترجم الى البربرية لتعم فائدتها جميع المغاربة وتلك خطة الموحدين فهم كانوا لا

✱) من الرسالة الثلاثين صفحة 184 وهي من انشاء الكاتب ابي الفضل بن محشرة .

يقتصرون في نشر بياناتهم السياسية واخبارهم العامة وتفسير عقائدهم على اللغة العربية وحدها وانما كانوا يمزجون بينها وبين البربرية ايضا .

ولم تكن الغاية من ذلك ، التضييق على اللغة العربية او عدم ثقتهم بمفعولها في الشعب ولكنهم كانوا يطمحون الى نشر نفوذهم في جميع اجزاء المغرب العربي وكان من بين السكان من لا يعرف اللغة العربية ويخشون اذا ما اقتصروا على نشر اخبارهم بها وحدها ان لا تصل عقائدهم وآراؤهم الى هؤلاء .

بل اننا اذا اردنا ان نحكم على العصر الموحدي في تاريخ الادب العربي والثقافة العربية لوجدناه من ازهى الاعصر التي يجب ان يفتخر بها المغاربة فهو عصر كثر فيه الحكماء والعلماء والادباء كتابا وشعراء .

واننا اذا اردنا ان نحكم على موقف ملوك الموحدين ازاء اللغة العربية لوجدناهم يشجعون الثقافة العربية والادب العربي بكل ما اوتوا من امكانيات ولهذا فان موقفهم ازاء البربرية ومشاركتها اللغة العربية في نشر الاخبار والعقائد انما كان لغاية هادفة الى تمكين عقائدهم من جميع البربر ليدافعوا عنها عن ايمان .

ولنعد الى اعمال المنصور مرة اخرى فان جنوده ظلت في زحفها الى ان بلغت الى بلاد قفصة تلك المدينة التي نكصت مرارا مختلفة عن حكم الموحدين وسببت لهم مشاكل عديدة فلما استولى عليها رأى ان حصانتها هي التي تدفع الثائرين الى التمرد لذلك قرر هدم سورها المنيع حتى يأمن من شر النكوص والانقلاب .

واعلن المنصور بعد فتح قفصة انتصاره المطلق على الثائرين وذكر في احدى رسائله ذلك فقال : (✶) « وبتملكها تمت هذه الحركة المباركة تماما على الذي احسن ، وظهر عظيم صنع الله فيها لأوليائه المؤيدين وتبين ، وتحقق كل مومن لطيف عناية الله بهم وتيقن . ولم يبق في هذه الجهات كلها من الاغزاز من ينفخ للفتنة في ضرم ، ولا من يستقل للسعي اليها على قدم » .

ولما تم النصر ببلاد افريقيا للمنصور فكر جديا فيما سيقوم به ازاء نصارى الاندلس .

ورأى من السدد ان يعمل على تشتيت جموعهم وان يسعى في فرقتهم لذلك اقام معاهدة مسالمة بينه وبين ملك قشالة كما جدد معاهدة هدنة بينه وبين ملك ليون فلم يبق امامه الا ابن الريق ملك البرتغال الذي كان قد قضى على يوسف وقتله .

لقد كان المنصور يريد ان يستغل التنافر الحاصل بين الدويلات التي كانت تحكم اسبانيا وكان عازما على الانتقام من البرتغاليين الذين لم يجدوا بعد تغلبهم على الموحدين من يناوشهم او يحاول الانتقام منهم ، فالمنصور كان يعمل على قمع الفتنة الافريقية ولم يكن يرى من السداد توزيع قواته خشية ان تنهزم وتقهر لذلك نراه بعد انتهاء الحرب الافريقية وجه عنايته الى اسبانيا فأقام معاهدة السلم بينه وبين القشتاليين والليونيين ليجد الفرصة سانحة لحرب البرتغاليين فيتوجه اليهم بجنوده سنة سنة 585 م واكتسح ارض البرتغال تلك الارض التي شهدت مقتل ابيه وجال في انحائها يخرب ويحرق ويشتت الجموع ويؤدب العاصين ويهزم الطغاة ويذل الاعداء ، ولكنه رغم ذلك لم يستطع ان يتغلب على ابن الريق نفسه لانه كان قد استحصن ببلاد شنترين وصعب على جنود المنصور ان يطيلوا الحصار وخشي المنصور على جنوده من استمرار الحرب دون نتيجة فاعطاهم الامر بالرجوع الى اشبيلية ليستريحوا من ارهاق الحرب وهولها وكتب من اشبيلية رسالة الى عماله يخبرهم فيها بايامه الخالدة وبانتصاراته الرائعة وبتصرفاته المطلقة في اراضيها وبادخاله الرعب على جميع السكان الذين خذلهم اميرهم ابن الريق فانعزل عنهم وظل مستترا ببلاد شنترين ومما جاء في احدى رسائله بعد ان ذكر الهول الذي اصيب به البرتغاليون قوله : (✶)« وملكهم ابن الريق بشنترين — اعادها الله — ملازم لانجحاره مسكن في وجاره مدرع جلابيب خزيه الطويل وعاره ، لا يبرز لقارعة ولا يظهر لصارعة ولا يبدي من جموعه الذليلة وجنوده القليلة احدا لمنازلة او مدافعة قد القى للحادثة بيده وطأ من احشاءه ذلا وصغارا على كمده وجعل الاستتار على قريته المحصنة والالتجاء الى جدره المنعة اعظم معتمده في الابقاء على حشاشته التالفة واكبر مستنده ، وقد اقصدته جنود الحق وكتائبه وانتشرت بجهاته المستباحة جحافله ومقانبه وتدكدكت بوطء العساكر المنصورة والجيوش الموفورة ارجاؤه وجوانبه ، ولو اصحر الكافر لناله ادراكها وعلقت بحبائل الهلكة واشراكها وغشيه سيلها وحطمه عراكها . واقام الموحدون اياما يدرسون بلاده وينسفون رغده ونماده ويحملونه من اوق المضرة وثقل المخزاة والمعرة ما لا يستطيع حمله واوده والحمد لله رب العالمين»

وعاد المنصور سنة 587 هـ الى غزو البرتغاليين فنشر الرعب بين ربوعهم ولكنه لم يتيسر له تتميم هذا الغزو فقد اضطر الى الرجوع الى بلاد المغرب ليقضي على بعض الثورات الداخلية التي تزعمها بنو غانية من جديد .

✶) الرسالة الثانية والثلاثون وهي من انشاء ابن محشرة ايضا صفحة 208 .

✶) الرسالة الرابعة والثلاثون من انشاء ابي الفضل بن محشرة ايضا صفحة 226 .

وبعد عودته الى المغرب فكر نصارى الاندلس في امرهم وراءوا ان تنافسهم على حكم بلاد الاندلس شجع الموحدين على غزوهم والقضاء عليهم لذلك فكروا في ان يكتلوا جهودهم وان يوحدوا صفوفهم لمحاربة الموحدين ، وارسل ملك قشتالة الى المنصور يستخف به وبسلطانه ويعلن انه نكث العهد الذي كان بينهما ويتحداه ويتطاول عليه ويدعوه الى حرب جديدة يصبح بها ملك قشتالة ملك الملتين او يصبح بها المنصور ملك الديانتين .

ولا شك ان هذه الرسالة قد اثارت غضب المنصور وجعلته امام الامر الواقع فاما حرب يتلوها نصر واما تغافل عن الرسالة يعلو به شأن نصارى الاندلس .

لقد رأى المنصور ان يذيع رسالة ملك قشتالة على الموحدين وان يجعلها سبيلا الى رفع معنوياتهم والى تحريضهم على القتال والجهاد .

وتعالت اصوات الموحدين وانصارهم في كل مكان بالدعاء للمنصور واعلنوا جميعا بالفداء للاسلام ونصرته ،وظهر التجاوب المطلق بين سكان المغرب وسكان الاندلس وبين البربر والعرب.

فلما رأى المنصور ذلك اعلن التعبئة العامة ونظم جيشا عظيما بقيادة ابي حفص الهنتاني وجعل قيادة الاندلسيين لعبد الله بن صناديد احد قوادهم المجربين فوضع خطة حربية موفقة عادت على المنصور وجنوده بالنصر المبين .

وكان موقع هذه الحرب بمكان يعرف بالارك بين قلعة رباح وقرطبة ، وقعت سنة 591 هـ فكانت فتحا جديدا للمنصور قوى هيبته بين معاصريه وثبت اركان دولته وجعلها بحق دولة العز والظفر .

لقد شجعته هذه الوقعة على توالي الايقاع باعدائه فغزا بعدها الاندلس مرارا واذاق اهلها قتادة وصغارا وتعددت فتوحاته وكثرت ايامه الظافرة التي خلدها الشعراء في قصائدهم وتنافسوا في تصويرها وفي اذاعتها من ذلك قول شاعره ابي يحيى بن عبد الجليل بن مجبر : (✱)

قضى حقوق الله في اعدائه
ثم انثنى والنصر تحت لوائه
بحر طما والبوءس من امواجه
صبح بدا والحق من اضوائه
عمد اقام به المهيمن حقه
والحق عمدة ارضه وسمائه
وأباحه مهج العدا فكأنما
قد نصلت ارماحه بقضائه
اغزى بهم جيشا تضيق الارض عن
افواجه والوهم عن احصائه
لما رأى للشرك رسما ماثلا
اوهى قواه وجد في اقوائه

واستمر المنصور بالاندلس يقضي على اعدائه الى سنة 594 هـ ثم رجع الى مراكش فلم تطل اقامته بها حيث مات سنة 595 هـ بعد ان ولى العهد لابنه محمد الناصر .

هذه صورة مجملة لابي يوسف يعقوب المنصور لا تصور الا جانبا من ايامه وحروبه .

واما الجانب الاجتماعي والعمراني فان كتب التاريخ لا تني تذكر عن هذا الملك ما يقصر الوصف عن تحديده .

فهو الذي حرر الفكر من القيود ودفع المواطنين الى التفكير الجدي في امور دينهم وفتح لهم باب الاجتهاد وامرهم بالرجوع الى الكتاب والسنة وبعدم التقيد بكتب الفروع .

وهو الذي شجع العلم وقدره وقرب اليه كأبيه كثيرا من الاطباء والفلاسفة واغدق عليهم العطايا . وان ما يذاع عنه من نكبته لابن رشد لا يعود سببها الا لامور سياسية محضة فلما زالت تلك الاسباب قربه اليه وشجعه في نشر آرائه وكتبه .

وهو الذي كان يحرص على ان ينال رعاياه حقوقهم الاجتماعية فكان يحصي الفقراء والايتام ويمكنهم من عطايا تعينهم على احتمال الحياة بل كان ياخذ من الاغنياء ما وجب عليهم من الزكوات ويقدمها الى مستحقيها ، فمما جاء في احدى رسائله التي ارسلها من مراكش الى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان والكافة باشبيلية قوله : (✱) « ادام الله كرامتكم بتقواه ــ تأمرون العمال هنالكم بدفع جميع ما تحصل في هذا العام من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي ابي المكارم ــ اكرمه الله بتقواه ــ يوزعه على الضعفاء والمساكين رفقا بهم وتوسعة عليهم، فاعتهدوا على ذلك ان شاء الله عز وجل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

هذا زيادة على ما خلده من البنايات العظيمة ومن الآثار التي ما زالت الى الآن تدل على عظمته ومجده فرحمة الله عليه وعلى كل بطل عظيم .

فاس ــ محمد بن عبد العزيز الدباغ

(✱) شرح مقصورة حازم للشريف الغرناطي ، الجزء الثاني صفحة 155 .
(✱) الرسالة الثامنة والعشرون صفحة 167 .

على هامش المعركة



- 2 -

كل هذه الافكار والاحداث المتتالية كانت تراود ذاكرة سكان القرية الذين كانوا يستعيدونها ، فتشغل تفكيرهم ، وقد تلهيهم عن اشغال ضرورية لهم ، غير ان الوقت يمر ، والانسان يرجع الى نفسه يتحسسها ويبحث عن المكان او المكانة التي ينبغي ان يضعها فيها ، وهذه المكانة هي ما يمكن ان نسميه بالطبيعة او السجية التي من شأنها ان تعيد الحياة وظروف الحياة الى مجاريها الحقيقية العادية .

وهكذا افاق سكان « تمسيلة » صباح الاثنين رابع اغسطس ليسيروا في مناكب الارض ، وليدبروا شؤون معاشهم ، ويختطوا نهج حياتهم اليومية من جديد ، ولكنهم مع ذلك لا ينسون فلذات اكبادهم التي تمشي على الارض لتصل الى مكان النزال .

ها هي ذي امرأة نصف ، قامت تسابق اشعة الشمس البازغة ، لتبحث عن غدائها اليومي ، ولتهيئ لابنائها الصغار ، تلك الفاكهة الصيفية المعروفة « بالهندية » ، وها هي ذي جارة لها اصغر منها سنا ، تلتقي معها لنفس الغرض ، ويتطرق بهما الحديث الى موضوع الساعة ، فتسأل الصغيرة الكبيرة :

ص — ارأيت يا اختي كيف ان الموقف يوم الجمعة الماضي كان مؤثرا للغاية ؟

ك — يتأثر له حتى من كان قلبه كالحجارة او اشد قسوة .

ص — كيف تجدين فراق ابنك الوحيد ؟

ك — ان هذه اول مرة فارقني فيها للجهاد ، ومع ذلك احس بالالم والرضى معا : الالم من اجل الفراق الذي نرجو الا يطول ، وان يعود بعده سليما معافى ، واشعر بالرضى لانه ذهب تلبية لنداء الوطن ، ورغبة في تنفيذ ارادة السلطان التي هي من ارادة الله والشعب . حقا ، قد كنا ضقنا ذرعا بمضايقات جنود العدو التي باتت تقلق راحة السكان في كل مكان ، فلعل هذه (الحركة) تضع حدا لتكالب العدو علينا واستنسار البغاث في ارضنا .

ص — يقولون ان العدو جمع الآلاف المؤلفة من الجنود المنتمية الى اجناس مختلفة من بلاد النصارى .

ك — الله معنا ، والحق في جانبنا والصبر والايمان زادنا ، ولن يخذل من كان الله ناصره ، والحق رائده ، والصبر والايمان زاده (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) ولو اجتمعت عليكم شعوب الارض قاطبة .

ص — عسى ان يعود ابنك وابناء القرية اجمعون ، وهم يرفلون في حلل السلامة والعافية ويتغنون باناشيد النصر ان شاء الله .

ك — ذلك ما نرجوه يا اختي ، حقق الله الامال .

ص — انتهيت من جني الهندية ، وعلي ان اذهب لاعد الفطور لزوجي المريض ، ثم بعد ذلك اذهب للحقل ، ان اشغالنا يا اختي تكاثرت في هذه الايام ، ولكن ينبغي ان نقوم بها عن طيب خاطر وبكل حماس .

ك — كلنا في هذا الامر سواء ، فاذا كان ابناؤنا واخواتنا وازواجنا في جهادهم الاكبر ، فنحن هنا في جهادنا الاصغر .

ص — قلت حقا ، ونطقت صدقا ... الله يهنيك .

ك — مع السلامة يا اختاه .

وتمر ساعات هذا الصباح الهويني ، وكانها حبالى بما تحمله في احشائها من حوادث الزمن التي ستذكرها الاجيال على الدوام ، والتي سيكون لها تأثيرها البالغ في سياسة بعض الامم ، وستعمل على تغيير مجرى التاريخ لا محالة .

حقا ان اليوم الاول لسير الفيلق الصغير الذي كونته قبيلة بني مصور ، وودعته قرية تمسيلة اخيرا ، قد مر بهدوء ،

وفي غير انتظار لمزيد من المفاجآت او الاخبار المثيرة ، نظرا لان الطبيعة والمنطق يفرضان ان يكون العمل المنوط بالفيلق ، انما هو مجرد السير الى ميدان المعركة الذي هو مجهول لحد الساعة ، وكل ما هو معلوم ان التجمع ينبغي ان يكون ـ حسب اوامر السلطان الشديدة ـ بمدينة القصر الكبير ، ومن يدري ؟ فقد تنشب المعركة الفاصلة هناك حول المدينة ، وقد تنشب قريبا منها او بعيدا عنها بقليل ، فما على الجيش المغربي ومتطوعي القبائل الذين هرعوا استجابة للنفير العام ، الا ان ينهمروا كالسيول الجارفة نحو المكان المعلوم ، فاذا تجمعت مياههـا وتكاثرت ، انطلقت من جديد ، فاذا صادفت في طريقها شيئا ، اتت عليه وحملته غثاء او تركته كالرميم .

ويمر اليوم الثاني كالاول لا تنتظر فيه اية اخبار مثيرة ، وليس من شان الرجال الذين اعلنوها حربا شعواء على الظلم والاستبداد ، ومحاولة التسلط الاجنبي ، الا ان يسيروا نحو هدفهم المقصود ، لا يلوون على شيء ، ولا يثنيهم عن عزمهم اي ثان ، لم يكن يخطر ببال احدهم ان يسأل : مـا ذا سيكون الموقف ؟ او ما ذا ستكون النتيجة ؟ انما كان يهمهم ان يتقدموا ويصبروا ويصابروا ويصمدوا لعدوهم ، وبعد ذلك لتكن النتيجة المحتمـــة .

لم يكن يدور بخلد شعب تسيلة ان يحصل الالتحـام في هذا اليوم الثاني ، لذا اطمأنت النفوس نوعا ، وصارت تتطلع الى اليوم الثالث ، اليوم الذي يحتمل ان تكون الجيوش المغربية كلها متجمعة في نقطة الارتكاز التي ستغدو في يوم ما نقطـة الانطلاق في تاريخ هذه الامة ، ونقطة الانتكاس في تاريـخ تلك التي بيتت العدوان .

وقبل ان نتطلع الى انباء اليوم الرابع ، يوم العراك المرير ، هيا بنا نطرق باب دار القائد شاشون ، ليفتح لنا ، ونرى مـا يدور بداخلها من التعاليق على الانباء ، او ما سيرد عليها من اخبار ، ربما كانت هذه الدار خير موطن لهـا ، وكيف لا ، وهي دار قائد القبيلة وزعيمها المحترم ؟ .

تقع هذه الدار في مكان مشرف ومتفرد ، وهي واسعـة تكاد تكون مربعة الشكل ، وتتوسطها ساحة مكشوفة تحيط بها بيوت ، لها ابواب وكوات تطل على الساحة ، ولبعضها ، ابواب وكوات تطل على الخارج ، ويشمل هذا البعض بيت الاضياف وبيوت الخدم والعبيد ، والاروى مأوى البهائم .

كانت دار القائد منطلق الحشد الى موطن المعركة ، لذا كانت مقصد الناس ، ومحجهم للاستفسار عن احوال المجاهدين ، ولتنسم اخبارهم ، ولمعرفة ما اذا كانوا قد تم لهم اللقاء بعدوهم الذي طالما اقلق راحة سكان الشمال وسكان بني مصور الذين ذاقوا الامرين من جراء تصرفات جنده الغاشمة .

لم تعد الدار تموج بمن فيها من الخلق كما كانت ، لان جل الرجال قد غادروها للدفاع عن حوزة البلاد ، فالقائد واخوه وبعض افراد العائلة ، والخدم ذهبوا في الطليعة ، ولكن بقي احد ابناء القائد لتسيير شؤون الدار وللقيام بالمهام التي يقوم بها والده في اوقات السلم ، اعني الفصال في كل ما يحدث من مشكلات قد تخل بالامن او تمسه من قريب او بعيد ، وبقي ايضا للاشراف على الحراسة (الادالة) فقد كانت البـلاد في حالـة طوارئ ، وكانت القبيلة مجاورة لمدينة طنجة الخاضعـة للنفوذ البرتغالـــــي .

كانت والدة محمد (ابن القائد) قد توفيت منذ مدة ، وكانت شريفة تنتمي الى البيت النبوي الكريم ، وتركت الى جانب محمد اختا له هي (رحمة) ، بنت جميلة اصغر سنـا من محمد ، اكملت منذ قليل ربيعها الخامس عشر ، وهي الآن في سن السادسة عشرة ، سن المراهقة والتفتح كما تتفتح وردة جميلة عن شذاها البديـــــع .

للقائد زوجة اخرى لم تترك له بنتا ، وانما اولادا ذكورا ومعظمهم صغار ، لان والدهم تزوج بامهم بعد وفاة زوجته الاولى ، وبما ان القائد لم يكن له من الاناث الا رحمـة ، فانـه كان يحبها ويعزها ، وكانت هي تبادله الحب والاعزاز ، ولولا نداء الواجب ما كان ليفارقها ، كما انها لم تكن لترضى عن فراقه ، لولا استهداف الوطن للخطر ، وتعرض سكان القبيلة منذ مدة الى استفزاز البرتغال وتعسفهم ، فكان من اللازم اذن ان يـرد كيد هؤلاء في نحرهم ، وكان من اللائق او المحتم ان يطمئن الناس بالا ، ويرتاحوا الى شيء من التضحية والصبر الذي يتمثل في تحمل الفراق الى امد معين ، وعسى الا يطول .

كانت دار القائد تضم عبيدا واماء ، ذكورا واناثا ، ومن هؤلاء امة تسمى « العنبر » ، وكانت رحمة واخوها يدعوانها (الدادة) فهي لهما بمثابة الوالدة المتوفاة ، لقد ربتهما صغيرين ، وهما ما يزالان يرفلان في حنـان والدتهما ، وصارت تعنـى بشؤونهما اكثر بعد ان صعدت روحها الى الرفيق الاعلى .

لقد احست رحمة من نفسهـا الشجاعـة ساعـة الاستعداد والتهيؤ للقتال ، وربما كانت من اكثر الناس حماسا لمنظـر الرجال الذين لبسوا « جلاباتهم » المزينة بانـوار من الحريـر المزركش وعلت هاماتهم عمامات « شرقاوية » بلونها الاصفر الذهبي ، وشكلها المستدير الذي يشبه القمر البازغ في ليالـي التمام ، وقد اخرج الكثير منهم احدى يديه من الفتحة العليـا للجلابة ، واتشح ببندقيته من جهة ، و « بشكارته » من جهـة اخرى ، وقد صنعت هذه الاخيرة من الجلد المنمق الجميل ، تزينها بعض الازرار الجلدية التي تهتز كلما تحرك صاحبها ، وكأنها ترقص فرحا للقاء العدو ، او تلهفا ليوم الكريهة .

لكن بعد مرور اليوم الاول على الفراق ، وبعد مرور اليوم الثاني ، بدا الحنين والشوق يخالج نفس رحمة ، وصارت تبدي نوعا من القلق او الخوف على مصير والدها الذي يحبها وتحبه ، فبدأت تبكي للفراق ، وكأنها صارت تخشى على حياة والدها ، وعلى مصيرها هي ، حيث ستبقى بعد استشهاده يتيمة الابوين .

لقد تصورت هذا ، فانهمرت الدموع من عينيها ، حقا ان لها اخا كبيرا صار والدها يعتمد عليه ، ويستخلفه في اموره العائلية الخاصة ، وفي الشؤون الادارية العامة ، ولكن الوضع يختلف ، فمكانة الاب غير مكانة الاخ ، لذا نرى بعض افراد العائلة يلتفون حول رحمة ، ويهونون عليها الامر ، ويواسونها وخاصة (الدادة فقد كانت تحاول بمختلف السبل ان تسليها وتدخل على نفسها السرور بما تاتيه من افعال ، وما تفوه بهمن اقـــوال :

ـــ سيدتي الصغيرة ، انصتي الى امتك الفقيرة « الدادة » الشهيرة ، ان رحلة سيدي الكبير لقصيرة ، وربما ياتينا بعد غد في الظهيرة .

= ما هذا يا دادة ؟ اراك ترجمين بالغيب ، وتنترين نثر الكهـــان .

ـــ نعم ، انا الكاهنة ، اكشف لك الحالة الراهنة .

= بل ، اراك تهرفين بما لا تعرفين .

ـــ هاتوا البخور ، لتروا كيف اتحرى الصدق في الامور ، فلا اكذب ولا اجور .

= ايتوها بما طلبت ...

وتقوم باشارات وحركات تمثيلية تحمل روحا من الفكاهة والمرح والحبور ، مما بعث السرور الى قلب رحمة ورسم ابتسامة عريضة على شفتيها الرقيقتين ، كادت تنفجر قهقهة او ضحكة عالية ، لو استمرت « العنبر » في القيام بما تقوم به في سبيل الترفيه عن سيدتها الصغيرة ... ولكن طرق الباب الخارجي للدار ، محا الابتسامة ، واوقف اللهو قلبه الى جد بدت اماراته على الملامح ، هبت احدى الخادمات لتفتح الباب ، فسألها الطـــارق :

ـــ اين سيدك ؟

= ليس هنا ، هل من خدمة نؤديها ؟

ـــ كنت اود مقابلته ومحادثته في امر هام .

= انتظر قليلا من فضلك ..

ودخلت الخادم لتعلن اهل الدار بأمر الطـــارق فتلقتهـــا رحمة متلهفة قائلة :

= هـــل مـــن جديـــد ؟

ـــ يبحث عن سيدي الصغير ، ويقول انه يريد محادثته في امــــر هـــــام .

= قولي له ينتظر لنبعث من يبحث عنه ، فلعله يجده في الجيـــــش .

ولم يطل الانتظار ، فسرعان ما قدم خليفة القائد ، لانه تلقى نبأ قدوم شخص على القرية ، تبدو على بزته انه احد التجار الذين اعتادوا الذهاب الى طنجة للمتاجرة ، ومن خلال الوصف الذي قدم لمحمد عن التاجر ، عرف ان هذا الاخير لا بد معرج على دار القائد اما للاستراحـــة والتزود ، واما لتبليـــغ رسالة ما .

وكان الامر كذلك ، فقد عرف محمد في شخصيـــة هـــذا الزائر ، انه التاجر علي الذي طالما مر بقرية تمـــيلة وهو في طريقه الى طنجة او قادم منها ... ولم يكن علي مجرد تاجـــر بسيط ، بل كان رجلا حاذقا لبيبا ، يتصل بالناس من مختلف الاوساط ، فيعاشرهم ويتاجر معهم ، ويتزود علاوة على ذلـــك بكثير من الفوائد او المعلومات .

وسر ابن القائد من لقيا هذا الرجـــل ، خصوصا عنـــد ما عرف انه قادم من ناحية القصر الكبير ، ومتجه الى طنجة ، لقد كانت حالة التوتر التي سادت منذ نـــزول الجيش البرتغالـــي بطنجة ، كافية ان تحول دون التفكير في ذهاب التاجر علي وغيره الى طنجة ، ولكن هؤلاء التجار عادة يكونون ادرى بما يفعلون في مثل هذه الظروف ، وانهم لا قدر على التصرف في اوقات السلم والحرب معا .

دعا ابن القائد زائره الى الاستراحـــة بدار الاضياف ، وبعد برهة بدأ معه الحديث هكذا :

= كيف تركت مدينة القصر الكبير ؟ يقـــال ان الجيش المغربي قد عسكر هناك استعدادا للمعركة .

ـــ غادرت المدينة قبل ان يحصل فيها التجمع ، لقد حاولت الابتعاد عن طريق الجيوش لئلا اقع في المحذور او تحصل لـــي اية عرقلة فلا انجح في مسعاي ، ولا ادرك مرامي التجاريـــة ، ومع ذلك استطعت بوسائلي الخاصة ان اعلم ان عظمـــة السلطان قد حل وجنده بمدينة القصر الكبير ، وان جنود العدو على رأسها سباستيان ومحمد المتوكل قد عسكرت على ماء وادي المخازن ، وقيل ان السلطان تحرك لمواجهتها ، وقد تنشب المعركة اليوم او غـــــدا .

= الم تسمع شيئا عن عدد جنود العدو ؟

ـــ مائة الف او يزيدون .

= كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

ـــ والذي يقلق البال حقا ، هو ما اشيع اخيرا من ان

السلطان قد سمم ، وانه يعاني مرضا من اجل ذلك ، فقد تمكن ابن اخيه محمد المتوكل ان يدس له من جرعه السم .

= مهما كان نصيب الاشاعة من الصحة فان عملية التسميم اجرام متناه في الفظاعة .

ـــ نرجو للسلطان الشفاء والسلامة من كل داء .

وبعد تناول قرى الضيف ، استأذن التاجر من مضيفه ، فخرج هذا يشيعه الى مسافة معينة ، ثم عاد الى داره يصرف امورها ويدبر شؤونها ... ولم تلبث رحمة ان جاءت اخاها تستفسره ، وكان غرضها من وراء هذا ان تعرف شيئا جديدا عن « الحركة » وان تتسم بعض الانباء عن والدها ، بيد ان اخاها طمأن بالها ، وانبأها ان التاجر لم ير والدها ، واطلعها على اهم التفاصيل التي حصل عليها من التاجر ثم اضاف :

ـــ ليس في وسعنا الا ان نطلب من الله ان ينصر المجاهدين ، وان يعيد والدنا وسائر المجاهدين في القريب العاجل ، وسيكون يوم العودة يوما مشهودا ، وعيدا من اعياد النصر معدودا .

ومر اليوم متثاقل الخطى ، بطيء السرعة ، يمشي « كما يمشي الوجي الوحل » ، وتلته ليلة كانت اكثر تثاقلا ، واشد بطئا ، فكأن نجومها قد شدت بيذبل ، فلم تعد تفكر في الحركة ولم تعد تقدر عليها الا بمقدار ، ولكن مهما طال الليل فلابد ان يصبح .

ولم تصبح بالقرية اية مشكلات او دعاوي يمكن ان تشغل بال الناس في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المغرب ، لذا لم يكن لدى ابن القائد ما يعمله في مجال فصل الدعاوي ، فقرر ان يتفقد احوال القرية ، ويواسي اهلها ، ويقدم المساعدة الى من يحتاجها منهم ، وقد احس اهل القرية بانهم موضع عناية ورعاية ، فطابوا نفسا ، ولا شك ان القائد شاشون كان يسر عظيم السرور لما قد احدثه تصرف ابنه ، وما ابداه من الحكمة في معاملة السكان ومواساتهم وتشجيعهم ، ولا شك انه كان متأكدا من كياسة ابنه وحسن سياسته ، ومن نضجه وذكائه وفطنته ، ولذلك تركه ليسوس القرية في غيبته .

كان واجبا على محمد ان يعرج في تطوافه على دار عمه ، هذا الذي ترك اسرته في عهدة ابن اخيه ، وراح للميدان قرير العين ، مطمئن البال ، وصل الى الدار ، وطرق بابها . فسمع صوتا يقول :

ـــ من بالباب ؟ اجاب :

= قريب لا غريب . وفتحت الخادم الباب ، ودخل فقالت له امرأة عمه :

ـــ امثلك يقف بالباب ويستأذن في الدخول ؟

= لم اجد وسيلة اخرى غير الطرق والاستئذان ؟

ـــ معذرة يا سيدي ، يظهر ان احدى بناتي اقفلت الباب ، اصبحن يخفن حتى من ظلهن ، قال (مبتسما) :

= لم ذاك ؟ ليس في الامر ما يستدعي الخوف ، هل يداخلهن شك في مقدرتي الادارية ؟ واجابت مبتسمة :

ـــ قل لهن ذلك ، اما انا فامن جهتي فلا اشك مطلقا في ان هذا الشبل من ذلك الاسد .

= شكرا على هذا الاطراء ، واود لو شاركتك بناتك هذا التفكير .

ـــ انه الواقع يا بني ، والواقع لا يرتفع .

= كيف امضيتن الليلة البارحة ؟

ـــ بخير ولله الحمد ، غير ان بنتي الكبيرة (طامة) باتت قلقة ، وكان افكارا مزعجة شغلت بالها ، حبذا لو سمحت لاختك رحمة بمعاشرتها وعدم مفارقتها طيلة هذه الايام حتى ياتي الفرج من عند الله .

= اين هي ؟ اريد محادثتها .

ـــ طامة ، تعالي سلمي على ابن عمك ... ودخلت بنت ربعة القامة ، صبيحة الوجه مستديرته ، لونها ابيض مشرب بحمرة ، في مثل عمر اخته رحمة ، وتبدو على ملامحها آثار النعمة .

= كيف اصبحت يا طامة ؟

ـــ لله الحمد يا ولد عمي .

= ابتسمي للحياة ، ولا تقلقي ، وما هذه الا سحابة صيف ، وان النصر حليفنا ، وسيعود آباؤنا واخواننا ، وقد زانت هاماتهم اكاليل الغار ، وتيجان الفخار .

ـــ رأيت هذه الليلة فيما يرى النائم ان والدي ـ الله يذكره بخير ـ قد تحلى بجلباب ابيض ، وصار يحتضنني ويقبلني وكأنه يودعني الوداع الاخير ، فلم يسعني الا ان اذرف عليه دمعا ساخنا ، بينما كان هو باسم الثغر منشرح الصدر ، وما ادري لهذا الحلم تفسيرا ، جعله الله خيرا وسلاما .

= لن يكون الا خيرا وسلاما ان شاء الله ... تعالى الى دارنا مع الخادم لتعاشري اختي رحمة فلا تساورك الافكار السوداء .

ـــ سأفعل باذن الله ، اختك رفيقة صباي ، وهي اختي كذلك وارتاح لعاشرتها .

= ستكون في انتظارك ... اتركك في امان الله يا امراة عمي ، والى اللقاء في دارنا يا طامة بعد قليل .

وخرج محمد ، وخلت المرأة بابنتها ، ولم تستطع ان تخفي عنها مشاعرها ومتمنياتها ان تصير زوجة لابن عمها ، انه شاب جميل ، ذكي ، وله مستقبل ، ولعل اباها لا يركب رأسه فيزوجها ممن قد يخطبها من الشيوخ ذوي الثراء ، واصحاب الكلمة والجاه .

ان المثال الذي اتاه القائد بقبوله تزويج ابنته الجميلة والجوهرة المكنونة رحمة من شيخ طاعن في السن ، قد يحتذيه زوجي هو الآخر ، ولكني ضد هذه الفكرة ، فالمال والجاه ، والكلمة لا تساوي شيئا امام سعادة ابنتي وهنائتها ، وعسى ان يكون هذا الشاب من نصيبها .

علت وجه طامة حمرة الخجل ، ولم تستطع ان تغالب حياءها فتطيل الجلوس ، لذلك اسبلت اهداب عينيها الطويلة ، فالقت ظلا خفيفا على خديها الجميلين ، ثم قامت وخرجت مهرولة ، وذهبت لغرفتها الخاصة تجهز نفسها للذهاب الى دار عمها .

استقبلتها رحمة هاشة باشة مرحبة ، وعانقتها عناقا حارا ، وكانها لم ترها منذ بعيد ، بل كانها رأت في زيارتها الآن معنى كبيرا وفضلا جزيلا يستحق الشكر ، قالت طامة :

— لا شكر على واجب ، ان اخاك زارنا منذ قليل ، فكيف لا اقتدي به وازورك ؟

= هل افهم من هذا ان زيارة اخي هي الداعي الوحيد لزيارتنا ؟

— لم اقل ذلك ، وانت يا رحمة تعلمين مدى ما احبك واعزك .

= ذلك ما عرفته ولمسته طوال معاشرتي لك وآمل ان يتم الله علينا نعمته ، ويزيد في علاقتنا الاخوية ، التي لا تنفصم عراها ، بان يوفق الله بينكما (وتعلقت الكلمة الاخيرة ببطء وضغط ملحوظ على الحروف) .

— ما تعنين ؟

= اعني بينك وبين فتى احلامك ، وفارس غرامك ، ام اراك تسلكين معي اسلوب « تجاهل العارف » ؟ .

— فهمت ما تعنين ، آه لا اخفي عليك يا ابنة عمي ما اعانيه من انفعال وما احسه من رغبة في زيادة ربط اواصرنا بوشيجة من التصاهر زيادة على آصرة الدم التي جمعت بيننا منذ الازل .

= سأعمل جهدي ليتم عقد قران اخي بك ، وعسى الا تقعي في مثل ما وقعت فيه انا من تزويجي برجل في مثل سن جدي ، ان هذا امر لا نكاد نطيقه الواحدة منا ، اليس لنا معشر الفتيات رأي في الموضوع الوحيد الذي يهمنا ، ويقرر مصيرنا ؟

— لقد رأيت القائد عمار زازور في حفلة « الاملاك » فوجدته كبيرا وقد اشتعل رأسه شيبا .

= سميها محنة « الاملاك » لا حفلة .. لقد ملكته والدي بنته الوحيدة بغية كسب ود هذا القائد وقبيلته ، ونظرا لما يتمتع به من ثروة وجاه ، ولم يستشرني والدي ، فكان الامر لا يعنيني ، او كانه خاف ـ ان هو فعل ـ ان يعيب عليه الناس ذلك ، ويعدوه منه ضعفا في الادراك ولينا في العزيمة لا داعي له ...

وتنهدت رحمة ، وكانها وجدت في خلوتها بابنة عمها ، فرصة سانحة لتبث جواها ، ولتجأر بالشكوى التي طالما اعتملت في صدرها .

وهنا اكتملت المشط ، كانت طامة حين قدمت ، وجدتها تمشط شعرها الطويل الفاحم السواد ، فلم تشأ ان تكف عن عملها ، لان الكلفة مرفوعة بينهما ... وطلبت رحمة من طامة ان تظفر لها شعرها ليستمر الحديث بين الاثنين ، دون ان تستمع اليه اية من الخادمات او « الدادة » .

وامتثلت طامة للرغبة ، واخذت بين يديها شعرا ناعما كالحرير ، وشرعت تظفره ظفيرتين ربطت نهايتهما بشريطين حريريين ناصعي البياض ، يتلاءم بياضهما مع الرداء المنزلي الذي ارتدته رحمة في هذا الصباح .

ـ يتبع ـ

تطوان : عبد الله العمراني

رباط الفتح

للأستاذ عبد الله الجراري

واذا كان العمران سبق في الضفة اليمنى السلوية وكانت الضفة اليسرى فضاء واسعا ليس فيه الا القصبة كانت اوفق محل لتدبير الحركة السياسية والعسكرية الى الاندلس لقربها اولا من بغاز جبل طارق والثغور البحرية التي يعبر منها الغزاة الى الجزيرة وكان عددهم يبلغ ازيد من المائة الف 100 000 ، ولقتال البرغواطيين ثانيا ، ولتوسطها ثالثا بين مخلاتي الغرب والحوز لهذه الغاية ــ اختط عبد المومن : « المهدية » ــ وهي القصبة التي كان ينزلها اذا اراد ابرام امر وتجهيز جيش .

وكانت همة الموحدين تطمح الى اعادة عظمة عصر بني امية ــ من علوم وفنون وصنائع ــ خاصة منهم المنصور فقد اشتهر بحب العلم وجمع الكتب بل كان يتناقش مع ابن رشد الفيلسوف الشهير ، وظهر لعهده جمهرة من العلماء والشعراء والفلاسفة ــ وكان يختار لاقامة تلك الآثار وتشييدها مدينتي العدوتين ومراكش بهذه العدوة ، واشبيلية بتلك العدوة .

وشيد جامع حسان بربوة تشرف على مصب النهر المزين بمنارة المسجد الاعظم المضروب به المثل في الشموخ وروائع الصنعة والهندسة ، وقد نقش حول احلى نوافذه من جهة البحر ــ صورة سيفين عظيمين مصلتين ، رؤوسهما الى السماء ــ وفي تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين ــ ارعاب للعدو المهاجم من البحر ، ورمز الى التهيؤ والاستعداد .

مدينة رباط الفتح ــ العاصمة اليوم ــ ابتدأ تأسيسها يوسف بن عبد المومن الموحدي ، وشيدها ابنه يعقوب المنصور ــ واستطيب لقب ــ رباط الفتح ــ تذكارا للفتح الاندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه ولانه بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين ــ لهذا فهو رباط الفتوحات والفاتحين ، ومعترك الجهاد والمجاهدين ، ومعبر العساكر والجنود ، ومركز تجهيز الجيوش ونشر البنود .

قال ابن الاثير : بنى يعقوب المنصور مدينة محاذية لسلا من احسن البلاد وانزهها ، ويقول ليون الافريقي في تاريخه : ان المنصور لما اختط رباط الفتح سنة 593 هـ ــ جعل عليها من امناء المصامدة من ينظر في امر نفقاتها وما يصلحها من الفرق الاحتياطية والقوات العسكرية ، ولم يزل العمل فيها مدة 15 سنة، وكان يقطن بها نحو الستة اشهر في السنة ، وقد وضع تخطيطها على تصميم الاسكندرية المدينة المصرية الجميلة الواقعة على شاطئ المتوسط ، ومن رأى هذا الشاطئ يؤمن بالتشابه والتقارب الواقع بين الشاطئين طولا وجمالا ، واتساعا ، وحسن تقسيم .

وللشاعر الفحل قائلا :

رباط الفتح مأوى الفاتحينا
بكعبته يطوف الناس حينا
هو البلد الامين ومن بناه
عظيم من ملوك المسلمينا
الى المنصور نسبته واعظم
به نسبا يزكي الناسبينا

ويتصل بهذه المدينة ــ بقايا آثار مدينة شالة العتيقة حيث هناك اضرحة اشهر ملوك بني مرين وبعض آثارهم كالمدرسة والمسجد .

ويقال ان البناء الاول الموحدي كان يتصل بابنية شالة ، اذ كانت الدور والاسواق والمرافق وما اليها في طول مارة على ما يعرف اليوم بشارع القناصل ووقامة خارقة المرتفع المتصل بالمنزه والمشرف على شالة الاثرية ــ المنزه الذي كانت على شرفاته قصور الموحدين ، ومن هذا المعنى اتته تسمية المنزه .

واذ ندم المؤسس المنصور على تأسيس المدينة ــ كندمه على غيرها ــ حيث شاهدها فارغة حين التأسيس ، فها قد

تحققت نيته الاولى ـ واصبحت جوانبها تكتظ بالسكان ، وتزدحم عشرات الاحياء الجديدة بحمل الواردين عليها من اطراف المغرب وغيره ، كتوأمتها سلا ـ ذات الاثر الموحدي المتجلي في مسجدها الاعظم والمدرسة التي لم يبق عليها الدهر . والاثر المريني الخالد بقنيته البارزة في المدرسة المرينية قرب المسجد .

فبعد وفاته انتقل اليها غالب اهل شالة (الاثرية) وعمروا بعضها ، ولم تتسع عمارتها بالمعنى الكامل الا عند استيطان اهل الاندلس بها لدى خروجهم من الجزيرة مشردين بنفي العدو ـ سنة 1017 هـ ـ 1602 م فتفرقوا في بلاد المغرب الادنى ، والاوسط ، والاقصى ـ وخرج منهم بسلا طوائف عبروا الرباط فحصنوه وبنوا فيه القصور والدور والحمامات . وذلك ايام « فيليبس الثالث » وعددهم 6000 نزلوا بقياطنهم بحسان وبنوا سورا من سيدي مخلوف المطل على ابي رقرق الى باب الحد ، ثم بنوا دورهم بنواحي العلو من « لوبيرة » الى البحيرة قربا من البحر واستنشاقا لهوائه . ثم جدد المولى سليمان العلوي باب السور المذكور لما بلغه ـ ان نابليون جاء الى اسبانيا ـ (*) فاصدر قدس الله روحه مكاتبه الى ولاة المغرب وعماله يحثهم على تجديد ابواب البلاد ودروبها ـ كما جاء بتاريخ ابن عبد السلام الضعيف ـ وهؤلاء جماعة من اهل الدار البيضاء تقدر بـ 600 عائلة اخرجهم البرتغال من ديارهم سنة 915 هـ 1510 م فنزلوا بالبحيرة من الرباط اذ انقذهم الله من شر العدو البرتغالي الذي هدم البيضاء وقتئذ وما ابقى حجرا على حجر .

ومن نوازل العلامة ـ عبد العزيز الزياتي الكبرى في ترجمة ـ نوازل الجهاد ـ من سؤال وجهه اندلس سلا الجديدة ـ يعني رباط الفتح ـ للعلامة ابي مهدي السكتاني في شأن نفارهم من طاعة محمد العياشي . منه في وصف الرباط حين خروجهم من الاندلس اليه وكان هذا الثغر قبل دخول عدد الجماعة له وسكناها فيه ـ في غاية الاهمال ـ فبالغوا في تشييده وتحصينه وبناء مساجده واسواقه حتى صار حاضرة من الحواضر ، واصبح الناس يؤمونه من كل ناحية ، وكانوا في نحر الكفرة في البر في جزائرهم ، وكانوا يغزونهم في عقر ديارهم ، يغيرون عليهم في كل وقت ، ويسبون دراريهم ويأسرونهم حتى كان النصارى لهذا السبب يباعون بالبخس فاستعبدهم الغني والفقير ، واذل لهم العزيز والحقير ، وهم مع ذلك قائمون بحدود الشريعة تحت طاعة ملك البلاد .

نعم بلغ هذا الثغر الطيب ـ رباط الفتح ـ اوج العز والسؤدد عند ما جلس على كرسيه ملوك دولتنا العلوية الشريفة ـ فأتموا المرافق ، واكملوا ما كانت المدينة الرباطية في امس الحاجة اليه دينا واقتصادا واجتماعا ـ فهذا ابو النصر المولى اسماعيل جر اليها الماء من عين « عتيق » وقد تحدث عن ذلك الفقيه القاضي الحاج محمد مرين في قطعة شعرية توجد بخزانة الجراري ، كما ادخل الماء اليه السلطان المقدس المولى محمد بن عبد الله العلوي ـ لذا وجدت في المجرى ـ انبوبتان احداهما فوق الاخرى عند حفر الممر خارج باب العلو حسبما هو مثبت اسفل القطعة المشار اليها .

والمولى محمد بن عبد الله هو الذي اتخذ ابواب القصبة هذه ـ بيت ماله وخزينة اموال دولته التي كانت تبلغ احيانا = 30 مليون ريال . وهو الذي اسس عدة مساجد بهذه العاصمة كمسجد السنة العظيم الذي تراه اليوم يوسع ويحسن ، ومسجد اهل فاس ، ومسجد القصر ، ومسجد « مولينا » الواقع امام مسرح رويال حيث لم تبق منه عدا صومعته وبعض جدرانه بالحديقة العمومية . كما ان الكنيسة الكاتوليكية الكائنة قرب قصر العمالة ـ على انقاض احد المساجد اسست ويقال انه ـ مسجد سعيد بن صالح .

وهذا المولى سليمان الملك العالم رحمة الله عليه عمد الى اليهود الذين كانوا يسكنون داخل المدينة ـ بالسوق التحتي ـ شارع القناصل ـ ونقلهم الى حيث هم ـ بالملاح ـ كما فعل ذلك بيهود التوأمة سلا . وكانت زاوية مولاي العربي الدرقاوي الواقعة بالحي الذي كانوا يسكنونه ـ بالجرارين ـ بيعة لهم ـ مسجدا والى عهد قريب كان بسقفها فوهة ينظر اليهود منها « اضناي » « الله » في زعمهم . وكان هذا سنة 1222 ـ 1840 م كما انه جدد عدة مساجد كمسجد المولى سليمان الذي كان اسمه قبل ـ مسجد السوق ـ وبعد التجديد اعطى اسم المجدد « المولى سليمان » قدس الله روحه .

اما الدار الواقعة بالمدرسة المسماة ـ مدرسة الاوداية ـ وكانت حقا مدرسة بحرية ملاحية يتكون منها البحارة المغاربة .

فمن تأسيس المولى اسماعيل : والطوى الذي يشاهد بها ليس بمرقب ولا مرصد وانما هو مرتفع يشرف منه الملك على الجهات بدل ان يشاهد من خارج ـ والسور المحاط بالدار هو من بناء الاسارى الذين كان منهم ـ مويط الفرنسي صاحب التاريخ في سيرتي المولى الرشيد والمولى اسماعيل ، ومويط هذا بقي اسيرا بسجن القصبة عشرة اعوام حتى اعانه على افتكاك نفسه احد رهبان فرنسا على مال .

وهكذا استمرت اصلاحات الدولة للمساجد والمصالح والمرافق والعناية بها اكثر من المتوقع ، فهذا المولى يوسف طيب الله ثراه يقوم باصلاح المسجد الاعظم الواقع قرب باب شالة . والزيادة في صومعته نحو السبعة امتار . كما اسس الليسي المنسوب اليه والمستشفى .

اما ابنه الصالح محمد الخامس قدس الله روحه فحدث عن البحر ولا حرج ، فما تره تفتقر الى مجلدات واوقات لا تفي بها هذه اللحظة الخاطفة .

(*) ومن اسبانيا كان يطمح ويطمع في الاستيلاء على المغرب فبعث اليه احد عيونه واقام به نحو الثلاثة اشهر حضر فيها معلومات كتبت باللغة الفرنسية تمهيدا لخطته .

وعلى هذا السنن نرى نجله الحسن الثاني ايده الله يسير بخطى سريعة في سائر الميادين واصلاحها ماديا وروحيا ، ولو لم يكن من مآثره الخالدة الا تأسيس دار الحديث لكان وحده كافيا ، اما واعماله تترى وتتابع يوما بما لا يكاد يحصره العد ابقاه الله لتحقيق اماني وآمال شعبه الوفي .

ومما عرضناه يتضح ان الرباط منذ نشأ العرش المغربي وهو مركز الدول القومية والامراء الفاتحين ترابط فيه وتصدر منه اوامرها السياسية والعسكرية كقاعدة اساسية بالقصبة في عهد المرابطين ثم في عهد الموحدين ، وكذلك في عهد بني مرين وفي عهد السعديين وفي عهد دولتنا العلوية الشريفة اذ تركت كل دولة اثرا لها سواء بالقصبة او بالمدينة كالقصور الملكية والحصون الحربية والمراكز الادارية التي هي من لوازم الدولة المستقرة في عاصمة من العواصم .

وهذا ما يؤكد ان العدوتين التوأمتين ـ الرباط وسلا ـ كانتا مهيأتين لهذه الغاية ، وليس ذلك جديدا في تاريخهما .

ثم مما ادخرته الاقدار لرباط الفتح انه ضم رفات ثلاثة ملوك من ملوك الدولة العلوية الماجدة ملوك يعتبرون واسطة عقد هذه الاسرة الكريمة سياسيا واداريا وعلميا .

محمد بن عبد الله ، والحسن الاول ومحمد الخامس ـ قدس الله ارواحهم ـ .

وهناك شخصيتين عاشت احداهما في العصر الموحدي ، والثانية معاصرة :

1) ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي القاضي العالم المحدث الشاعر الناثر يعد ثاني رجل تولى القضاء بالرباط في القرن السابع للرشيد الموحدي ولاخيه ابي الحسن ترجمه ابن الخطيب في الاحاطة وصاحب الجذوة ، وصرحا معا بقضائه على الرباط ، عرف بقوة الادراك والتضلع في العلوم حديثا وتاريخا واخبارا ـ مع التبريز في الاصلين ، غزير المعاني والمحاسن ، شفاف اللفظ حر المعنى .

من شعره مفتتحا به رسالة :

يا غائبا سلبتني الانس غيبته
فكيف صبري وقد كابدت بينهما
دعواي انك في قلبي تعارضها
شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

فكرة وجيهة ومشكلة في ذات اللحظة توقع في الحيرة لا محالة ، حبيب في القلب وبه امتزج ، وانت تتوق اليه وتشوق .

له تآليف وكتابات تنبيء عن مقدرته وكفاءته الثقافية ، وتعطينا في ذات الوقت صورة حية عن رجالات المغرب وعلماء عواصمه : كالرباط وسلا ، مما لا ينفك يهدينا بأجلى وضوح الى الامتداد المتسلسل الحلقات منذ القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي ـ الى عصرنا الماثل ـ القرن الرابع عشر ـ (القرن العشرين) حيث هناك افذاذ وافذاذ لا يقلون معرفة عن تلك البذور الاولى .

2) المحدث الواعية الحافظ المحاضر الشريف محمد المدني بن الحسني الحسني الرباطي الذي قد لا نحتاج لتقديمه بأكثر من هذه التحلية ما دام الكل يعرفه شباب وكهول وشيوخ .

ومن ميميته التاريخية ، والموجهة للشباب في نهضته الاولى قوله .

ويعقوب ذو رباط الفتح لما
تمادى المعتدون في الانتقام
فكان جوابه ما قد رأوه
من البطش القوي المستدام
وقد سالت بطاح الارض طرا
بنبال وسياف ورام
وصب على الاعادي في البوادي
سياطا من عذاب كالضرام

وكم لهاتين الشخصيتين البارزتين ماضيا وحاضرا في عالم المعرفة من امثال وامثال .

الرباط : عبد الله الجراري

معالم التشيّع
في أدب الدولة السعديّة

للاستاذ : محمد بن تاويت

حينما تعرضنا في تفسير « السبعية » في شعر ابي حفص السلمي ، وقلنا بخطورتها ، لما قامت عليه من فكرة هذه « السبعية » عند الشيعة ، لم نرد بذلك ان ابا حفص كان يعتقد بها في تفاصيلها ، بل لعله لم يكن قد اطلع على تلك التفاصيل قط ، والا لكان ربا بنفسه عما ورد في نيابتها بالذات ، وانما كانت فكرة السبعية ، ممثلة في ذهن القوم على الجملة ، شأنها في ذلك شأن باقي المباديء التي نزحت الى المغرب ، فاستفاد منها الى حد ، او اعتقدها وعمل بها الى حد كذلك . فالتطرف في الافكار والاستماتة في جوهريتها والاعتناق لها كمذهب مجرد يجب ان يدافع عنه ، في حد ذاته ، هذا ما لم يعرفه المغرب ، كما عرفه غيره في المشرق على الخصوص .

نقول بهذا الحكم ولا نخص به عصرا من العصور ، فمن قبل اعتنق المغرب المسيحية قبل ان يعتنقها العالم الغربي ، ولكنه اعتنقها في ظروف املت عليه هذا الاعتناق وسرعان ما ودع هذه المسيحية بدون اسف على فراقها — كما قيل — لما رآها غير محققة لآماله ولا مخلصة لرقبته من نير الظلم والعدوان وربقة العبودية والطغيان ...

فلو كان اعتناقه هذا عميقا كل العمق ومتجردا كل التجرد ، غير ملائم فيه بينه وبين حيثياته الخاصة ، لوجدنا المغرب لا يختلف عن الشرق في شيء ، لايختلف عن مصر أو الشام أو العراق مثلا ، فالاسلام لم يطارد دينا من الاديان ، بل ابقى عليها في الشرق ، كما ابقى على المسيحية بالاندلس ، او الموسوية بالمغرب نفسه ، في قومها من بني اسرائيل ..

وعلى كل حال فان التشيع طرق المغرب في عهد مبكر ، ووجد له صدى به ، واعتنقه القوم ، لما كان يحيط بهم من ظروف اجتماعية ثم تدخلت السياسة واستغلت هاته الظروف وعملت عملها ، الذي سجله التاريخ ..

اما الادب فانه لم يسجل لنا الا صفحات ، كانت اولاها تقرا في القرن الخامس ، وبتلك الهاشميات التي خلدها لنا ديوان ابن دراج وقد نظمها هذا في امراء بني حمود الادارسة ، اصحاب سبتة وطنجة وبلاد الاندلس ، وخصوصا منهم علي بن حمود وأخاه القاسم وابنه يحيى الملقب بالمعتلي

فهذه هي المرحلة الادبية الاولى ، التي تنفس فيها التشيع المعتدل ، تنفسا قصيرا ، ولكنها سرعان ما خفت صوته بقيام دولة المرابطين

وبسقوط هذه الدولة العتيدة وقيام الدولة الموحدية ، وجدنا التشيع يطل علينا ، في قوة وتطرف الى حد ما واكثر مما كان عليه ايام بني حمود ، وفي مباديء معقدة استغلتها الدولة استغلالا عظيما .

وبسقوط هذه الدولة وقيام دولة بني مرين ، لم يعد للتشيع ذكر ولا مناسبة يستغلها ، لان ذلك لم يكن في صالح الدولة نفسها

فلما جاءت دولة الاشراف السعديين ، كانت حريصة كل الحرص أولا على بناء دعائمها على هذا الشرف ، فانساقت بذلك الى فكرة المهدي ، وهي فكرة عمل بها المهدي ابن تومرت الذي ادعى انه من الأرومة النبوية .

ووقف الامر عند هذا الحد ، أو لم يسجل لنا الادب شيئا اكثر من هذا ، فلما كانت نوبة المنصور ، تعقد الامر ، وتدخلت في تعقده عوامل سياسية عتيقة ، مواجهة للخطر الطوراني الذي كان يهدد الدولة في كل كل حين ، فكان لابد من درء هذا الخطر بكل الوسائل التي كان منها هذا التشيع الذي ظهر متحفظا في شعر الدولة ، وفي بعض نثرها ، كما ظهر في تشجيعها للتاليف الذي يكتسي صبغة التشيع ..

والواقع ان الاتراك ، كانوا متضايقين من الصفويين الشيعة في الشرق ، والسعديين العلويين في الغرب ، وكان هؤلاء بدورهم يمدون يدهم نحو الشرق ، فيتصلون في مصر بآل البكري ويبثون تجارهم في الشام وحلب على الخصوص للدعاية لهم . اما الصفويون فقد وقعت في يدي لهم وثيقتان سنة 1949 يحاولون بهما ربط علاقتهم بالمغرب . ولعل

تشاط « انطوني شرلي » بعيد وفاة المنصور ، في هذا ، كانت له سوابق فيما مضى ...

نعـم . وجدنا احمد المنصور ، العالم المجدد ، يثيب على احياء التشيع بالتاليف ، ويجيز سعيد المافوسي بالآلاف من اوق الذهب الابريز ، ويجري عليه الجرايات السنية ، لانه شرح كتاب « درر السمط في مناقب السبط » لابن الأبار ، الذي نعي عليه فيه انـه « كتاب تشتم منه رائحة التشيع » كما قال ابن الاحمر وغيره ...

اما النصوص الادبية فهي طافحة بهذه الكلمات المعروفة عند الشيعة ، من مثل السبط والوارث والوصي وابن البتول (1) وما الى هذه الكلمات التي وجدناها تروج في اشعار رجال الدولة من كتاب وقواد وغيرهم ، كما وردت فيها وفي غيرها عبارة تومىء الى مباديء الشيعة في بعض الاحيان ، وقد تحتج لتلك المباديء التي تتصل بالخلافة على الخصوص

فمن ذلك شعر وزير الدولة الكاتب ابي فارس عبد العزيز الفشتالي الذي يقول في احدى مولدياته :

هـذا الـذي يجبي البلاد بعدلـه
ويعيدهـا نشـرا وكـن رمـامـا
هـذا الـذي وعـد الالـه بانـه
يطـوي البـلاد ويفتـح الاهـرامـا

ويقـول في احداى مدائحـه للمنصـور :

يـروى عـن المنصـور فيـه محمـد
مـا اسندتـه الى الوصـي مناسـب

ويقول في مدحه لولي عهده محمد الشيخ :

فانـي بكـم آل الوصـي لفي حمـى
يعـز على الشعـرى تسنمـه رقيـا

ويقـول ايضـا :

يحكـي عـن المنصـور في عزماتـه
وعـن الوصـي ابيـه في « صفيـن »

ومما كتبه هذا الوزير على قبر المهدي قولـه :

... « وملأ الارض عدلا وطهرها من ادناس الجور » وهذه لاشك ايماءة الى فكرة المهـدي عند الشيعة

ومن هذا ما ورد في شعر شيخ الجماعة عبد الواحد بن احمد الشريف ، من قصيدة له مولدية :

ياتـاج رسل الله يا قطب الهـدى
كـادت تـذوب لبينـك الاعضـاء
لكـن دنـو سبطك المنصـور قـد
زال العنـاء بـه وزال الـداء
كـل الملـوك سواه يخشى الوغـى
والحـرب وهـو تخافـه الهيجـاء
فلـو انـه في « كربـلاء » شاهـد
مـا عـم فيهـا المسلميـن بـلاء

ومنه ما ورد في شعر الكاتب ابي عبد الله بن علي الهوزالي من احدى مدائحه للمنصـور :

الى الملـك الشهـم الذي لقحت بـه
لقاح الحـروب بكرهـا وعوانهـا
الى ابن البتـول المجتبى من نجارهـا
وفـرع العلا المعتـام من خيراتهـا

ومنه ما ورد في شعـر الكاتب الحسن المسفيوي من احدى مدائحـه للمنصـور :

يقـر بك المهـدي عينـا وقبلـه الـ
ـوصـي بما اعقبت من طيب الذكـر
بمن لو رمـى « صفيـن » يوم جـلاده
لحلـت بجيش الشام فاقـرة الظهـر

ويقول في مرثية لبعض اولاد المنصور :

تنـاول شلـوه رضـوان كيمـا
يـؤديـه الى مهـدي البتـول

ويذكر له هذا البيت ، الوارد في قصيدة يمدح بهـا المنصـور :

لا بـد مـن انجـاز ما في الغيب مـن
ابـراز مـوعـود بـه ومـدخـر

ينسب له هذه القصيدة الفشتالي في مناهله ، وينسبها المقري للقائـد ابي الحسن الشياظمـي في روضته . وابو الحسن هذا قد افصح تمام الافصاح عن الفكرة الشيعية في الامامة او الخلافـة ، وذلك اذ يقول من قصيدة له ميلادية :

ان الخلافـة فـي ذؤابـة هاشـم
لا يعـدهـا للغيـر قـول وفـاق
لهـم الأحـق ومن عداهـم معتـد
فلهـم وراثتهـا بالاستحقـاق
اصـل رسـا في المكرمات ونسبـة
علـويـة في منتهـى الاعـراق

وهكـذا فان اصداء التشيـع كانت تتردد في جنبات الدولة برجالها ، اما من عداهم من ادباء وغيرهم فلـم نسمع لهم في ذلك ركـزا ...

محمد بن تاويت

---

(1) لاشك ان وصف فاطمة بالبتول مما يصلها بمريم ابنة عمران ، وقد قال لي استاذي الدكتور ابراهيم امين ، انه لما زار ايران وتردد على مساجدها ، كانت تواجهه لوحات فنية مؤثـرة تمثـل مصرع الحسين ، بمثل ما تمثـل هذه اللوحـات في الكنائس تصليب المسيح ، كما يزعمون ...

أبو حامد المكي البيطاوري وأثره في ميداني العلم والأدب:

للأستاذ: مصطفى الغرفي

ان من الرجالات الافذاذ ذوي المواهب النادرة والذكاء الوقاد، الذي احتل الصدارة العلمية وتسنم المكانة الادبية وتربع كرسي مشيخة جماعة الرباط بحق بعد وفاة استاذه وعمدته وسنده العلامة ابي اسحاق ابراهيم التادلي، والذي لا يمكن لتاريخنا العلمي والادبي المعاصر ان يتجاهله لانتاجه الجم الفوائد، المتعدد الطرائف، المختلف الالوان، ولا ان يتناسى دوره الكبير الهام الذي قام به في سبيل بث العلم ونشره على اختلاف فنونه بين صفوف طلبة مدينة الرباط اوائل القرن الحالي — الحجة المشارك الاديب الكبير النابغة ابا حامد المكي البطاوري، فلقد استطاع لقوة عارضته، وسر شخصيته، المعززتين باطلاعه الوسيع ان يحدث تغييرا كبيرا ملموسا في سير التدريس بهذه المدينة لاسلوبه الساحر الجذاب، المتصف بالسلامة والوضوح، الممزوج بسلامة الذوق وخفة الروح، امكنه به ان يكسب لمجلسه نخبة الطلبة كي يكون منها طبقة ممتازة من العلماء الكبار، والادباء النقاد، والشعراء الفحول، نبغت في جميع العلوم المتداولة في عصره من منقول ومعقول وفروع واصول حتى صارت تضاهي، لتمكنها الوثيق وتضلعها المتين، خريجي جامعتي القرويين واليوسفية المبرزين، وتفوقت في سائر الميادين العلمية والتاريخية والادبية، وارتقت في افق معالي العرفان بعقول نيرة ناضجة تغترف من ينابيعه باقتدار وكفاءة لتنتج لنا تراثا قيما في شتى الفنون ومؤلفات ذات اهمية تنم عن سمو مستوى اصحابها ودواوين شعرية تزخر بكثير من الشعر الجيد ذي الطابع القومي الاسلامي تشهد بما لمترجمنا العظيم من اياد بيضاء خالدة واثر عميق لا يستطيع ان يتنكر له الخصم فما بالك بالمنصف في خلق هذه النخبة التي تعد — دون ريب — احدى الطلائع الاولى لنهضتنا العلمية والادبية بهذا البلد، امثال المدني ابن الحسني، ومحمد بن عبد السلام السائح، ومحمد بن علي دينية، والتهامي الغربي، واحمد بن جلون، ومحمد الرندي واحمد الزبدي، ومحمد ملين، والجيلاني عندال، والصديق العوفير، والطاهر الرجراجي، ومحمد بوجندار، واحمد الزعيمي، والفاطمي الغربي، ومحمد الناصري، ومحمد الجزولي وابي بكر بناني، وغيرهم كثير ممن لم تحضرني الان اسماؤهم والذي كان لبعضهم — كما يسجل التاريخ — جولات مشكورة محمودة في صد جماح الدعاة المشعوذين، والضرب على ايدي ادعياء الصوفية المغفلين ورفع راية الاصلاح للقضاء على التقاليد والخرافات الزائفة من المجتمع بشعرهم ونثرهم والمشاركة الايجابية في غرس بذور صالحة من انواع القول الممتاز بالوعي الوطني ازهرت واينعت فصائلها في حظائر الشباب، واثمرت فروعها بانتاج وفير في حقول عامة الشعب، كما انه بفضل جهود مترجمنا ومساهمة ثلة من معاصريه الاماثل تكونت بهذه المدينة في هذه الفترة وبعدها بيئة علمية محترمة تطفح بالنشاط والحيوية الكاملة وتزدهر مجالسها العامرة بافواج من الطلبة المتعطشين — صباح مساء — للارتواء من مناهلها العذبة المحية، تعززت وتقوت وتدعمت بها حركتنا العلمية والادبية — اذذاك — بالمدن الاخرى ذات المدارس الشهيرة والمعاهد الكبرى.

هذا واني اقدم لقارئي العزيز كلمات تصف استاذنا الكبير في حلقة دروسه نقلا عن احد تلامذته النجباء محمد بوجندار في كتابه «تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط» وهي قوله: «فلقد تفرد بدماثة الاخلاق ولين العريكة وطلاقة الوجه وخفض الجناح للمستفيد مع ما اوتيه من حسن الالقاء واتقان اسلوب التعليم وسعة الاملاء والحفظ وقوة الادراك والفهم الى ما حلى به من حلية البيان والايجاز البالغين حد الاعجاز ورشاقة العبارة الحائزة من النسيم لطافته ومن الشهد حلاوته ومن الماء سلاسته»

نعم، فوصف مترجمنا بسعة الاملاء والحفظ وحسن الالقاء ورشاقة العبارة كان لا يقتصر على مجالسه الخاصة بين طلبته فحسب، بل تجلى باكمل من هذا وامثل وابلغ في المحافل العامة التي كانت تضم كبار العلماء وشيوخ الامة — كما شهد الجميع في دروسه الحديثية باعتبار انها كانت — دائما — تتسم ببلاغة الالقاء وجودة التعبير وروعة البيان مع حسن الاختيار، تلك الدروس التي كان يلقيها في المجالس الحفيظية امام نخبة من علماء العدوتين وبعض علماء شنجيط الذين كانوا — حينذاك — بالرباط في ركاب المولى عبد الحفيظ لما كلف باعطائها سنة سنة (1330 هـ — 1912 م) مناوبة يوما بيوم مع قاضي سلا الفقيه ابي الحسن علي عواد فكان محل اعجاب ودهشة واحترام زائد من حاضريها لما ظهر عليه من كثرة الاستحضار وغزارة الاطلاع

وقوة الملكة وجمال سبك الكلمات ، وهو نفسه قد احس بهذا التقدير الذي كان يغمر المجلس وشعر بسحائب الارتياح تموج في جوه وتملأه بآيات الثناء والتبجيل حيث عبر عن ذلك في كتابه « الدروس الحديثة في المجالس الحفيظية بقولـه » حتى ظهـر للحاضرين ما لم اكن اعهده من نفسي واستحضرت كل ما اطلعته وحصلت فتوحات زائدة حالة التقرير ، وكأن ذلك كان يجري على لساني على سبيل البديهة حتى ان بعض شيوخي ممن كان يحضر المجلس بعد فراغي يقوم الي ويقبل ما بين عيني » !

ودرايته واتقانه لاسلوب التعليم كان ذلك معروفا ايضا في الاوساط الخاصة العالية ، فقد كلفه الخليفة المولى رشيد بن الملك عبد الرحمان لتعليم اولاده كما انتدبه لهذه الغاية الملك الهمام الحسن الاول في تربية بعض انجاله بقبيلـة امـزاب ، وكان في حياته التدريسية الخاصة والعامة شغوفا بالاطلاع دؤوبا على المراجعة والتحقيـق منكبـا على عيون الامهات والمراجـع والمصادر العليا يظهر اثر ذلك جليا للمستفيد في مجالسه المفعمة بغزير من المعلومات وكثيـر من الطرائـف والنكـات الحلوة والفكاهات المحببة الطافحة بها كتب القدماء شعرية ونثريـة التي ــ لا تخل بمقام هذه المجالس التي كان ــ دائما يسودها الوقار والهيبة ويحوط زواياها الهدوء التام فلا تسمع من احاديث القوم الا همسـا ولا ترى امامك الا اعناقهم مشرئبة لوجهة الاستاذ الكبير باعين محدقة وآذان مصغية لا تسع انظارهم للداخـل والخارج متربصين يتطلع لما يلقيه عليهم من درر الفوائد وغرر الشوارد ، وقد حكي لي عدد من تلاميذه انهم لما كانوا يدخلون لمجلسه يشعرون بحلة خاصة تكتسيه من الروعة والاحترام للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها من حاضريه ، ولقوة شخصيته وسر جاذبيته ــ علاوة على ما كان يتخلل هذه الدروس من نوادر الامثال والنظائر في الحديـث والفقه واللغـة والنحو والتاريخ والادب وغيرها من المواضيع التي كان يهتم بها الطلبة آنذاك ، وعزز هذه الحياة السليلة العريضة وقوى مكانتها وخلد ذكرها بالتأليف فترك ما يربو على ستين مؤلفا جلها تام ترمي محتوياتها لهذه الفنون ، كما خلف ركاما جيدا من صحف عديدة تشتمل على قصائد وازجال وموشحات وفوائد علمية ورسائل متنوعة يجب ان تجمع وتنسق وتدرس دراسة تحليلية متأنية لكي تتضـح شخصية مترجمنا في مظهرها المنير القوي باوضح واجلى ممـا ابنته ، وتبرز جوانبها الثقافية المختلفة باكمل واعلى مما اجزته في هذه العجالة ، ولا بأس من ايراد اسماء بعض مؤلفاته هنا كأمثلة لقارئي العزيـز عن انتاجـه القيـم وهي : « الازهار المهصورة من رياض المقصورة » « مقصورة المكودي » « منـح الاوطار من نفح العطار » « رائية حسن العطار » « لمحات المزية من نفحات الهمزية » « همزية البوصيري » « هامية الطرب في شرح لامية العرب » « شافية الدجم في شـرح لامية العجـم » « الاستسعاد بقصيدة بانت سعاد » « الحلل الجوهرة على الجوهرة » « جوهرة اللقانـي » « معـراج الراقي على الفية العراقـي في المصطلح » « منح المنية في شرح الكتبية » « شرح رسالة الوضع » « شرح الجمل للمجراد » « شرح صغرى السنوسـي » « شـرح البيقونية في مصطلح الحديث » « شرح حزب الفلاح للجزولي » « حكم الموطأ » « نظم في علم العروض وشرحه » ، الى غير ذلك من المؤلفات الدالة على مشاركته في جميع الفنون الرائجة في بيئته العلمية ، والمهتم بها في اوساط الطلبة والمعنى بهـا للتحصيل والتخريج في عصره .

ولقد تقلد مترجمنا الكبير عدة وظائف مخزنية وغيرها في مراحله الاولى من حياته الحافلة كان لها تأثير عميق ومدى بعيد في مجالاته ومسالكه وتطوره وتفتح ذهنه اكسبته حنكة ودربة ، اعظمها اثرا في نفسه واكثرها مفعولا خدمته ككاتب خاص لممثل الحكومة المغربية امام سفراء الدول الاجنبية بطنجة ونائب الملك المفوض بها السيد محمد بركاش ، فلقد قضى في هذا الوظيف نحو العشر سنين تبتدئ من سنة (1290 هـ ــ 1872م) تجول خلالها ببعض البلدان الاوربية كاسبانيا ، ذهب اليهـا رفقة النائب للمؤتمر الدولي المنعقد بمدريد سنة (1297 هـ ــ 1880 م) وزار ايضا فرنسا واقام بباريز ما يزيد على الثلاثة اشهر تعرف على معالمها ومآثرها العظيمة ومصانعها العلميـة كما سافر للبلاد الانجليزية ، وبطبيعة الحال اكتسب من هـذه الزيارات معارف جديدة لم تكن له معهودة ، واستفاد منهـا عادات غريبة لم تكن لديه مألوفة عن العالم المتمدن ، ولا شك انه اغتنم فرصا ثمينة من رحلتـه لزيادة معلوماتـه عن ساسـة هذه البلاد وملوكهـا ــ عن كثـب ــ الطامحيـن فـي تأسيس الامبراطوريات والطامعين اذ ذاك ــ بنهم وشره في التوسـع والاستعمار ، واطلع على اشتداد تآمرهـم على وطنـه وقـوة تنافسهم ــ وقتذاك ــ في احتلاله بدعوى المساعدة التمدنية للقضاء على اسباب التخلف وارجاع الامن لربوع البلاد والعمل على تقديم الشعب في طليعة الركب المدني كما زعموا !

اجل وفي هذه الفترة التي قضاها بمدينة طنجة في اوج شبابه ومبدا زهرة عمره الذي كان يطل فيها على كهولة ناضجة واعية ــ تعتبر ــ مرحلة فاضلة غنية مثمرة من مراحله الاولى من حياته حيث لم تدعه نفسه الطموحة ان تكون هذه الحياة رتيبة جامدة مقتصرة على تحبير المكاتب وتدبيـج الرسائـل بصورة مهنية بل انغمر في عالم الادب واندفع اليه بوازع ذاتي تقوده رغبة ملحة وشوق الى مطالعة عيون كتبه واجود دواوين شعره ، وحبب اليه بصفة خاصـة من دنيا البيان قافيـة ابن الونـان ، فاشتغل بها وعلق عليها وجعلها كمحور يدور حول اختيارات مطالعته الادبية فانتج لنا بهذا العمل كتابا ظريفا طريفا ممتعا يكتنز اقتطافات ولقطات مفيدة من الادب والتاريخ واللغة وغيرها اسماه « اقتطاف زهرات الافنان من دوحة قافية ابن الونان » وفي نسخة منه بخط السيد محمد بن محمد الجندوز مؤرخـة النسخ بسنة 1315 هـ عليها تصحيحات بقلم القنصل الفرنسـي

لريش المستعرب الشهير ومساعدة الفقيه الجيلالي صندال احد تلاميذ مترجمنا مذكور في آخرها « وكان تمام تقييده بعد العشاء الاخيرة من يوم الست عشر شهر رمضان المعظم عام تسعة وتسعين ومائتين والف في محروسة ثغر طنجة كلأه الله » فيظهر من هذا التاريخ ويلوح من مفهومه انه كان يقضي اوقات فراغه طول المدة التي قضاها بهذه المدينة وقبلها ايام بدايته في الطلب بالمقاصد الادبية وما تقتضيه من العلوم العربية كما نص على ذلك في مقدمة هذا الكتاب حيث قال « فلما من الله سبحانه علي واتم نعمته لدي بافضل النعم بعد الايمان به ، وهو النظر في العلم الذي لا مرية في جلالة منصبه ، اذ به يحصل التمييز بين افراد النوع الانساني ، ويدرك به من خير الدارين غاية الاماني ، كان من جملة ما تعاطيته نبذة من العلوم العربية وبعض المقاصد الادبية اذ هو من الوسائل التي لا غنى لطالب العلم عنها ولا محيد له عن التزود منها » حقا في هذه النصيحة التي تدعو لتكوين الطالب تكوينا ذاتيا فهي ــ كما يقول ــ مترجمنا العلم المرشد لا يمكن لاي طالب في فن من الفنون الغنى عن الادب والعزوف عن الاهتمامات بمواضعه او الزهد في تعاطيه ولا محيد له عنه اثناء دراسته لخروجه من النطاق المحلي لتقبل المعارف على اختلاف المشارب وتباين المصادر ، فهو الوسيلة الكبرى والمفتاح الوحيد والعين النقادة لمن اراد ان يقتحم كنوزها ويقوى على امتلاك الجيد منها ويستطيع ان يتغلب على نبذ التافه منها والزائف ، وبها تتفتح المدارك وتتفتق الاذهان وتجود الاقلام للتعبير عن مضامين البيان ، وبفضلها تنتشر اعوص مسائل العلوم وتهضمها ابطأ الفهوم وتروج بين عامة المثقفين واصناف المتعلمين .

ولما انقضت مهمته التي انيط به عملها لدى النائب المفوض بمدينة طنجة قفل لمدينة الرباط مقر نشأته واستقر بها مدة ثم بعدها اتخذ رحلة للمدن المغربية ذات المعاهد العلمية ــ استكمالا لما استفاده واعتبر به من رحلاته السابقة ــ زار مراكش وفاس ومكناس ، فاجتمع مع علمائها واستجاز بعض شيوخها ، وفي سنة (1304 ــ 1886 م) رغب ان يتم مقاصده في رحلته لبعض بلدان الشرق العربي وان يجعل مسعاه الاول اداء فريضة الحج فذهب اولا الى الاصقاع الحجازية فاتصل باهل العلم فيها واخذ عنهم واستجازهم ثم بعد ذلك رحل للبلاد المصرية فزار القاهرة والاسكندرية واجتمع برجالاتهما وتعرف بالمعالم والمآثر والمعاهد، وتطلع على نهضتها العلمية وحركتها التقدمية العمرانية ثم رجع لبلده مزودا بكل جيد من الطريف والتليد ومسلحا بما يغنيه ويزيد في معناه من كل معلوم مفيد ، ليتصدر التدريس ويتفرغ للتأليف ، وينقطع لبث العلم ونشره ، ولقد كانت رحلاته للشرق والغرب اثرا عميقا في نفسه وعاملا قويا في تفتح ذهنه واتساع مداركه وتحرره من الجمود الداعي للنفور من تقبل المعارف الحديثة ، فاعتاد مطالعة الصحف السياسية والمجلات العلمية وغيرها كما جعل ديدنه مطالعة الكتب العصرية ذات الجودة والمتانة على اختلاف فنونها واعطاها قيمتها واهميتها من بين كتبه الصفراء يعلق عليها ويلاحظ ، فلقد عثرت على نسخة كان يملكها ــ من كتاب « كنز العلوم واللغة » لفريد وجدي عليها تعاليق في هامشها بخط يده ، انقل لقارئي العزيز منها ثلاثة تعاليق تعطيه صورة مقربة لثقافة المترجم المتنوعة ، اولها تتعلق بتاريخ المغرب في العصر العلوي ، ففي مادة « الجزائر » ذكر وجدي ان سلطان المغرب اتحد مع الفرنسيين على محاربة الامير عبد القادر ومنعه عن الالتجاء الى الصحراء فاضطر الامير للتسليم وكان ذلك سنة (1848 م) فرد عليه بقوله لم يتحد معهم وانما ارتكب اخف الضررين هو عدم السماح للامير بالدخول للبلاد حفظا عليها لعدم وجود قوة كافية بها اذ ذاك ، وثانيها تدل على تشبثه في تاريخ رجالات صدر الاسلام ، ففي مادة (ابن عمر) ذكر ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما توفي سنة 63 ه « فرد عليه بقوله فيه نظر! لانه ثبت في الصحاح ان ابن عمر بايع عبد الملك بن مروان والتاريخ المذكور هو زمن يزيد بن معاوية ، وثالثها تتعلق بالتحليل الكيماوي وللعناصر المركبة منها المعادن ففي مادة « الكيمياء » ذكر وجدي « ان الذهب معدن بسيط غير مركب لم توجد آلة ولا واسطة للآن لتحليله حتى تعلم مركباته فكيف يمكن تركيبه بل كيف يمكن تركيب ما لا تعلم اجزاؤه المركبة له » فرد عليه بقوله فيه نظر لان الحكماء اطبقوا على ان الحيوان والنبات والمعدن كلها مركبة ويسمونها المركبات الثلاثة في مقابلة البسائط التي هي العناصر الاربعة النار والهواء والماء والتراب ، فمن هذه تتركب تلك فالذهب معدن مركب قطعا وقصارى الامر انه لم يدرك تحليله ؟ !

واخيرا لست اخفي على القارىء الكريم ما لا استطيع انكاره ، او يمكن للتاريخ ان يسمح للباحث باهماله ، ولا اراه يصح للفائدة المرغوبة من كتابة التراجم اغفاله ، وهو ان ترجمة استاذ جيل ماضينا القريب وشيخ جماعة علمائه بمدينة الرباط تنقصها عدة جوانب عدلت عن افادتك بها ــ الآن ــ اضطرارا واستيفاء لعناصر البحث ريثما اتمكن من معلومات زائدة كافية عنها تنير الي السبيل وتبعد ما يعوق الوصول الى المقصد منها بنزاهة وموضوعية كقضية ولايته شئون القضاء بالرباط سنوات تبتدىء من سنة (1323 ه ــ 1906 م) وتنتهي عام (1332 ه 1914 م) وابتلائه فيه ، ومنها تقديم صور دراسية وارتسامات استطلاعية عن جلساته الادبية والعلمية في بيته وغيره التي كانت تمتلىء بنخبة تلاميذه وصفوة من اهل العلم والفضل ، وما وقع فيها من مطارحات ومساجلات ومناظرات في النقد الحصيف والادب العالي شعرا او نثرا مما يزري ويفوق كثيرا من «الاسمار والاحاديث » المعروفة عن الاوساط العربية الادبية المعاصرة ،

وموعدي معك بحول الله وعونه في ترجمته المفصلة ضمن مجموعة « رواد النهضة في العالم العربي » .

الرباط : مصطفى الغربي

ابن البناء المراكشي

للأستاذ محمد بن ادريس العلمي

عرف العصر المريني فيما عرف من ازدهار ملموس في العلم والادب تفوقا كبيرا في ميدان العلوم والرياضيات وعلى عهد المرينيين استكمل المغرب شخصيته العلمية وتفوق ابناؤه حتى على اخوانهم العرب في الشرق في هذا المضمار ، واذا كان المرابطون قد برزوا في علوم التشريع والفقه والجدليات والفلسفة الاسلامية ، والموحدون قد احدثوا واكتشفوا واتوا بكل جديد وطريف في علوم الطب والحكمة وفلسفة الكون وعلوم الحياة بصفة عامة ، فان المرينيين قد اضافوا الى كل ذلك تفوقا آخر في ميدان علم الاحياء والفيزياء والكيمياء والرياضيات ، وبذلك تمكن المغرب من اظهار شخصية علمية لم يشاركه فيها غيره من ابناء الامم الاخرى سواء في الشرق او في الغرب ، وظهر على مسرح الحياة العلمية عباقرة خالدون امثال ابن خلدون واللجائي وابن البناء السعدي الذي هو موضوع هذا الحديث .

كان اليوم التاسع والعشرون من شهر دجنبر 1256 م يوما عظيما بمراكش الحمراء حيث ولد علم من اعلام المغرب المشار اليهم بالبنان وهو ابو العباس احمد بن محمد بن الازدي احدى القبائل القحطانية التي كانت تسكن اليمن وما جاورها من جنوب شبه الجزيرة العربية ، واليهم ينتسب الانصار الذين تبوأوا الدار والايمان وآووا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروه لما هاجر اليهم بالمدينة المنورة ، ولقب ابن البناء بهذا اللقب لان جده كان يمتهن هذه الحرفة ، وكم من علماء اجلة كانوا ابناء لمحترفين وفقراء وبذلك تصدق الحكمة النبوية « لولا ابناء الفقراء لضاع العلم » ولقب ابن البناء ايضا بالعددي نسبة الى العدد اي الحساب لتكريسه القسط الاكبر من حياته لخدمة هذا العلم وقيامه بتأليف كثير من الكتب فيه ، واستنباطه للقواعد والطرق التي لم يسبق اليها ، ولا زالت معتمدة اليوم في مدارس وكليات العالم في الشرق والغرب .

تعلم ابن البناء على الطريقة المغربية ، حيث ادخله والده الكتاب فحفظ القرآن وبعض المتون التي تسمى بالامهات في النحو والصرف والبلاغة والادب والفقه والاصول ، وبرع في فهمها بعد دراستها على عدة شيوخ اجلة وكرس جهوده على الاخص لخدمة علوم الحساب والهندسة والتوقيت والهيئة والجبر والطب ولكنه في الحقيقة لم يترك بابا من ابواب العلم الا وطرقه ، شانه في ذلك شان علماء عصره حيث كانت المشاركة عندهم في العلوم تبدا قبل مرحلة التخصص ولا يعتبرون كل من يقتصر على علوم قليلة .

وقد اكسبه اشتغاله بالرياضيات والهيئة والتوقيت شهرة عالية فائقة وحظوة عند رؤساء دولته واعلامها الكبار الامر الذي جعله مناط املهم ومحل تقديرهم واعجابهم فكانوا يستدعونه المرة تلو المرة الى فاس لالقاء دروس في الحساب والهندسة والجبر والتوقيت يحضرها بالاضافة الى علماء الامة رؤساؤها وكبارها تشجيعا للعلم والعلماء واعطاء المثال لشعبهم ليهتم هو كذلك بهاته الناحية المهمة من حضارته وحياته .

درس ابن البناء على عدة اساتذة مرموقين في مراكش وفاس اللتين كانتا حاضرتي العلم والمعرفة في ذلك العهد فاخذ بمراكش علوم العربية عن الاساتذة القاضي الشريف وابي اسحاق المنهاجي المعروف بالعطار والعروض والفرائض عن ابي بكر الفلوس الملقب بالفار ، والفقه عن ابي موسى الفرناني ، والحديث عن محمد بن عبد المالك ابن سعيد الاوسي الانصاري ، وبفاس اخذ ايضا عن القاضي ابي الحجاج يوسف التجيبي وابي يوسف يعقوب الجزولي وابي محمد الفشتالي ، كما درس الرياضيات على الاستاذين ابن حجلة وابن مخلوف السجلماسي ، والطب على الحكيم الشهير بالمريخ .

تخرج على يد ابن البناء علماء كثيرون وفلاسفة عديدون كانوا محل عناية تامة من الشعب وكبرائه ، وكانوا نبراسا استضاء بهم العصر المريني الثاني وازدهرت بهم حواضر المغرب وبواديه في جميع ميادين الحضارة وفنونها ومن اشهرهم الاستاذ الحيسوبي الشهير ابو زيد عبد الرحمن ابن ابي الربيع اللجائي والعلامة القلصادي الذي كان نادرة وقته وابتكر طريقة الابتداء في الجمع والطرح من اليمين بدل اليسار ، كما كان سائدا ، واستنبط ايضا علامة وضع الجذر التربيعي بعد ان احتار علماء الحساب في امرها زمنا طويلا ، ومنهم ايضا الاستاذ الابلي شيخ علامة المغرب ابن خلدون وابو البركات البلفيقي وابن النجار التلمساني وغيرهم ممن كانوا بدورا لوامع وبراهين سواطع في المغرب .

ترك ابن البناء عدة مؤلفات ترجم بعضها الى اللغات العالمية الحية ، مثل الافرنسية والايطالية والاسبانية ، وقد ابلغ الاستاذ رونو الذي كان يدرس بمعهد الدراسات المغربية العليا (كلية الآداب) في مقال نشر بمجلة هذا المعهد ، مؤلفاته الى اثنين وثمانين في التفسير والاصول والمنطق والفقه والفلك والعربية والحساب والرياضيات وغيرها من فنون المعقول والمنقول .

والنقد الادبي وعلوم الهيئة والحساب والهندسة والجبر وهاته هي التي كانت دليلا واضحا على عبقريته وسعة علمه وذكائه النادر المثال ولفتت اليه انظار المستشرقين وعلماء التاريخ باوربا فتهافتوا عليها شرحا وتعليقا وتبسيطا ونقلا الى كثير من اللغات الحية ، وقد نقل المستشرق الاستاذ «ماري» في مجلة ايطالية سنة 1864 م كتابه المعنون بتلخيص اعمال الحساب الذي تناول فيها بحث هذا العلم بكيفية مبسطة وبيان القواعد التي يجب ان يعتمد عليها الراغبون في تحصيله ، كما نقل الى الفرنسية طرفا منه بشرح القلصادي الدكتور «فوبكي» ونشره بالمجلة الاسيوية سنة 1863 م وان السيد « رينو » الاستاذ بمعهد الدراسات العليا بالمغرب قد ترجم رسالته في الانواء سنة 1938 م حينما كان استاذا بالمعهد المذكور .

لقد نوه بغزارة علم ابن البناء ولا سيما في المعقولات كثير من جهابذة العلم والمعرفة ممن كانت لهم صلة به او بكتبه وممن كانت تجمعهم دروسه الحافلة في مراكش وفاس وغيرها من المدن المغربية .

فقال عنه احد تلاميذه العلامة الجيسوبي عبد الرحمان اللجائـــي .

« حين كنت اقرأ عليه بمدرسة العطارين من مدينة فاس امنها الله تعالى كان شيخا وقورا قوي العقل مهذبا فاضلا ، حسن الهيئة معتدل القامة ابيض اللون ، يلبس الثياب الرقيقة وياكل المآكل الطيبة ، ولا يمر بموضع الا ويسلم على من لقيه ، ما رآه احد وتحدث معه الا انصرف عنه راضيا ، وكان محبوبا عند العلماء والصلحاء ، حريصا على افادة الناس بما عنده ، وكان قليل الكلام جدا ، لا يتكلم بهذر ولا بما يكون خارجا عن مسائل العلم ، وكان اذا حضر في مجلس وتكلم سكت لكلامه جميع من فيه ، وكان محققا في كلامه قليل الخطافيـــة » .

تدل هذه الاوصاف كلها على عقيدة سامية وتقوى بالغة وايمان قوي بالله وتمسك عظيم بالاسلام وعملا بما يشير اليه القرآن الكريم من ان التقوى تفتح آفاقا بعيدة في العلم والمعرفة « واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » صدق الله العظيـــم .

اما علامة عصره ابن خلدون فقد قال عنه في مقدمته ما يفيد تقديره والاعتراف بفضله على علماء الشرق والغرب ، ومما جاء في قوله « ولابن البناء المراكشي في علم الحساب تلخيص ضابط لاعماله مفيد ، ثم شرحه بكتاب سماه « رفع الحجاب » وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني ، وهو كتاب جليل ادركنا المشيخة تعظمه » ولم يقصر كذلك ابن حجر في الدرر الكامنة حيث قال بعد ان ترجم له « وكان ابن البناء فاضلا عاقلا سيما انتفع به جماعات في التعليم ، وكان يشتغل من بعد صلاة الصبح الى قرب الزوال مدة الى ان كان في سنة تسع وتسعين وستمائة هـ فخرج الى صلاة الجمعة في يوم ريح وغبار وتأذى بذلك واصابه يبس في دماغه ، ولعل هاته المدة سنة كما قدرها كثير من المؤرخين له وزادوا فذكروا قصصا كثيرة عنه رووها عن تلاميذه والمقربين اليه ومنها انه امتنع عن اكل كل ما فيه روح وصار يكاشف كل داخل عليه بما هو فيه ويخبره ببعض المغيبات ويستعمل الاشكال الهندسية والحساب في امور غريبة ، ومنها انه استعمل احد الاشكال ضد شرطي عدا على بعض خدمه فلم يتم كتابته حتى خر الشرطي صريعا ، اما الامام ابن رشيد الفهري فقد ذكر انه لم يعترف الا بعالمين عما : ابن البنا العددي وابن الشاط السبتي ، حيث قال « لم ار بالمغرب الا رجلين ابن البناء العددي بمراكش وابن الشاط بسبتة » .

هذه هي ترجمة ابن البناء المراكشي وهذه شخصيته الذاتية والعلمية ، وهي شخصية فذة نادرة الوجود ولها فضل معترف به على العالم اجمع في علوم الرياضيات ولذلك استحق التنويه من لدن علماء الشرق والغرب واستحقت كتبه ان تكون مثار تعليقات ضافية من لدن بعض المجلات العلمية في الغرب والشرق وعند بعض المستشرقين الذين ارادوا الاخلاص للعلم والانسانية جمعـــاء .

ولكن نرى من اللازم ان نصحح خطأ وقع فيه احد علماء الشرق العربي وهو الاستاذ قدري حافظ طوقان ، اذ كتب في احد اعداد مجلة الرسالة المصرية سنة 1938 م بحثا عنه ذكر فيه ان ولادته كانت بغرناطة الاندلسية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، ونحن نرى ان جميع من ترجموا له سواء من المشارقة او المغاربة لم يتعدوا الاخبار بانه ولد بمراكش وان داره لا زالت مشهورة بحي « ابن ناهض » وانه توفي بها سنة 721 هـ ـ في غشت 1321 م واظن ان هذا الخطأ ناشيء عن عدم توفر الخزانة العربية بالشرق عن الكثير من المصادر المغربية ولا سيما منها ما يتعلق بعلماء عباقرة امثال ابن البناء ، وان بعض العلماء من اخواننا يعتمدون على مصادر اجنبية تشوه الواقع وتسعى للتنقيص من حضارة المغرب وعلمه لتبقى الهوة سحيقة بين العرب ، والحقيقة ان الاستاذ قدري حافظ طوقان من علماء الشرق العربي المشهود لهم بالتفوق ، وضلاعته العلمية لا تخفى علينا ونحن نعذره لان الكمال لله سبحانه وتعالى .

الرباط ـ محمد بن ادريس العلمي

شخصيات من بلادي :

سادن الحديث

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

وما ان مرت لحظات من الزمن حتى لفتت نظره جماعة من الفرنجة ينزلون من السفينة واحدا واحدا ، فواصل تلاوته ، وأخيرا رأى ، ويا هول ما رأى ، فتسمر لسانه في حلقه ، وانكفا لونه ، واستولت عليه قشعريرة من الاضطراب ، وعيناه مشدودتان فيما يرى ... ان جماعة الفرنجة دخلوا الزاوية وعاثوا فيها فسادا واستباحوا قداستها ، فازاحوا رخامة الضريح ... يا لها من ماساة ...

شغف منذ ان كان كالزهرة الجنية ، في غضاضة غصنه ومعية شبابه بالحديث النبوي الشريف ، فانت لا تكاد تلقي عليه نظراتك حتى تراه متأبطا « صحيح البخاري » او « صحيح مسلم » وانت لا تكاد ترمقه او تكاد تحين منك التفاتة اليه حتى تراه ينتقل من حلقة الى حلقة في خفة ظبي غرير يلتقط من هنا اللطائف ، ويلتقط من هناك النفائس كما تلتقط الحمام حبات الزرع او كالياسمين تماما عند ما تشرئب اعناقها لتمتص قطرات الندى الصباحية .

كم كان يتمنى من اعاميق نفسه وهو متربع جالس في حلقة الدرس ان يكون مثل اشياخه يجلس على كرسيه هو الآخر وحوله الطلبة صامتين كأن على رؤوسهم الطير ، يستمعون اليه في انتباه واستيعاب ... كم كان يجول في ذهنه ان يصبح مثل شيخه « ابن غازي » ذلك الامام الكبير ، ومثل شيخه « ابي الفرج الطنجي » وابي المهدي الوساوي واضرابهم ممن تتلمذ عليهم من قمم المعرفة ودهاة العلم ، انه لتصور له مخيلته انه جالس على كرسي الاستاذية وهو يطلق للسانه العنان يتحدث في كل فن من فنون العلم ، وفي كل فرع من فروع الثقافة ، فيصول ويجول ما وسعه ذلك ... آمال وامان تصطخب في وليجة نفسه منذ ان خطا اول خطوة الى عتبة الشباب الفائر فتنقله الى عالم من الطموح ، يبدو له كالحلم ، صعب تحقيقه ، ولكنه ما يلبث ان يراه داني القطوف جنيا عند ما يطمئن الى الارادة القوية التي خلقها الله فيه ... كل شيء اذن يتسنى ... كل شيء هين ادراكه بالنسبة له ما دام يؤمن بنفسه ، ويملك السلاح ... سلاح القوة الارادية ... فليسر على بركة الله ، فلا ينال المجد الا صاحب العزم الذي يدك رقاب الصعاب .

وما ان يخلد الى هذه الافكار حتى يبتسم ابتسامة الظفر والفوز كما لو كان يرى المستقبل الجميل قد جاءه صاغرا فيتمتم :

تريدين لقيان المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وبعد ذلك اتخذ شعاره في الحياة الجد والعمل المتواصل آناء الليل واطراف النهار ، يصرف كل مجهوداته للدرس والتحصيل ، ولقد اتفق هو وبعض اصدقائه على ان يعقدوا كل يوم بعد صلاة المغرب ندوة علمية في منزله يتذاكرون خلالها احاديث العلم والمعرفة ، ويتجاذبون اطراف الحديث في شتى العلوم .

وفعلا اتفقوا على ذلك فاخذوا يجتمعون في منزله كل يوم ، وكان هو المبرز فيما يخوضون فيه من احاديث حتى ان خلانه دخلهم العجب من دهائه وذكائه المفرط وخاصة اذا عرجوا الى الحديث عن الآثار النبوية الشريفة التي كان يتعمق فيها تعمق الغائص العارف بمكامن اللؤلؤ ، ولم يكن الجمع ينفض الا بعد ان يمر من الليل شطره الكبير . وما ان ينصرف كل واحد منهم حتى يستسلم لسلطان الكرى ليستريح من عناء المناقشات والجدال الذي كان يحمي وطيسه بينهم في بعض الاحايين ويجري احايين اخرى في سكون وهدوء رخيين ناعميين

وتركض ايام تلو ايام وهو يواصل الدراسة لا يدخل نفسه وهن ولا ضعف الى ان اصبح عالما يشار اليه بالبنان ، ورغم ذلك لم تقف رغبته العلمية عند هذا الحد فقد عزم على ان يرحل عن بلاده الى الاراضي المقدسة حيث يؤدي فريضة الحج ثم يعوج بعد ذلك على ارض الكنانة يدرس هناك على علمائها .

وصح عزمه فلازم اصحاب ابن حجر كالقلقشندي وغيره فاتسعت دائرة معرفته وحصلت له رواية واسعة لم يحظ بها غيره من معاصريه .

وقد ادهش اهل « كنو » من ارض السودان فبجلوه وعظموه فخف الناس الى الاخذ عنه ، والاقتطاف من سرحته واحدث هناك دويا ما بعده من دوي جعل الناس يلهجون باسمه ويرددونه بين اللحظة واللحظة .

* * *

... وفارق السودان ... فارقها جريح النفس ، صديع القلب اذ الفه اهله والفهم هو ... فارقها قاصدا بلاده التي اشتاق اليها واشتاقت هي اليه رغم انه سيخلف وراءه ذكريات عزيزة عليه ، حلوة جميلة حافلة بكل جميل رائع طيب .

هكذا رجع الشيخ الى فاس وقلد بها خطة الخطبة بجامع الاندلس والفتوى وظل يزاول عمله في تدريس الحديث .

وان ينس فلن ينسى انكاره لقراء الفاتحة للناس ، وان قراءتها لهم بدعة لم ترو في حديث ، وهو لا يزال يذكر ان رأيه قد احدث رجة عنيفة في الاوساط العلمية المختلفة ولكنه ما يحمله من ذلك وقد ادلى برأيه الذي يعتقد فيه بانه صحيح لا تحوم حوله ادنى شائبة من الشك ، ما يهمه ذلك ، وقد قال كلمته ومشى ... ليزبد من يزبد ، وليرعد من يرعد ، ويبرق من يبرق ...

آمال رقيقة واماني عذاب كانت تملأ عليه مخيلته وتلح عليه كلما امسى وتراوده كلما اصبح ، وتشغل باله كلما ابيض النهار ، وتخالجه كلما اسود الليل .

آمال واماني تحققت فاصبحت حقيقة ماثلة بين يديه بعد كد وعناء شديدين ، فها هو اليوم قد اضحى في مرتبة اشياخه ، وها هو يدرس فيحتل مكانه بين العلماء ويزاحمهم فيحرز مصب السباق ، ها هو يجلس على كرسي الاستاذية الذي طالما رفت نفسه اليه ، وحلم به في كل لحظة من لحظات ايامه ، بل في كل ثانية من ثواني حياته ، يدرس الموطأ والكتب الستة والتفسير والفقه والفية ابن سيناء في الطب ويقيد بخطه الفوائد التي تمت الى الحديث والادب مع الضبط والشكل ويجمع الكتب .

لقد اضحى مرجعا يستضاء به ومصدرا يعول عليه في كل الفنون وخصوصا في علم الرواية والحديث اذ يطلق لسانه العنان يتحدث في حلاوة طرية يبهر العقول ويستميل النفوس العطشى الى علمه .

ولم يكن الشيخ من زمرة الذين اذا ادركوا مجدا انتفخوا انتفاخ الطواويس وصعروا خدودهم ، فقد كان يركب حماره من غير مبالاة ويسير بتواضع جسم من غير اكتراث ، فاولئك المتعجرفون كالسنبلة الخاوية اكثرها شموخا وبسوقا ، وهو كالسنبلة المليئة حبا اكثرها تواضعا ، فالكبرياء والعظمة ليست من صفاته ، انها من صفات وجبلات البلداء والجهلاء ...

واعتاد شيخنا زيارة ضريح المولى « بوسلهام » يقرأ هناك « دلائل الخيرات » للجزولي في احضان البحر حيث طبيعة الله العذراء وهيكله المقدس ومحرابه الازلي الخالد .

خرج ذات يوم مع طلائع الفجر الوليد قاصدا مكانه المعهود ، وما ان وصله حتى كان النور قد كسا عرصات الافق ، وخلع عنه ثوب الظلام ، ثم افتعد الارض ازاء قبر المولى « بوسلهام » واخذ كتاب « دلائل الخيرات » ... اخذه وفي نفسه انقباض لا يعرف تفسيره ... انه يشعر بهذا الانقباض يسري في جسده ، لم يعهده من قبل ، فتعجب من هذا الذي يشعر به ، ولكنه بعد لحظة نظر الى البحر نظرات عميقة ، وعميقة جدا فرآه وقد تغير حاله اذ بدأت العاصفة تثير موجات في عنف كأنه هو الآخر يحس نفس الانقباض ثم حول عينيه الى الكتاب واخذ يترنم في لوعة جارفة ونبرة صادقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، الحمد لله الذي هدانا للايمان والاسلام والصلاة على نبيه الذي استنقذنا من عبادة الاوثان والاصنام وعلى آله النجباء البررة الكرام » .

وانقطع عن القراءة ثم نظر مرة اخرى الى البحر ، فلمح من بعيد سفينة تتقاذفها الامواج تمايل يمينا وشمالا وتطفو تارة وترسب اخرى ، واطال النظر ، غير انه ما لبث ان عاد الى القـراءة .

وما ان مرت لحظات من الزمن حتى لفت نظره جماعة من الفرنجة ينزلون من السفينة واحدا واحدا ، وواصل تلاوته ، واخيرا رأى ، ياهول ما رأى ، فتسمر لسانه في حلقه وانكفأ لونه واستولت على جوانحه قشعريرة من الاضطراب وعيناه مشدودتان فيما يرى ... ان جماعة الفرنجة قد دخلوا الزاوية وعاثوا فيها فسادا واستباحوا قداستها فأزاحوا رخامة الضريح.. يالها من مأساة ...

وطفق يتمتم في قرارة نفسه :

يالانسان المروءة لضريح بوسلهام ... يالها من وحشية يحمر منها وجه الانسانية خجلا ... يالها من بشاعة ...

وحزن اشد الحزن ، وتمنى لو ملك قوة العمالقة ، لا بل قوة ذلك الشخص الذي حمل عرش بلقيس لسليمان قبل ان يرتد اليه طرفه لينتقم من هؤلاء وينقذ الضريح من الكارثة ، ولكنه شيخ في اصيل عمره يبلغ الثمانين او اكثر ، لا قدرة له بذلك ... كيف يستطيع ان ينتقم وهو شيخ هرم يحمل نفسه حملا ويقتلع قدميه من الارض اقتلاعا كأنه يمشي مصفدا ، واذا هو في دوامة حزنه يغلي غليان المرجل ويستبشع ما رآه هما اذ يرى تلك الشرذمة الطاغية قد خرجت من الزاوية ثم انقضت عليه انقضاض الصقر ، وحاول ان يستغيث ويصرخ ملء صوته ، وحاول ان يدافع الشر عنه ، ولكن الشرذمة لا تعرف معنى للرحمة ولا عرفت الرحمة الى نفسها طريقا ، فقد لبست اظفار الذئاب ومخالب الاسود ، وما كان منه الا ان يستسلم للقدر المحتوم بعد ان اشبع لكما وركلا ... وشرع يجود بانفاس قصار وهو يردد في نبرة متقاطعة اسم الله الاعظم واسم نبيه ، واستشهد بعد برهة ، فصعدت روحه الى برزخ الطاهرين .

* * *

واسدل الستار على هذه المأساة ، وساد السكون المكان ... وانتشر الصمت الرهيب ... بينما كانت الشمس تسحب لتودع ، وتلصق خدها بحواشي الافق كما لو كانت تتضرع لتلاشي ، وعلى الاثر نشر الظلام اروقته ، والبحر في هيجانه تتلوى امواجه في شدة كما لم تتلو في حياتها الطويلة المديدة منذ الابد .. :

... ومر الليل بطيئا وئيدا ... وتشرق شمس الغد من وراء افق البحر الذي هدأ هيجانه فترسل خيوطها على جثة ابي محمد سقين العاصمي القصري وهو مسجى على الارض ، وقد انتشرت على جلبابه بقع من الدم قانية .

هكذا ختمت حياة عالم فذ بكارثة عام (956 هـ) وبموته انهد الحصن الذي طالما التجأ به ، وانطفأ المصباح الذي طالما اضاء ما حوله فامتد الى المسارب المظلمة ، وغاض الينبوع الذي طالما ارفد كل القنوات الجافة المتعطشة الى الارتواء ...

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

— كمــــال العقــــل —

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه :

ان الولاة جعلوا العيون على العوام ، وانا اجعلك عيني على نفسي ، فان سمعت مني كلمة ، تربأ بي عنها او فعالا لا تحبه ، فعظني عنده ، وانهني عنه .

استرحت من حيث تعب الكرام

سمع الاحنف رجلا يقول :

ما ابالي امدحت ام هجيت .

فقال الاحنف .

استرحت من حيث تعب الكرام

مختارات
من الشعر العربي القديم

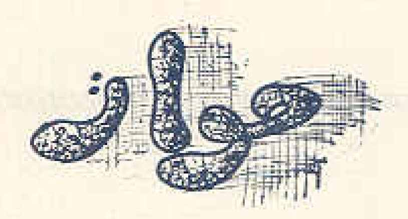
الجبل الأشم

وأرعنَ طمّاحِ الذؤابةِ باذخٍ
يطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ 1
يسدُّ مهبَّ الريحِ من كلِّ وجهةٍ
ويزحمُ ليلاً شهبَهُ بالمناكبِ 2
وقورٍ على ظهرِ الفلاةِ كأنّهُ
طوالَ الليالي ناظرٌ في العواقبِ 3
يلوثُ عليهِ الغيمُ سودَ عمائمٍ
لها من وميضِ البرقِ حمرُ ذوائبِ 4
أصختُ إليهِ، وهو أخرسُ صامتٌ
فحدّثني ليلَ السرى بالعجائبِ 5
وقالَ ألا، كم كنتُ ملجأَ فاتكٍ
وموطنَ أوّاهٍ، وموئلَ تائبِ 6
وكم مرَّ بي من مدلجٍ، ومؤوّبٍ
وقالَ بسفحي من مطيٍّ وراكبِ 7
ولاطمَ من نُكبِ الرياحِ معاطفي
وزاحمَ من خضرِ البحارِ جوانبي 8
فما كانَ إلّا أن طوتهم يدُ الردى
فطارت بهم ريحُ النوى والنوائبِ 9

إبراهيم بن خفاجة الأندلسي

شـــرح الكلمـــات :

1) الارعـن : الجبـل الطويـل ، والواو ، واورب * ـ طمـــاح : مرتفع * ـ ذؤابة الجبل : اعلاه * ـ يطـاول : طاوله : غالبه في الطول * ـ اعنان السماء * نواحيها * ـ الغارب * مقدم اعلى الظهر مما يلـي العنـق *
2) يزحم ويزاحم . يضايق * ـ شهبـه * كواكبـه * ـ مناكب الجبل : نواحيه * والمنكب مجتمع راس الكتف والساعد
3) وقور . بالجر معطوف على الصفات التي قبلـه ، وبالرفـع خبر لمبتدأ محذوف * ـ طوال : بفتح الطاء . اي طـــول *
4) يلـوث . يعصب ، يشد * ـ وميض البـرق : لمعه الخفي *
5) اصخت : استمعت * ـ السرى . سيـر الليـل *
6) الفاتك : الجريء ، القاتل مجاهرة او على غفلة * ـ أواه : متاوه متضـرع * ـ موئـل : ملجـا *
7) المدلج : السائر في الليل * ـ المؤوب * السائر في النهار* قال نام في القائلـة * ـ السفـح : اسفل الجبـل * ـ مطـى : ج مطيـة . دابـــة *
8) نكب : ج نكباء ، والنكباء ريـح انحرفت ووقعت بين ريحين * * معاطفـي : اطرافـي *
9) الردى . المـوت * ـ النـوى . البعـد *



بين عالم ومغن

للشاعر: عبدالمالك البلغيثي

العالـــم :

يا اخي ، كيف صرت اشهر مني   وانا عالم ، وانت مغن ؟؟
قد نشأنا في مكتب الدرب ، حتى   كان بعض يظننا اخوين
ولزمنا الكتاب عهدا طويلا   وافترقنا .. والدهر يقصي ويدني
فاتخذت الغناء ، انت احترافا   ولزمت الدروس وفق التمني
كم قضيت السنين في طلب العـ   ـلم الذي لم يكن من السهل عني
في زمان به الدراسة كانت   صعبة الاخذ في حداثة سني
في الاساليب والطريقة والمو   ضوع .. هذا في كل علم وفن
كتب الدرس لم تكن مثل هذا العـ   ـصر .. كانت مطولات تعني
مجملات البيان مثل المعمى   تتعصى على الفهوم وتضني
كل درس موسوعة من علوم   وفنون تكل ثاقب ذهن
والاساتيذ كم تحلق في الدر   س على غير مستوى الفكر مني
وقليل من كان ينزل للنا   شيء لما قطوفها له يدني
كم كتاب نسخته رغم طول   كان يعشي بخطه نور عيني
وكأني كتبته بسواد العـ   ـين ، والغفو لا يخالط جفني
في ليال ، والنور اضعف ما كا   ن ، وللكهرباء عنا تجني
ومعير الكتاب لا يتوانى   في اقتضاء ، ولا يبالي بأيني
ولقد كانت الخزائن في ملـ   ـك اناس ذوي يسار وشأن
جمعت من نفائس الكتب ما يسـ   ـمع عنه ولم يشاهد بعين
فهي في ذوقهم متاحف تزدا   ن بها دورهم ، كقرط باذن
ولها حرمة الحريم فلا تمـ   ـتد الايدي لها لشدة صون
فاذا جئت طالبا لكتاب   كنت كالخاطب الفقير المسن
لا يعيرون كتبها لبعيد   عنهم حيطة ، فكانت بحصن
ليس يستطيع طالب ان يرى المطـ   ـبوع منها ولو بنقد لعين

طالب العلم لم يكن شظف العيـ ـش لدى عزمه ليوهي ويثني
ولكم كسر الحصى (وهو يقتا ت طبيخ الشعير) شبا بسن
وتخرجت بعد جهد شديد ثم كافحت نحو اصلاح شأني
كل هذا عانيته في سبيل الـ ـعلم ، والحرص كان اكبر عوني
انا بالعلم لم انل شهرة مثـ ـلك دوت في كل جزء وركن
ان سلكت الطريق لم ار فردا آبها بي ولو بطرفة عين
وكأني اسير في الناس مستو را ، وكالميت من خمول وغبن
واذا ما سلكت انت سبيلا سيما يوم حفلة لتغني
تجد الناس في ابتهاج الى لقـ ـياك ، خصوك باعتناق وحضن
لست انسى يوما وقد ضمنا حفـ ـل بهيج وكنت بالقرب مني
لا تغني .. وانت كنت مدعـ ـوا مع الناس في عقيقة ابن
فاتى الناس يهرعون زرافا ت يحيون فيك شخص المغن
بانحناء مترسل ثم لثم بعد ضم لعطفك المتثني
والاشارات منهم تتوالى بمعاني التقدير : ايك تغني
وانا جالس حذاءك كالمحـ ـقور .. لا من بها تصدق عني
قلت في نفسي المليئة بالحسـ ـرة : يا ليتني احترفت التغني

* * *

هذه بعض قصة العالم النحـ ـرير من عاش عمره في التمني
انت ياذا .. تعيش في البذخ والتقـ ـدير مع شهرة وعز ويمن
ان اسماء من يغنون في الدنـ ـيا تراها ترن في كل اذن
واسم شيخ العلوم في سائر الا قطار ، لا يعرفونه كالمغني

* * *

المغني :

يا اخ الود منذ صباي الجميل كنت حقا لدي خير خليل
غير اني ارى هجومك عن دا فع حقد .. وليس ذا بالجميل
لا اسيك بالحسود احتراما لرفيق صافيته منذ جيل
انها الغبطة التي ارت المغـ ـبوط ما نال من مقام جليل
ثم زادته رفعة واشتهارا في الجماهير ، اذ اتت من نبيل
لم اكن عارفا مدى شهرتي هـ ـذه حتى اتيت بالتمثيل
سيما حينما تمنيت ان لو كنت مثلي مغنيا : يا ليلي
وتركت الدروس في جانب حيـ ـث تراها كنتك ثوب الخمول
انها قسمة الالاه فلا تأ س على ما حييت من تفضيل
لا تسيء بالحكيم ظنا وقد اعـ ـطى لبعض فوق المنى المأمول

او مـا كـان قبلكم علمـاء   زهـدوا في التعظيـم والتفضيـل
لا يـرون الحيـاة دار بقـاء   بل رأوها ـ طبعا ـ محط رحيل
فستهانوا بها ولم يحدوا من   هام فيها وصار كالمخبول
كم اعد الرحيم في الدار الاخرى   لذوي العلم من ثواب جزيل
فلتكن انت مثلهم لا تبالي   بشفوفي ولو جررت ذيولي

* * *

ان لي في الغناء قولا مفيدا   سأجليه في خطاب قليل
: نحن بإذا ، بالموت لسنا نغني   او بما في الجحيم من تهويل
لا ولا بالزقوم والمهل او غسـ   ـلين مما يزيد حر الغليل
مثلما تذكرون في الوعظ للنا   س عسى ينهجون خير سبيل
وهو حق .. وليس فيه افتراء   وكما في الحديث والتنزيل
فاذا ما صرفتهم عن غناء   لا نراه في الشرع بالمقبول
قمت ادعوهم اليه بناي   وكمان ، ومزهر ، وطبول
واذا ما ذكرتهم بشراب الـ   ـمهل ، ذكرتهم ـ انا ـ بالشمول
واذا ما وصفت هول جحيم   خضت في وصف غادة عطبول
واذا ما حذرتهم من مراد النـ   ـفس ، اغريتهم بكل جميل

* * *

فالمغني يرى الحياة امتدادا   لا مكانا موقتا للنزول
ويغني لها ويدعو اليهـ   بمثير الاشعار في ترتيل
ويناغي الوجدان من كل ذي رو   ح باوتار صوته المتميل
فتصير القلوب بين يديه   خاشعات تميل كل مميل
وعلى صوته تذوب حشاشا   ت بذكر المتيم الممطول
وبرناته تفتح ابوا   ب قلوب للوصل والتنويل
فهو حادي العشاق نحو منى النـ   ـفس ومزجيهم الى التأميل
وهو روح لكل روح لطيف الـ   ـحس ، يبكي بقلبه المتبول
وهو برد الاكباد من لفحات الـ   ـحب ، كالطل او كظل ظليل
الفة للقلوب بعد نفور   ورسول للعطف خير رسول
ولكم رد من بخيل كريما   فهو كالخمر فعله في العقول
وبه روضت قلوب على الحـ   ـب ، وكانت منيعة التذليل
كم تغنى اهل المحبة في اللـ   ـه بقلب عن غيره مشغول
ولهذا نال المغني اشتهارا   في الجماهير : عالم وجهول
وكفى مدحي الغناء وللعلـ   ـم شفوف في المدح والتبجيل
غير بدع بان للعالم الفضـ   ـل ، ولا سيما الهمام الجليل
وهو اولى بشهرة وبتبجيـ   ـل ، ولكن .. الذنب ذنب الجيل

سلا : عبد المالك البلغيثي

دنيا المضحكات

للشاعر: عبد الكريم الشواني

« لو عرف الانسان حقيقة مهزلة وجوده على هذه الارض لاراح نفسه عناء البحث عن المصير المحتوم ، ولكن هل يملك الانسان حق اختيار مصيره على هذه الارض ؟ »

ادنيا المغريات بدوت حلما ... تهيا دغدغ الاحناء وجدا
وفي غنج اضاع القلب فيه ... بقايا هديه واضاع رشدا
رقصت تطارحين النفس حبا ... انار شجونها وغوى واردى
وهام به الفؤاد ، فما يبالي ... اضل عن الهدى ام كان اهدى
لقد القى الزمام اليك جهلا ... ومنى النفس ما اغنى واجدى
وبادلك العهود ، وكان غرا ... وامل ـ ضيعتاه ـ وفاء وعهدا
ونحن بني التراب ، عبيد دنيا ... نفديها دمانا لو تفدى
اضعنا في هواها كل رشد ... وقدمنا لها الارواح رفدا
قد ارضعنا هواها ، ما فطمنا ... ولكنا تخذنا هواها مبدا
وهامت بالهوى منا الخلايا ... تعب شرابه خمرا وشهدا
واحللت الترائب والحنايا ... وامست منية الاحيا ، وقصدا

* * *

ادنيا المضحكات اضعت نفسي ... اذا املت يوما فيك خلدا
اسرت القلب مني دون وعي ... باوهام بدت للقلب سعدا
باوهام تدغدغ منه حلما ... يمني النفس صفو العيش رغدا
وامضي ابتني منها صروحا ... اجوس دروبها ممسى ومغدى
احاول دوسها كل مراما ... على قلبي من الاحلام اندى
واسبح في خيالات تهادت ... عرائسها ازاهيرا ووردا
وتخطر في هنا ، وتميس عجبا ... وتهزج بالمنى وتتيه وجدا

وتملأ خاطري نزوات حب   اشاع الطهر في روحي وابدى
ولكني تكشف لي صبحي   عن الآلام ترهقني جهدا
ولكني منيت بكل يأس   واضحت امنيات الامس وعدا
وليت الوعد وعد كريم نفس   ولكن وعد (كعب) منه اجدى

* * *

ادنيا المضحكات اليك عني   فأنت كريهة صدرا ووردا
قلتك النفس يا ام الخطايا   واولاك الفؤاد جفا ، وبعدا

* * *

جنا (سيزار) مسحور الحنايا   يراود (كيليو باطرا) الحب رغدا
فذاق الكأس وارتشف الحميا   وهادى (النيل) اشواقا وودا
وهام به سويعات والقى   عصا التسيار نشوانا مندى
تنسى الروم في غفوات انس   اعاد له الشباب ونال ولدا
وسا به السفين على رخاء   يطارحه النسيم هوى وجدا
وروما توجته ليوم خطب   وترجوه ليوم الروع سدا
وكان لها الفخار وكان دوما   ربيب النصر حيث يقود جندا
تحمته الشعوب ، ومنه ترجو   اياديه ، وتسعى منه ودا
وتجبوه السنا طوعا وكرها   وتعلي شأنه عهدا فعهدا
فنال من الحروب اجل صيت   وكلل هامه مجدا وخلدا
ولكن اي صفو دام يوما   واي المجد دوما كان مجدا ؟
فقد اخنى على (سيزار) دهر   وغور نجمه نحسا ونكدا
وقتله الألى هرقوا دماهم   على اقدامه حبا وعهدا

* * *

ادنيا الموبقات جفتك نفسي   فقد كنت الخداع آبا وجدا
فـ (انطونيو) المظفر خاب سعيا   وقضى نحبه حزنا وكمدا
لقد رام الحياة الذ طعما   وابهى منظرا واعز ايدا
فأم (النيل) يحتدم اشتياقا   يؤمل ان ينال العيش رغدا
فنال الحب واحتضنته (كيليو)   وكان لها الشلاف وكان شهدا
وظن الظهر قد اغفى واضحى   اسير العاشقين وبات عبدا
فعبا من رحيق اللهو ساعا   وعاشا للهوى صنوين عهدا
ولكن كانت الدنيا وتبقى   على الاحرار البا متجدا
فقد اودى الغرام بكيليو باطرا   واودى بالخليل وقال : بعدا

ونحن حبيتاه نحث خطونا ... لغايات تغنى بها ونردى
لغايات تخاف عليها دهرا ... سيطوي منا عمرا لن يفدى
وتندب حظنا منها دموعا ... واوهاما توزقا ، وسهدا

* * *

تفاهات من الاحلام كنا ... ونمسي في غد خبرا ووعدا
ستذروه الرياح سوى حطام ... من الاعيا ، يبارك فينا لحدا

* * *

علام اذن نقضي العمر سعيا ... ورا دنيا تنوء اسى وادا ؟
ونمعن في الشكاة ونحن احرى ... بان تسلى حنايانا وتهدا ؟

* * *

ادنياي التي وأدت شبابي ... وكان لها النجاء وكان مهدا
عشقتك لارضى منى ولكن ... رأيت العيش دونك لن يودا
سأنعم فيك بالاوهام عمري ... واحبوك الدهور قلبي ، وحقدا

فاس : عبد الكريم التواتي
الاستاذ بجامعة القرويين

« ارفع مراتب الفن »

« ... ارفع مراتب الفن ... فن يمس انسانيتنا بالتكريم ، ويهمي على مشاعرنا بالحب ، ويعمق احاسيسنا بالعون ... فآية كريمة تجنب عيوبنا ... وآية تحث على فضيلة ... وبيت يغمرنا بالرقة ... وكلمة تستل السخيمة ... كل ذلك ... هو الفن ... فن الحب للحياة ... للحياة افضل ... وعمل اسمى واخوة نبيلة »



اخطو وفي خطواتي الف باقية   من ذكريات يكاد الطرف يلمحها
اتيه وحدي ومأساتي يحركها   امسي ويوقدها يأسي ويقدحها
انا العليل ، وكم في القلب من كرب   تزوره لكأن القلب مسرحها
والنفس في زحمة الآلام واقفة   لم تدر كيف ولا انى ستبرحها ؟
اشك في النفس وهي اليوم واجمة   الغم يخرسها واليأس يكبحها
اتلو على مسمع الدنيا شقاوتها   هل ياترى احد يوما يسرحها ؟
والشوق ، عاد يحييني وينعشني   بل عاد يلهب اجفاني ويجرحها
اتيه وحدي واخفي كل معضلة   ويعلن الدمع اسراري ويفضحها
انا بكس اختياراتي .. انا بيدي   اضعت عمري ، .. ونفسي ضاع مطمحها
سرى اللهيب بأحشائي واتلفها   والنار في زفرتي اوشكت المحها
نار تطوف ويفنى فوقها رمقي   من يطفيء النار ؟ .. من بالماء يرشحها؟
ضاقت بخاطرتي الدنيا وما حملت   فكيف ـ والصبر اعياني ـ سأفسحها ؟
ارجو ، وباب الرجا ان جئت اسألها   الناس تغلقها والله يفتحها !

العرائش . حسن محمد الطريبق



طاب في عيد عرشكم تغريدي   فليدم عيد العرش ابهى عيد
بكم ترفع العروش ويبنى   كل مجد مدى القرون عتيد

لم تزالوا لله ـ للوطن الخالد «م» جندا ، اعزز بهم من جنود
ما استوى منكم على العرش الا   كل حر « متبسل » صنديد
امة المجد امة العلويين قصيد   وانت بيت القصيد
بابيك الزمان يضرب امثالا «م» وبالاجداد منذ (الرشيد)

* * *

ايها الوارث الفخار عريقا   عن جدود كانوا كرام الجدود
قال من لم يعرفك : هل من مزيد ؟   فاجبنا : تالله ، الف مزيد ،
ليس « والعرش » يقنع الحسن الثا   ني بحفظ الميراث حفظ الرصيد
بل كما يولد الضياء جديدا   كل فجر من كل يوم وليد ..
يغمر الارض ارضا فرح البشرى بخير من راحتيه جديد
نجمة اخضر تالق ما بين «م» احمرار البنود اسمى بنود

* * *

يعرف الدهر خطوه ان تأنى   واذا ثار اي باس شديد
جربته الخطوب بالامس واليوم «م» فكان الحديد .. صب الحديد
بحماه المناضلون استطابوا   فيء ظل .. من عرشه ممدود
يذكرون امجيد يوم جهاد   والذي كان في الخطوب السود
وابيه يجشم السجن والنفي «م» لتحرير شعبه المصفود

* * *

بالذي ابلى في الكفاح بلاء   حسنا .. والاعداء خير شهود
بالذي كالاب المقدس شاء الله «م» ان يصطفى لفك القيود
انا .. ما هز مثل عيدك عودي   وبأفراح العرش رق نشيدي
ما حيينا متوجين بتاج الـ   ـحسن الثاني الظافر المعضود

لن يخيب الرجاء .. لن يطمس الله «م» شعاعا من حلمنا المنشود
لن ينام المحروم تحت سماء ارضها : ارض امن .. ارض الجود

* * *

تشرئب الاعناق .. شوقا اليه حيثما حل .. بين شعب ودود
فكأن المواطنين عقود وكأن المليك جيد العقود
وكأن الحبيب نور لعين لم تر النور منذ عهد بعيد
ذلكم انه وشيجة قربانا «م» بهذي السهول .. هذي النجود
ذلكم انه الوصي علينا وامير المومنين .. راعي العهود
نحن من خلفه .. كتائب احرار «م» كرها عيش الرقيق العبيد
ابينا الاه .. باعث مجد مستقر .. كالتل صلد عنيد

* * *

ايه مراكش العظيمة بشراك بيوم مخلد مشهود
ايه مراكش الجميلة تيهي رقصي النخل باسقات القدود
واصدحي ياطيور « اوريكا » من الفر حة ، ذا يوم الشدو والتغريد
اشرقت طلعة المجيد عليك فهنيئا بالنجم نجم السعود
ايه يا بهجة الجنوب ابى اللـه بعيد النكال والتعييد
غير ان تفرحي بعهد جديد مشرق باسم هنيء بعيد
بارك الله من بنيك اباة وسقى الله قبر كل شهيد
انت مراكش العظيمة احرى بالتهاني في مثل هذا العيد
كم تجرعت الامرين من طغيان «م» شيطان مستبد مريد ؟
رام تقويض العرش .. والعرش كالاطلس باق مدى دوام الخلود

* * *

يا بني قومي كللوا بنجاح من جهود المليك مثلى الجهود
وانهضوا بالعرش العلي فهذا «م» العرش يعلي وجودكم ووجودي
خلفنا الماضي لا يباريه ماض ولنا مستقبل بهيج الوعود
عش لنا يا مليك والعرش يزهو مشمخرا برغم انف الحسود
عش لرفع البنا ودرء الرزايا واقتحام السدود بعد السدود
عش لاعلاء راية الحق والعدل وعش للتكتيل والتوحيد
عش لهذا الشعب الوفي ابا برا محاطا بالحب والتمجيد
عش وايدينا في يديك وكف الله شدت بالنصر والتأييد

ادريس الجاي

تهنئة بوسام العرش

من رتبة ضابط سام

للأستاذ : محمد الطنجي

وشح صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني صدر معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش بوسام العرش من رتبة ضابط سام بمناسبة الذكرى الثالثة لعيد العرش تقديرا له على خدماته واخلاصه وتفانيه فى خدمة الجناب الشريف والعمل المثمر البناء لصالح الاوقاف والشؤون الاسلامية •

وتقدم اعضاء ديوان معالي الوزير بآيات التبريك والتهاني لهذه الالتفاتة المولوية ، والحظوة السامية ، والمكانة المرموقة الموموقة عند مولانا الامام ، حيث جادت قريحة الاستاذ محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بهذه القصيدة العصماء التي نثبتها فى هذا العدد :

يطيب هناؤكم بوسام عرش   يوشحكم به عهد الامام
برتبة ضابط سام منحتم   وسام العرش من اعلى مقام
نعم بركاش نلت وسام صدق   واخلاص لدى الحسن الهمام
وقد شهدت مراكش كيف حلى   به صدرا حوى رعي الذمام
وادت شاشة الاطياف حفلا   بدا الشعب في ابهى ارتسام
وزارة وقفنا دامت لديه   كهالات البدور لدى التمام
ودوما كنتم اولى الرعايا   بتقدير من الصيد الكرام
جميل صفاتكم قد اهلتكم   لخير مفاخر غر جسام
خدمتم شعبكم والعرش دوما   وللاوقاف عشتم خير حام
وللاسلام شيدتم بيوتا   وفقتم في الادارات العظام
فتسير الامور ولو تناهت   يدبرها جنابك بانتظام
وتطبع بالنزاهة كل فعل   فيصحبه النجاح لدي الختام
رجال البرلمان شهود صدق   على اعمالكم في كل عام
فكم قد ايدوكم في مساع   واطروا منكم حسن القيام
فاكرم بالوسام شعار فخر   يدوم لشخصكم دون انصرام
يزيد لال بركاش مزايا   على مجد لهم كالطود سام
فباهى من تشاء باي فخر   فمجد البيت يزخر بالعظام
بنيتم مجدكم من مكرمات   يعز بها الوفاء من الانام
ادام الله شخصك شمس فضل   تضيء لغربنا سبل السلام
وابقاكم منار هدي لشعب   يناصر في الورى عرش الامام



ما هذه الدنيا كما صورتها الا طريق
نمشي بها في الوهم ، في الغمرات ، في حلم عميق
يا هل ترى نغفو دواما ، ثم قد لانستفيق ؟
ونسير في سفر بلا حد ، ولا امل وثيق ؟
اترى خلقنا في الطريق بلا معين او رفيق ؟
نحيا على الزاد الهزيل ، وللطوارىء لانطيق ؟
وتغرنا الاسراب ، والبهتان يصقله البريق
تعمى خطانا في مهاو تشبه الوادي السحيق
نحو النهاية نستغيث فلا مجيب ولا شفيق
الا حساب عن جميع فعالنا ضخم دقيق !
الكل في بدء الطريق ، يقول ما معنى الحقوق ؟
اترى غروب الشمس في الآفاق يسبقه الشروق ؟
يا ليتني ادري ؛ فاني صاحب الحس الرقيق
لكنني لم الق في بلوى فؤادي من صديق
فانا الغريب يغشني حتى القريب او الشقيق !
ما في طريقي غير شوك سوف يأكله الحريق
وارى زماني سوف يرفي ما بقلبي من خروق
هذا طريقي حوله بحر من الذكرى عتيق .
يا هل ترى من موجه انجو ، فها اناذا غريق
هذا طريقي ليس يسلكه سوى شهم عريق
ومصارع الاحداث في الدنيا بما يرجو خليق
ما زلت امشي في طريقي اسمع القلب المشوق

واحدث الذكرى حديثا يقنع الصب العشيق
يا هل ترى امشي على قيد ، وفي الفسق الصفيق؟
أم انني في مشيتي وتنقلي حر طليق ؟
هذا فريق جد في مسراه ، يتلوه فريق
والكل في بدء الطريق يسير بالعزم السبوق
اترى يساق الى المنى ام انه امسى يسوق ؟
وهل استوى في رايه سعة من الدنيا وضيق ؟
يا هل ترى اغراه في رحلاته عطر عبوق ؟
او لم يعف في نهجه وقع الحوافر والنهيق ؟
ما هذه الدنيا سوى مهد الدناءة والفسوق
تهفو لها ، فتريك الوان السفالة والعقوق
يا هل ترى تلك السموم تكن منها في العروق ؟
قد صار شكي في طريقي يستحيل الى وثوق
وعلى طريقي صرت ذا قلب وذا نطق ذليق
وانا اصوغ روائعا من شعري الفض الرشيق
ما تهت ، بل اني مع الذكرى ، وبالذكرى لصيق
اسعى لما يرضي الضمير وما يشوق وما يروق
وامج كل الشر ، ان الشر داء لا يليق ،
ما هذه الدنيا ابتداء وانتهاء غير الوان الشهيق
فشقاؤها زالت به من كل اهليها الفروق
هي كاس جريال تداوي ما بقلبك من شقوق
لكن حنظلها توهمه الجهول لجهله مثل الرحيق
يطفي بها البلوى ، فتذكي في الحشا أثر الحروق
يا هل ترى يذوق ما يسقاه ام هو لا يذوق ؟
لكنها الأوهام للذوق المساعد قد تعوق
ما هذه الدنيا سوى سوق ، ونحن عبيد سوق
ما في ابتسامتها سوى هول الرعود او البروق
فكأنها سهم تصوبه المشيئة ، ذو مروق
ما في طريقي غير قلب في تامله صدوق
فانا اسد مسامعي عما يشاع من النعيق
واسير دوما للأمام بعزمة الشهم الحقيق
لم يثنني صخب النباح ، ولا زفير او نقيق
بل انني امشي ، وانشد نغمة الشعر الانيق
وعلى طريقي صرت انثر مهجتي مثل العقيق
وبمنتهى ما أرتجي من حكمة انوي اللحوق
ما هذه الدنيا كما صورتها الا طريق !

محمد العلمي

لمحات سريعة حول :

المركز السياسي والمركز الثقافي للعرب في عالم اليوم

للأستاذ : المهدي البرجالي

العرب ووضعيتهم الدولية الجديدة ـ مفهوم ونتائج الاختيارات العربية فى هذا الميدان ـ علاقة العرب بالكتل الدولية المختلفة ، وماذا يعنيه ذلك ـ بعض الحقائق التي يمكن ان تفسر الظواهر الملحوظة بهذا الشان ، هل يتناسب مركز العرب السياسي مع مركزهم الثقافي فى عالم اليوم ؟ بعض مظاهر النقص الملحوظة ، فى هذا المقام ، مشاكل مختلفة تواجه التطور الفكري المنشود ـ الفكر العربي بين وضعيته المحلية ومطامحه العالمية ـ سياسة اشعاع ثقافي عربي : هل تقوم اللغة العربية كحاجز دونها ـ الوسائل التي يمكن اعتمادها بهذا الصدد .

سجل العالم العربي في خلال السنوات العشرين الماضية ، تطورات مهمة جدا في مجال حياته السياسية ، الداخلية والخارجية ، وفي تركيب بنيانه الاقتصادي والاجتماعي ، وما يتصل بكل ذلك من معطيات مادية وانسانية ، وجيلنا العربي الحالي يعيش فعلا واقع هذا التطور الحاصل ، بل ويوجد في محوره مؤثرا ومتأثرا على وجه او آخر من وجوه التاثر والتاثير ، فالحياة العربية الحاضرة في نطاقها القومي الجماعي تكاد حركيتها تتلخص في هذه السلسلة من التغير والتكيف والتلاؤم ، الذي لا يفتأ ياخذ بجميع آفاق السياسة والاجتماع والاقتصاد في البلدان العربية ، معرضا شتى المفاهيم والمناهج والمقاصد ، لسلسلة من التطورات والتكيفات لا تنتهي حلقة منها الا لتفضي الى حلقة اخرى اوسع مجالا واعظم اثرا ، وليس القصد من اثارة هذا الموضوع ، هو استعراض « الاحداث » السياسية والاجتماعية والاقتصادية العربية في خلال السنوات الاخيرة ، فذلك ـ كما تقدم ـ واقع نعيشه عقليا وعمليا ، ولا نحتاج الى التذكير به ، الا ان يكون هذا التذكير عبارة عن محاولة ناجحة للتعمق في مدلولات « الحوادث » واستخلاص الحقائق العملية التي تساهم في زيادة تعبيد الطريق نحو المصير الحضاري الافضل الذي يترجاه العرب من نهضتهم الحديثة ، ان الموضوع الذي نثيره في هذا الحيز المحدود ليس مما يتسع لافاق بحثية من هذا القبيل ، وانما الذي نتوخاه فقط ، هو محاولة استبانة بعض الحقائق الدولية التي يتكشف عنها التطور العربي الحالي ، والتي ما فتئت تؤثر تاثيرا ايجابيا على مركز العرب الدولي في عالم اليوم ، ثم ملاحظة ما يقابل ذلك من نقص اساسي في مكانة العرب الثقافية على الصعيد العالمي واستمرار تخلفهم ـ هكذا ـ عن المساهمة مساهمة ايجابية حقيقية في اثراء الفكر الثقافي الانساني المعاصر ، الذي يزداد غناه وعمقه بازدياد التجربة الحضارية الحديثة ، وتقدم الخبرة الانسانية في مختلف الميادين ، واول ما يبدو امامنا في هذا المقام هو مقدار المسافة المهمة التي قطعها ـ كما تقدم ـ التطور المادي والانساني بالبلاد العربية ، مع ما لذلك من انعكاسات مهمة على وضعية الكتلة العربية في العالم ومكانتها في مشتبك الحياة الدولية الراهنة فتطور الفكر السياسي داخل كثير من البلدان العربية وما بعثه هذا التطور من عوامل الحيوية والتجديد والتنظيم سواء في علاقات الافراد بعضهم ببعض (التطور الاجتماعي) او في علاقة الدولة بالافراد (التنظيم الاقتصادي) او في الصلات بين الدول العربية بعضها ببعض (الاجهزة الجماعية القائمة كالجامعة العربية مثلا) كل ذلك ، كان له جانب من التاثير الملحوظ في تكوين المركز الجديد الذي يحتله العرب في عالم اليوم ، والدور الذي اخذوا يؤدونه في مجال الحياة الدولية الواسعة ، وقد كانت حرب فلسطين (1948) نقطة تحول مهمة في هذا المجال ، اذ انه من الممكن ـ على اي حال ـ ان تعتبر فارقا تاريخيا كبير الشان بين ما سبقها وما تلاها من تحولات اساسية في حياة العرب الدولية وعلاقتهم ببقية انحاء العالم وعند ما يذهب المرء الى تعليل الظاهرة الانبعاثية العربية الواقعة في اعقاب ما يدعى ب « النكبة » فانه يجد ان هناك كثيرا من الاسباب ، التي يمكن ان تحمل على القول ، بان هذه « النكبة » كانت دافعا قويا حرك العرب شيئا ما الى الامام ، سواء في مضمار تقييمهم لانفسهم

او في موضوع ارتباطهم بالقوى السياسية والفكرية العالمية ، الا انه ليس من اللازم ان يكون وجود « النكبة » هذه العامل الوحيد في الامر من اساسه فالتحول العالمي الاوسع ، الذي اعقب نهاية الحرب العالمية الاخيرة – بكل ما يتداخل في نطاقه من مؤثرات فكرية ومادية متعددة ، كان له – بالطبع – اثره البعيد في الانطلاقة العربية الراهنة ، وان كانت « نكبة » 1948 قد ادت الى مضاعفة سرعة هذه الانطلاقة وتعزيز امكانياتها الناشئة عن عوامل القلق والضياع والخشية من المستقبل ، والشعور بالضعة والوهن وسوء الحال ، وغير ذلك مما كان لازما ان يحدث بعد الهزيمة المنكرة التي حاقت بالوجود العربي في فلسطين .

وعلى كل ، فقد امكن للعالم العربي في خلال سنوات ما « بعد النكبة » ان يعدل كثيرا من آثار هذه « النكبة » وخطرها على وجوده ومصيره ، فارتفعت عن العرب عقدة الاحتماء بالدول الكبرى سواء منها الرأسمالية او غير الرأسمالية ، واستطاعوا ان يثبتوا وجودهم الفرد المتميز داخل نطاق العالم الثالث ، وعلى الصعيد الدولي العام وتوجد الدول العربية اليوم في مركز اسيوي وافريقي تتضاعف اهميته بصورة مطردة ، ولا تعود هذه الاهمية الى مجرد نجاح الاقطار العربية في تحقيق استقلالها السياسي الواحدة تلو الاخرى ، وانفصال العالم العربي هكذا في اكثريته عن التبعية المباشرة للاستعمار والانظمة الامبريالية التقليدية ليست هذه نقطة هامة في موضوعنا الذي نحاول ان تستبين منه امكانيات العرب في الحصول على مركز طلائعي رائد في العالم المتطور اليوم اذ ان مجرد الحصول على الاستقلال لم يعد يمثل في الوضع العالمي المتجدد اية اهمية جديرة بالاعتبار ما لم يصحبه نزوع فعال ومجد للتفتح على العالم والتفاعل مع بقية شعوبه ، ومحاولة الاسهام الايجابي في حركة هذه الشعوب المتطلعة الى تنظيم عالمي افضل ليس فيه للتخلف والامبريالية مكان او سبيل ، واذا ما حاولنا – انطلاقا من هذا المفهوم البسيط – تقييم المكانة العربية في العالم الافريقي والاسيوي وفي بقية انحاء العالم فاننا سنجد ان العالم العربي قد انجز – بهذا الشان – خطوات لا باس بها وبما يمكن ان تؤدي اليه من نتائج ذات ابعاد عربية وعالمية سواء في الامد القريب او البعيد ويجب ان نتذكر بالطبع انه لا ينبغي السير بعيدا في تملق انفسنا بمثل هذا الكلام والمغالاة في تقدير المكاسب الدولية التي حصلت عليها مجموعتنا العربية بوجه او بآخر ، الحقيقة ان هذه المكاسب هي ذات قيمة نسبية لا غير وتترك من خلالها كثيرا من عوامل النقص بل والتردي الذي لا يزال العرب يعانون منه في سباقهم مع الصهيونية والامبريالية من جانب وفي تصارعهم مع امراضهم النفسية وانعكاساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جانب آخر ، لكن مع اجتناب المغالاة – هكذا – في تقييم المركز السياسي الدولي الذي تحتله المجموعة العربية فان من اليسير – على اي حال – ملاحظة بعض الجوانب المهمة في علاقة العرب بالعالم وتطور هذه العلاقة واخصابها بشكل اصبح يعطي للعالم العربي امكانيات دولية لها قيمتها التي لا تنكر ، ولا نقصد بهذا مجرد حالات النجاح السياسي والديبلوماسي التي حققها بلد عربي او آخر ، او البلاد العربية مجتمعة ، وذلك عن طريق التعاون مع الدول الافريقية والاسيوية ، والانخراط معها في منظمات دولية معينة والاجتماع بها في مؤتمرات ولقاءات دولية متعددة او كما يظهر هذا النجاح ايضا في استفادة العالم العربي من وضعه الحيادي بين الشرق والغرب وتوفقه في تكوين علاقات مجدية ومتينة مع اقطار « الاطلسي » من جهة وبلدان حلف فارسوفيا من جهة اخرى وكثير من الجهات الدولية الاخرى المترددة بين هؤلاء واولئك وانما الذي نقصد بذلك اهمية الفكرة العربية والمبادرة الفكرية العربية في مثل هذه المجالات ذلك ان الفكر السياسي العربي الذي كان منشغلا – طيلة العقود الخمسة الماضية من هذا القرن – بمناوأة النظام الاستعماري التقليدي والبحث عن السبل والوسائل والتجارب المختلفة التي يمكن ان تساعد على التخلص من حالة التبعية وتحقيق وضعية ذاتية مستقلة بالمعنى القومي العادي – هذا الفكر قد وجد نفسه – بعد ان اصبحت الاستقلالات العربية حقيقة مبدئية قائمة وجها لوجه امام الحقائق والقضايا الدولية الناشئة عن حالة الاستقلال هذه وعما يخلقه التمتع بمعطيات السيادة من احتكاكات مباشرة بين الدولة صاحبة السيادة وبين مختلف القوى والتيارات الموجودة هنا وهناك في شتى ارجاء العالم ، وهكذا فان الاهمية التي يمكن ان ننسبها للاستقلالات العربية الحديثة لا تعود – كما تقدم – الى مجرد وجود هذه الاستقلالات بمعناها البسيط المجرد وانما الامر المهم في ذلك ، هو ما اذا كانت هذه الاستقلالات قد ادت الى خلق احوال ايجابية جديدة في العالم الدولي واسهمت بنصيب او بآخر في بعث التطور الانساني الجديد الذي يعرفه عالم ما بعد الحرب ام انها تشكل حالة معاكسة لذلك اما نسبيا او كليا ؟ لكن ثمت – بهذا الشان – امرا جديرا بالاعتبار ، وهو انه لكي تؤدي الاستقلالات الحديثة دورا من هذا القبيل لا بد ان يكون هناك – من جانب الاقطار المستقلة حديثا – استعداد صحيح لمواجهة الحقائق العلمية المستجدة وقدرة على التمييز بين شتى الاختيارات المعروضة عليها في ميادين الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيره ، ثم تكوين موقف صحيح واصيل من هذه الاختيارات وانتهاج سبلها انتهاجا واعيا وغير متهافت ، فحالة الاستقلال فيما قبل الحرب العالمية الثانية تختلف من حيث التبعات التي تفرضها والمشاكل التي تخلقها عن حالة الاستقلال فيما بعد الحرب اذ ان الاستقلالات الراهنة قد غدت تفرض اختيارات صعبة وملحة في شتى الميادين اوسع مدى واحفل بالمتناقضات مما كان عليه الامر في عالم ما قبل الحرب وعلى الدول الفتية التي تنال الاستقلال بطريقة او باخرى ان تواجه هذه الاختيارات وما يلتصق بها من التزامات

مادية وفكرية والا كانت حالة الاستقلال مجرد حالة مظهرية ليس لها من محتوى يعول عليه كثيرا وحتى اذا كان لهـا من محتوى فانه لا بد ان يكون في هذه الحالة عبارة عن حقيقة محلية قائمة ، ليس لها طاقة للتفاعل مع بقية العالم ، والارتباط بقضايا التطور الانساني العالمي ، ارتباطا مصيريا كاملا .

★ ★ ★

ما هو الامر بهذا الشأن بالنسبة للعالم العربي ؟ اذا ما نظرنا ـ على هذا النحو ـ في حالات استقلال الدول العربيـة فاننا سنجد امامنا ـ باعتبار هـذا الموضـوع ـ مجموعتيـن اساسيتيـن :

1) مجموعة الدول التي تمكنت من احراز استقلالهـا الجزئي او الكلي فيما قبل الحرب وذلك كمصر والعراق مثلا ، ويضاف اليهما بعض البلدان العربيـة التي بقيت مستقلـة على صورة من الصور (اليمن مثلا) او استقلت مباشرة عقب انفصالها عن كيان الامبراطورية العثمانية في اعقاب الحرب العالميـة (الحجاز مثلا) اما المجموعة الاخـرى ، فهي مجموعـة الدول العربية التي لم ترق الى مرتبة السيادة الدوليـة الا في خـلال السنوات العشرين الماضية وهذه المجموعة الاخيـرة ابتـداء من اولها استقلالا (الشام) الى احدثها استقلالا (الجزائر) تشكل اغلبية اعضاء الاسرة الدولية العربية من حيث العدد ، لكنه بالرغم من هذا الاختلاف في التوقيت الزمني لاستقلال الاقطار العربية فان هذه الاقطار لم تسر فعـلا في سبيـل مواجهـة الاختيارات العالمية الواسعة ولم تسلك منهجها الخاص المتميز في موضوع هذه الاختيارات ، وما يفرضه ذلك من التزامات وتحملات على الصعيد الفكري والمادي ـ لم تسر مختلف البلاد العربية في هذا الخط الحيوي الا في خلال السنوات التي اعقبت الحـرب وعلى الاخص ـ كما تقدم ـ منذ ان تمت « النكبـة » الفلسطينيـة ، والعلة في ذلك بسيطة واضحة ، فالعالم ـ قبل الحرب ـ كانت تسوده اختيارات مسبقة ومحدودة جدا وفي كثير من الحالات تفرض هذه الاختيارت على عدد من الاقطار الصغيرة ما كـان منها مستقلا او غير مستقل والاختيارات هذه هي التـي كانـت تتبناها الدول الامبرياليـة التقليديـة على اساس ابقاء زمـام المبادرة في ايديها وافراغ الاستقلالات الصغيرة الموجـودة من كل محتوى يمكن ان تكون له فاعلية دولية حقيقية وواضح ان الشعوب العربية المستقلة حينئذ لم يكن لها لتشذ عن القاعدة كما كان الامر كذلك بالنسبة مثلا للاستقلال الصيني والحبشي وغيرهما من الاستقلالات الافريقية والاسيوية الموجودة قبل الحرب اما فيما بعد ذلك فقد اصبح باب الاختيار واسعا امام الدول الصغيرة بما فيها الدول العربية والسبب في ذلك واضح ايضا ومعروف وهو ان الظروف السكيولوجية والسياسية والاقتصادية التي انبثقت عنها الوضعية العالمية الجديدة لم تعد تتلاءم مع عهود الوصاية والاشراف العالمي الذي كان فيه للدول الغربيـة الكبـرى الحظ الاوفر ، ومما لا ريب فيه ان انفتاح افاق عالمية من هذا النوع ـ وان كان في صالح الدول الصغرى ـ الا انه لم يكن كله مجرد حظ سعيد تهيأت فرصه لها بصورة معجزية فقد وضع ذلـك على كاهلها مسؤولية الاختيار ومسؤولية التصرف الارادي المتحرر ومسؤولية النجاح في هذا الاختيار والتصرف بالوجـه الـذي يضمن للتوازن العالمي الجديد ـ القائم على اساس ظهور القوى الاسيوية والافريقية في الميدان ـ يضمن لهذا التوازن معقوليته وفاعليته واستمراره .

ولكي ندرك اهمية القضايا من هذا القبيل التي اصبح من اللازم مجابهتها على وتيرة او اخرى لا باس ان نستعرض امامنا بعض الاختيارات الدولية الكبرى التي واجهتها الدول العربية وغيرها غداة ان احرز واحد منها او الآخر على مرتبة السيادة وحرية التصرف الدولي :

1) الاختيار بين الانحياز وعدم الانحياز وصلة ذلك بمصالح الدولة المعنية بهذا الاختيار ومسه او عدم مسه بسلامتها الذاتية وعلاقاتها الاقليمية والعالمية والممكنات التي تتوافر لها في ميادين الاقتصاد والتجارة وغيرها .

2) الاختيار بين العزلة من جهة او التعاون الدولي من جهة ثانية على اعتبار ان العزلة هي تجربة دولية معمول بهـا ولها دواعيها ومبرراتها ومناهجها الفكرية والعملية وايضا على اعتبار ان التعاون من جهتـه يعتبر تجربـة ممارسة من اكثـر التجارب الدولية شيوعا في عالم اليوم .

3) الاختيار بين مبدا المدافعة عن المصالح القومية بوسيلة الاستعداد الحربي واستعمال العنف بشتى اشكاله او الاعتماد في ذلك ـ بالعكس ـ على العمل المسالم كالاتجاه مثلا الى سبيـل الاقناع المباشر ، والاستنجاد بالرأي العام الدولي واستغـلال مرور الزمن وتبدل الاحوال الى غير ذلك .

4) الاختيار بين سبيل العمل في واجهة دولية مفردة كما تؤثر ذلك بعض الدول التي تفضل العمل في دائرة الامم المتحدة فقط وبين امكانية العمل في واجهات دولية متعددة اي ـ بشكل متوافق ـ داخل نطاق الفكرة الاممية (الامم المتحدة) والقارية (الوحدة الافريقية مثلا ، وحدة نصف الكرة الغربي) والحضارية (الرابطة الافريقية الاسيوية مثلا) والقومية (الوحدة العربية مثلا) الى غير ذلك من واجهات العمل الدولي ومجالاته .

★ ★ ★

لم نستعرض في الفقرة السابقة كل موضوعات الاختيـار التي ما فتئت تواجه الدول ، والدول الصغرى في عالم ما بعد

الحرب ، وانما عرضنا — مراعاة لتوازن الموضوع وتناسقه — الى نماذج معينة من مواطن الاختيار هذه ، يندرج في ضمن كل منها كثير من القضايا والمشاكل التي يتوقف على حلها امكانية النجاح او عدم النجاح في المنهاج الذي تختاره الدول الصغرى من هذا القبيل واذا نسبنا اهمية هذه الاختيارات الى عالم ما بعد الحرب ، فليس ذلك لان الدول المستقلة قبل الحرب لم تكن تختار وان كانت الدول الصغرى كانت تقع في اختيارها تحت وطأة الدول الكبيرة انما المهم الان ان هناك عوامل جديدة بهذا الشأن برزت في الميدان خلال السنوات الماضية ومن اهمها :

1) ظهور الدول الفتية على المسرح الدولي كقوى عاملة ومؤثرة

2) ازدياد التشابك — بسبب ذلك — في مضمار المصالح الدولية من جهة والعلائق الدولية من وجهة اخرى .

3) استفحال امر الاخطار والمزالق الدولية نتيجة لتكاثر المذاهب والتيارات المتناقضة ، وبروز القوى النووية في الميدان وتطور وسائل القذف الحربي وادواته كالصواريخ والاقمار ، وكل هذا مما يشعب امر الاختيار عند الدول الصغيرة خاصة ويفرض قدرا غير محدود من التبصر والحذر في هذا الميدان ، ولكن لم كل هذا التبصر والتريث وما الصلة بين عوامل الخطر الدولي التي اشرنا الى بعضها آنفا ، ومناحي الاختيار الدولي التي استعرضنا بعضا منها في الفقرة السابقة ؟ لقد ذكرنا من قبل — وهذا هو السبب — ان وجهات الاختيار الدولي في ظل الظروف العالمية الجديدة الناشئة عن نهاية الحرب — قد اصبحت تنطوي على كثير من المشاكل وتفرض عددا من القضايا يتوقف على حلها النجاح في هذا الاختيار او الآخر او الاخفاق في ذلك ، فالعزلة مثلا تجربة تمارسها بعض الدول على صور ونسب مختلفة ، ومثل هذه الدول ، ترى ان حالة الانعزال التي يمن يبتغي الانكباب على مشاكله الخاصة واجتناب التورط في القضايا العالمية التي لا تمس الواقع الوطني في شيء ، اما التعاون فهو القاعدة العادية في مضمار العلاقات الدولية وما عداه يعتبر شذوذا او شبه شذوذ ولكن الى جانب ما له من محاسن فانه يضع ايضا جملة من الاعباء والتحملات تبدو شديدة الوطأة في بعض الاحيان فالتعاون مثلا بين الامبرياليين يقتضي التكتل ضد القوات الفتية في العالم بما يحمله ذلك من خطر على مصالح الدولة المتكتلة ، سيما اذا كان الامر لا يعنيها مباشرة (مثال : الدول التي تجد نفسها ملزمة بمظاهرة البرتغالية في افريقيا) اما التعاون بين الدول الناشئة ، وحديثة العهد بالاستقلال فانه يلزم هذه الدول ايضا بواجبات شتى تجاه الشعوب التي لا تزال تجد في الحصول على مقاليد السيادة ، وكذلك تجاه الاقطار الصغيرة المعتدى عليها مباشرة او التي تعاني من نتائج المناورات الدولية المتشرة ، وتواجه لذلك نوعا من العدوان غير المباشر ، والتعاون يفرض — في عدد من الحالات — بذل المعونات المادية والمعنوية لمن يحتاجها من الدول المتعاون معها ، وقد يؤدي ذلك الى احداث مشاكل على الصعيد الداخلي للدولة التي تقدم على هذا النوع من التعاون ، وتبذل قدرا من المساعدات الدولية المختلفة، ولذلك فان الاختيار بين العزلة والتعاون يفرض من تلقاء نفسه ، قضايا ذات اهمية على الصعيد الفكري والعملي ، ويلزم المدعوين للاختيار في هذا الموضوع بالنظر مثلا في حدود العزلة وخصائصها وعواقبها ، اذ ان العزلة هي مجرد حالة نسبية ولا يمكن ان تكون مطلقة تماما ، او ما هي حدود التعاون ونسبته ومدى ممارسته ان كان هناك اتجاه نحو التعاون ، ويمكننا كذلك ان نتبين عددا من المشاكل في موضوع الاختيار بين مبدا المدافعة عن المصالح القومية بوسيلة الاستعداد الحربي ، او الاعتماد في ذلك على مبدا العمل المسالم فقط ، اذ ان لكل اختيار من هذين الاختيارين مبرراته واوجه العمل به زيادة على بعض المفارقات التي تبدو في هذا المقام والتي تمس الدول الصغرى في الدرجة الاولى دون غيرها ، ومن بين هذه المفارقات ان الدول الصغرى هذه ، وخاصة من يعتبر منها متخلفا او في حكم المتخلف ، توجد متعرضة لامكانية الاعتداء عليها اكثر من اية منطقة اخرى في العالم ، ولهذا فمن الممكن بل من الاساسي بالنسبة اليها ان تكون احرص على لوازم التسلح والتحفز بما في ذلك الاسلحة العصرية المتطورة الا ان هذه الدول الصغرى بالذات — تجد نفسها — من جهة اخرى — آخذة بفكرة القضاء على التسلح ونزع السلاح النووي ثم نزع السلاح العام عند الاقتضاء بل انها تتزعم الحملة العالمية من اجل هذه القضية (قضية القضاء على التسلح) وذلك شيء طبيعي لانه زيادة على اهمية الامر من الناحية المبدئية — العقائدية — فان له كذلك جانبه المصلحي البارز على اعتبار ان ما تسببه للدول الصغرى والمتخلفة حالة السباق نحو التسلح هو اخطر بكثير مما يسببه لغيرها وذلك سواء من حيث العواقب السياسية والاجتماعية او بالنظر للمضاعفات المالية والجهود التنظيمية التي هي لازمة في ذلك (والهند في حيرتها بين التوجه كلية لتحقيق مشاريع التنمية ومعالجة مشاكل التطخم الديموغرافي وبين حالة اضطرارها لمجابهة الاوضاع العسكرية السيئة على حدودها من جهة الصين والباكستان ، وذلك بكل ما يقتضيه الامر من زيادة التسلح بل وامكانية اتخاذ سياسة ذرية عسكرية كما تدعو اليه بعض الجهات الهندية غير الحكومية ، ان الهند في حيرتها هذه — التي يقدر لها ان تزداد بسبب الاحوال المتناقضة في مجموع منطقة جنوب شرقي آسيا — تبدو كمثال له اهميته في هذا المقام) ومن شأن هذا كله ان يؤكد ان الاختيار في مثل هذه المسائل الدولية المعقدة ثم تطبيق المقتضيات التي يفرضها الاختيار وتلافي العواقب والاحتمالات الناشئة عنه واستغلال اقصى ما يمكن ان يكون فيه من المزايا والمنافع ، كل ذلك ليس امرا هينا ، وليس النجاح فيه لازما في كل الحالات وبصورة آلية .

هل يمكن للمرء ـ بناء على جملة الاعتبارات السابقة ـ ان يذهب مطمئنا الى القول ، بان العالم العربي قد نجح فعلا في تكوين اختياراته الدولية الرئيسية ، وان هذه الاختيارات من شأنها ان تمكن العرب او هي مكنتهم عمليا من بناء مركز دولي قوي ، ومأمون المصير ؟ من الناحية المنهجية يجب ـ قبل كل شيء ـ مراعاة الاحترازات الآتية :

1) اننا سنلحظ ـ ولا نقول ندرس ـ التجربة الدولية للعرب ، في بعدها العربي العام الذي لا يخص قطرا بعينه ، وذلك لان القيمة الاساسية للعمل الدولي العربي لا تظهر اهميتها النسبية الا على المستوى الجماعي العربي .

2) اننا سوف لا نركز اعتباراتنا فقط ، حول النجاح الذي يمكن ان العرب قد اصابوه فيما يتعلق بمصالحهم الدولية الخاصة على وجه او آخر ، وانما الذي سيعنينا اكثر ، هو مدى ما ساهم به العرب في ميدان المصلحة العامة لمجموع الشعوب المتخلفة ، وفي مجال التطور الايجابي البناء الذي يجب ان يعرفه العالم الحديث سواء على الصعيد السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي او غيره .

واذا ما قسنا امر الاختيارات والاعمال الدولية العربية على هذا الاساس ، فاننا سنلحظ ـ على ضوء الوقائع والاتجاهات العامة التي عرفها العالم خلال العقدين الاخيرين ، ان المبادرة العربية قد كان لها بالفعل اثر مهم فيما آل اليه امر الاختيارات المهمة التي يتبناها العالم الثالث الان سواء في موضوع الحياد او في قضايا التعاون الدولي ، او في غير هذا ، وذلك من اختيارات والتزامات تتسم في حالات عدة بكثير من الدقة والتعقيد ، والمهم في ذلك على وجه التحديد ان المبادرة العربية في هذه الميادين ـ وان كانت تنطوي ـ في كثير من الصور ـ على انواع من التناقض المبدئي والسلوكي تفرضه حتميات سياسية لا مفر منها الا ان هذه المبادرة ما فتئت تحتفظ مع ذلك ـ بقدر من المرونة وبدرجة من التوفيق النسبي ، الذي يظهر واضحا ـ كما تقدم ـ عند تقييمنا لمجموع السياسة العربية وان كان لا يظهر بنفس الوضوح وبنفس القوة ، اذا ما حللنا السياسة العربية الى اجزائها الاولى واعتبرنا سياسة كل قطر عربي على حدة وفي نطاق هذا الاعتبار يبدو من المناسب ان نلقي نظرة سريعة على مجمل الخريطة السياسية في العالم الحاضر لنرى مدلولات النشاط العربي وعموم الموقف العربي من هذه الخريطة التي يعتريها التغيير باستمرار ، فالعالم الآن ثلاثة عوالم : العالم الغربي ، والعالم الشيوعي ، وعالم الحياد والتخلف ، اي العالم الافريقي والاسيوي او العالم الثالث ، واذا ما حاولنا ان نتبين احوال العرب الدولية ضمن هذه العوالم ، فاننا سننتهي ـ على ما يبدو ـ وبعد دراسة مجمل الاوضاع القائمة في العالم ، الى ما يلي :

1) العالم الرأسمالي : موقف العرب منه ، من الناحية السلبية يلاحظ الاسهام العربي في الحركة العالمية من اجل التخلص من بقايا الاستعمار التقليدي ، وتتبع مواطن نشاطات الاستعمار الجديد ، ومن الناحية الايجابية : يلاحظ التطور المهم في العلاقات الاقتصادية والفكرية بين العرب ، ومختلف اقطار الغرب الاوربي والامريكي .

2) العالم الشيوعي : من الناحية السلبية : يلاحظ مقدار الصمود الذي اظهرته الروح العربية والمذهبية العربية امام الاغراء الايديولوجي الماركسي ، ومن الناحية الايجابية : يلاحظ ثمرات التعاون الاقتصادي والحضاري وحتى السياسي بين العرب والكتلة الشرقية الشيوعية .

3) العالم الثالث : من الناحية السلبية : يتأثر العرب ـ بصفتهم شعوبا متخلفة ـ بكثير من الاحوال السلبية وحتى التقهقرية التي يعاني منها العالم الثالث سواء في مضمار التعاون الاقتصادي بين الدول النامية او غير ذلك ، فلحد الآن لم تستطع الاقطار العربية فيما بينها او مع غيرها من شعوب العالم الثالث لم تستطع ان تسير في طريق تحقيق تنمية متناسقة ومتكافلة تستوعب المشاكل الكبيرة التي تتميز بها حياة الدول النامية ، وتضمن لهذه الدول ظروف عمل منظم ، وبعيد المدى من هذا القبيل ، لكن الشعوب العربية مع ذلك ، قد استطاعت ان تحتفظ بقدر من المرونة امام بعض المشاكل السياسية التي تهز اوصال القارة الاسيوية بصورة اخص والتي تتصل بتيارات الصراع بين الشرق والغرب اكثر مما تتصل بالقضايا الاسيوية الخاصة ـ هذا من الناحية السلبية في علاقة العرب باقطار العالم الثالث اما من الناحية الايجابية فقد استطاعت الحركة العربية الحديثة ان تحقق قدرا كبيرا من الالتحام بينها وبين حركة الانبعاث والتحرر في مختلف افاق العالم الثالث ، ويوجد العالم العربي اليوم لا مجرد قوة عادية من القوى العاملة في نطاق هذه الحركة بل كمركز اساسي من المراكز المحركة والدافعة لها الى الامام ، وقد يطول بنا القول فيما لو حاولنا ـ في هذا الحديث المحدود ـ ان نضع تاريخا مفصلا لمجموع المساهمات الرائدة التي شاركت بها العالم العربي في حركة الانبعاث والتحرر والتطور التي يعرفها الآن العالم الثالث ، الا اننا سنجتزيء ببعض اللمحات غير التاريخية ، اي اننا سوف لا نستعرض الاحداث استعراضا ، وانما سنلقي نظرات مستعجلة على بعض القضايا الرئيسية التي تشغل العالم الثالث ، والتي يمكن القول ان العالم العربي يقوم فيها بدور رائد ، لا تنكر اهميته ، ومن هذه القضايا :

1) اللاعنصرية ، ومشكلة العنصرية من اهم المعضلات التي واجهها العالم منذ القديم وخصوصا بعد ان اتخذت تنظيما فكريا على يد « كوبينو » وغيره ، وبمقدار ما هو قديم وجود المشكلة بمقدار ما هو قديم كذلك كفاح الشعوب الملونة ضدها ،

وقد اتخذ هذا الكفاح اشكالا ذات قيمة عملية في العصر الحاضر ، والعرب يوجدون من بين القوى المهمة العاملة في هذا الميدان ، ويعتبر العالم العربي اليوم من بين المناطق العالمية الاكثر نشاطا ضد السلالية ، والميز السلالي في العالم ، وخاصة في القارة الافريقية ، وتكاد الديبلوماسية العربية اليوم تجعل من قضية العنصرية في جنوب افريقيا وغيرها موضوعا رئيسيا لنشاطها يطغى احيانا على اهتمامها حتى بالمشكلة الاسرائيلية ، وقد قطع الكفاح ضد السلالية اشواطا بعيدة في الميدان الدولي وقد جنى العرب من اسهامهم في هذا الكفاح سمعة لا بأس بها ، وامكنهم ــ الى ذلك ــ ان يمارسوا تجارب نضالية مهمة الا انهم مع هذا النجاح العام ما زالوا محققين في اقناع الملأ الدولي بعنصرية اسرائيل ، وبان الكيان الاسرائيلي يقوم على قاعدة سلالية رجعية ، يعتبر احتذاؤها ــ فيما لو اصبحت مثالا يعمل بمقتضاه ــ رجوعا القهقرى مدى قرون عديدة .

2) الحياد : لاسبيل للادعاء بان العرب هم الذين خلقوا وضعية الحياد بمفهومه الايجابي الحالي ، غير ان هناك امكانية واسعة للقول بان المبادرة العربية في هذا الموضوع كانت قوية وفعالة وذات اثر بعيد الغور فقد كانوا ــ اثناء العقد الاخير ــ من اوائل الدعاة الى الفكرة ثم اتخذوا في نطاقها ــ خطوات مهمة تحدد كيانهم الدولي نفسه ، وساهموا عبر مؤتمرات « باندونغ ، وبريوني ، وبلغراد ، والقاهرة الاخير» ساهموا عبر هذه المؤتمرات في بلورة المفهوم الحيادي وتطبيق مقتضياته وتعيين مكان له ذي اهمية خاصة في مضمار التيارات السياسية في عالم اليوم .

3) التعاون الدولي : لقد طرأت تغيرات مهمة على مفهوم التعاون ونتائجه ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

ا ــ كان التعاون بمفهومه الحقيقي لا يكاد يتحقق في كثير من الاحيان الا في نطاق العلائق بين الدول الكبرى ، اما الدول الصغيرة فقد كان التعاون معها يقتضي التدخل في شأنها ومراقبة تخطيطاتها وسياستها الاقتصادية وغيرها وربما الاشراف على ميزانيتها في بعض الاحيان وان كان ذلك بصورة غير مباشرة اما التطورات التي حدثت فقد تناولت مفهوم التعاون بين الدول الصغيرة والكبيرة وحددت له اوضاعا ومقتضيات تتناسب مع مستوى التوازن الدولي الجديد ولكي لا نطيل نتجاوز عن الحوادث لنخلص الى النتائج الحاصلة واهم هذه النتائج تظهر في المفاهيم والحقائق الجديدة المتعلقة بالتعاون الدولي في الوقت الحاضر ، ويجب الاعتراف بان التعاون بين الدول الكبيرة والدول الصغرى لا يزال يقوم في غالب الاحيان على الاعانات الفنية وغيرها التي يقدمها جانب واحد الى الآخر اي الدول الكبرى الى البلدان النامية ، اما التطور الذي حصل فهو ان الدول الصغيرة قد فرضت اطارا مبدئيا لنظام الاعانة والاستعانة ، اصبح العمل يجري به على نطاق واسع ، وهذا الاطار المبدئي تتمثل بعض جوانبه في المقتضيات الآتية :

ا ــ الاعانة لا تقتضي التدخل . ب ــ الاعانة لا تستوجب وضع اي قيد او شرط سيما اذا كان يمس جانب السيادة . ج ــ الاعانة لا ينبغي ان تستغل لابتزاز الدولة المعانة ، وجني الارباح منها بشراهة . د ــ الاعانة لا يجب ان توجه لخدمة مصالح الدولة المعينة اكثر مما يجب ان تصرف لتحقيق اهداف التنمية للدولة المعانة . هـ ــ من الضروري دائما التفريق بين ايديولوجية الدولة المعينة وسياستها في تقديم الاعانة بحيث لا تدخل الاغراض المذهبية في موضوع تقديم الاعانة ، ولو بصورة غير مباشرة .

واذا كان التعاون الدولي قد اصبح يخضع في كثير من الحالات لمفاهيم من هذا النوع ، فان ذلك لم يتم بدون صراعات وتقلبات دولية عرفها العالم خلال العقدين الاخيرين ، والمهم في هذا الموضوع ان العرب كانوا من بين القوى الدولية الاساسية التي ساهمت في خلق وضعية من هذا القبيل وذلك ب :

ا ــ رفضهم الاحلاف مبدئيا (حلف الشرق الاوسط مثلا)
ب ــ رفضهم الخلط بين الاعانة والتحالف (سياسة القواعد مثلا)
ج ــ رفضهم الخلط بين الرغبة الشديدة في محاربة التخلف ، وبين امكانية اعتناق مذهبية خاصة في هذا المجال تبعد بهم عن واقعهم الماثل .

اما من الناحية الايجابية ، فهناك : ا ــ مشاركتهم العملية في حركة الوعي الاقتصادي والسياسي الذي اجتاح الشعوب الصغيرة عقب الحرب (يلاحظ النشاط العربي داخل الكتلة الافريقية الاسيوية القديمة ، ثم منظمة الوحدة الافريقية ثم التجمعات الاقتصادية للبلدان النامية) . ب ــ اسهامهم العملي في اقامة مبادىء للتعاون بين المتخلفين سواء في افريقيا وآسيا او في امريكا اللاتينية . ج ــ مساهمتهم القوية ــ بالتعاون مع مختلف الشعوب الصغيرة الاخرى ــ في تطوير سياسة الامم المتحدة وجعلها ــ اكثر من اي وقت مضى ــ اداة اعانة وتنمية وتطوير ، وتجريد الدول الكبرى من السيطرة المطلقة التي كانت في هذا الميدان .

* * *

لماذا امكن للعالم العربي ان يحقق هذا القدر الملحوظ من التقدم في المجال الدولي على الرغم مما لا يزال يعانيه العرب من ادواء نفسية واجتماعية وسياسية لا حد لها ، وعلى الرغم من تصادمهم في نفس الوقت مع الصهيونية والامبريالية والاممية البروليتارية ؟ قد يتحدث المتحدثون في هذا الميدان عما يمكن ان يعتبروه عبقرية عربية يتصورونها ويحددون مظاهرها على

هذا النحو او غيره ، والواقع ان العرب ككل الامم الاصيلة لهم عبقريتهم التي مكنتهم من المحافظة على ذاتيتهم الحضارية رغم العوامل والتيارات التاريخية المضادة لكن اعتماد العبقرية هكذا لتعليل الظاهرة الانبعاثية العربية من شأنه ان يقود الى استنتاجات عاطفية لا الى استنتاجات علمية صحيحة نوعا ما وقد نكون اقرب الى الروح العلمية اذا وضعنا في اعتبارنا – بصدد تقييم هذه الحالة – مجموع الظروف والحقائق والعوامل الطارئة التي اكتنفت العرب خلال عهود الانحطاط ، وفي فجر عصر النهضة الحالية وكان لها تأثير مباشر او غير مباشر في الامر ولذلك فان على المرء ان يضع في حسابه بهذا الصدد جملة الاعتبارات الآتية :

1) استمرار الشعور العربي في خلال قرون الانحطاط وسهولة اثارته غداة بزوغ فجر النهضة العربية الحديثة ، ومن ثم يلاحظ ان الوطنية العربية – متمثلة في مختلف الحركات الانبعاثية بالعالم العربي منذ اواخر القرن الماضي – هذه الوطنية تطور الشعور بها ، والعمل من اجلها في وقت مبكر جدا بالنسبة لكثير من الحركات الوطنية الاخرى التي عرفتها اقطار عديدة في افريقيا وآسيا وانتهت بهذه الاقطار الى الاستقلال بفضل الجو الدولي الجديد اصبح يعيشه العالم فيما بعد الحرب .

2) التجارب النضالية العربية كان ميدانها خصبا وواسعا طيلة العقود الستة الماضية ، فسعة العالم العربي ، وتعدد اقطاره ، وتنوع الاوضاع والقضايا في هذه الاقطار خلال وجودها تحت الحكم الاجنبي ، كل ذلك – بغض النظر عن مساوئه – كان له اثره مهم في توسيع نطاق التجربة النضالية العربية وبالتالي توسيع نطاق التجربة النضالية العربية وبالتالي توسيع افق الفكر النضالي عند العرب بما في ذلك حالة النضال من اجل المحافظة على الاستقلال الحاصل وتمتين ركائزه، والملاحظ بهذا الصدد ان النموذجين الاساسيين للاستعمار الحديث وهما النموذج الفرنسي والنموذج البريطاني (هذا الى نموذج ثانوي ولكنه فريد وهو النموذج الايطالي) هذه النماذج قد احتك بها العرب كلها وفي نفس الوقت فكان من ذلك ان اكسبهم خبرة وبصيرة وزودهم برصيد ضخم من المعرفة بالتكتيك السياسي المتبع في نطاق المؤامرات الدولية الكبرى وكل هذا كان من شأنه ان يفتح الاعين العربية كثيرا ويفيدها في ممارسة تجربة الاستقلال نفسه ، اكثر مما افادها في ممارسة الكفاح من اجل هذا الاستقلال .

3) الاقتناع التلقائي بالذاتية الحضارية الخاصة ، وعمق الانفعال التقليدي بالتراث الاسلامي وكل هذا كان له اثره كذلك في تحديد الموقف العربي من التيارات السياسية في العالم وحال دون ان يتأرجح العرب كثيرا بين هذه التيارات ويفقدوا معالم الطريق في خضمها على النحو الذي يلاحظ عند شعوب اخرى في العالم الثالث في آسيا وغيرها .

وبعد ، فهل تتناسب المكانة السياسية التي لا باس بها والتي يحتلها العرب في عالم اليوم ، مع مكانتهم الثقافية والفكرية المعاصرة ؟ وهذا يقودنا الى سؤال اكثر اهمية : هل للعرب مكانة ثقافية وفكرية حقيقة في عالم اليوم ؟ بل هل يوجد هناك ما هو جدير بان يعتبر ثقافة عربية قائمة المعالم وغنية بمصادرها ومواردها على النحو الذي يكفل للعرب بواسطتها نوعا من المكانة لا بأس بها في عالم الفكر المعاصر ؟

لا بد اولا من اجراء بعض التحديد : ان القصد هنا ليس واسعا بحيث يرمي الى تقييم النهضة الثقافية العامة في العالم العربي بما لها من مظاهر متعددة تشمل تقدم التعليم والصحافة وانتشار الوعي العلمي ، وتطور الحياة الجامعية ، والمختبرية وصلة ذلك بتطور الوجود الفكري والثقافي للمجتمع العربي الراهن ، وانما القصد فقط هو استعراض الظروف التي تحيط بتطور الفكر العربي المعاصر والنظر في بعض القضايا التي يكون بعضها مشكلة تحد من انطلاقة هذا الفكر ، وطموحه لاداء رسالة ما نحو الانسانية الجديدة كما تعيش في هذا الدور من حياة العالم فيما بعد الحرب ؟ .

ان هناك في هذا الباب جملة من الحقائق الاساسية نلم بها ويجب ان يكون لنا موقف ايجابي من المشاكل الناشئة عنها ، فهناك حقيقة فكر عربي حديث ، يعود بنشأته الى عصر النهضة العربية الحديثة ، خلال القرن الماضي وترجع مرحلة تطوره الراهن الى فترة ما بعد الحرب وهذا الفكر لا يمكن استكشاف آثاره ونتائجه فيما يصدر من انتاج مكتوب او مصور او مسموع فقط بل يتجلى اثره اكثر من ذلك فيما حمله من تأثيرات عقلية ووجدانية ساهمت في تكييف الحياة العربية خلال العقدين الاخيرين وذلك على نحو تقل اهميته او تكثر ولكن هل يعني ذلك ان الفكر العربي الراهن قد بلغ بالفعل درجة ما تخوله المستوى الذي يليق بكل ظاهرة فكرية مسؤولة لها تأثير حاسم على مجرى الحياة في النطاق العالمي الواسع ؟ لا يبدو ان هناك مفكرا عربيا جادا يدعي ذلك،واذا كانمن تأثير فكريفيمعركة التحول العربي الحديث ، فليس معنى ذلك ان المؤثرات الفكرية البحتة هي التي كان لها القول الفصل في ذلك فتأثير الادب العربي في التحولات العربية الحديثة كان تأثيرا محدودا ان لم يكن ضعيفا جدا في بعض الحالات ولهذا فالملاحظ ان هذه التحولات لا يصحبها بالضرورة وعي فكري عميق وشامل ولعل هذا من جملة العوامل التي تجعل النهضة العربية في حاجة الى الكثير لكي تصبح نهضة كاملة تستنفد الاهداف الانسانية الواسعة التي تتوخى منها مبدئيا وفي امكان الملاحظ ان يجد كثيرا من الظواهر التي تقوم – في نظره – كاسباب تعلل وجود حالة من هذا القبيل ومن بين هذه الظواهر :

ا – ضعف الصلة ، وبالتالي ضعف التفاعل بين المفكرين العرب وسواد الناس في مختلف انحاء العالم العربي ولا يعود

ذلك الى نسبة الامية السائدة فقط ، ولا الى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فحسب بل يرجع ايضا الى طبيعة العقلية غير الواقعية التي تسيطر على عدد من المشتغلين بقضايا الثقافة والفكر فتبقيهم اسارى نوع من اللفظية الجوفاء ، ولا تترك لهم الا مجالا ضيقا للتخلص من المركبات والعقد المتحدرة عن عصور الانحطاط ، وحتى عدد من المفكرين المتحررين فانهم لا يعدون ان يكونوا مجرد مرددين لاصداء النزعات الفكرية في الغرب ، ربما في بعض الاحيان بدون تبصر كاف يحول لهم قدرة على الالتقاء المجدي مع الواقع الحضاري والفكري عند المجتمع العربي الراهن والمساهمة في تقويم التيار ، تيار التحول الذي هو عشوائي في بعض الاحيان والذي يجتاح المجتمع العربي الراهن بخطط له سبيل مستقبله لامد غير قصير .

ب — ضعف حاسة النقد الموضوعي العلمي ، وافتقار الحياة الفكرية بسبب ذلك الى الاداة الاساسية الوحيدة التي تهذب جوها ، وتصقله وتغذيه وتفسح امامه الافاق ، والواقع ان الامر في ذلك ليس ناشئا فقط عن ضآلة الامكانيات النقدية عند النقاد ، بل يرجع كذلك الى تفاهة الخلق العلمي عند المنقود لهم لان الكثير منهم لا يومن ولا يريد ان يومن بضرورة النقد وجدواه في الحياة الفكرية ولذلك فان المحاولات النقدية لاتارهم تثير عندهم جملة انفعالات سلبية قد تؤدي الى نوع من الخصومة واللجاج لا يكاد يعرف لهما اول من آخر وقد ينتهي الامر بان يصبح ذلك وسيلة الى امتاع الفضوليين من القراء وهواة المفارقات والمواقف المتناقضة ولكنه لا يفيد الحياة الثقافية بالطبع على اي حال .

ج — هناك ايضا جانب آخر يتمثل في ضعف الحصيلة الثقافية عند عدد من المعنيين بشؤون الفكر والثقافة في العالم العربي الامر الذي لا يؤهلهم لاستيعاب مختلف المشاكل ومجمل الظواهر المحلية والعالمية ، التي تحيط بهم ، وبالمجتمع من حولهم ولذلك فان معالجاتهم تاتي — في بعض الاحيان — دون المستوى الذي يجب ان يرقى اليه فكر واع للاشياء متعمق فيها ، وليست المؤهلات الجامعية ذات ضرورة حتمية في هذا الشأن فكثير من الرواد في الغرب وغيره لم يكن لهم مؤهل جامعي اطلاقا لكنه سيبقى من الضروري دائما للمفكر توافر قدر ، من سعة المعرفة التي يؤججها الشك والقلق ومزيد التطلع للمجهول، هذا الى توافر عدد من المؤهلات الروحية والعقلية التي تمكنه من المساهمة في اخصاب العقلية العامة في مجتمعه ، واثراء الفكر الانساني بوجه عام .

د — واذا ما شدد المرء — هكذا — على موضوع التكوين الثقافي عند المفكر فان ذلك لا يقاس فقط بمقدار ما التهمه هذا المفكر من كتب وما احاط به من افكار الآخرين ونظرياتهم بل المهم مثل هذا او اكثر منه ، مقدار مالدى المفكر من خبرات مباشرة في الحياة وتجارب يمارسها بصدد اتصال حياته بحياة الناس وتقلبات احوالهم ، وذلك سواء في النطاق المحلي او على المستوى الانساني العام ، فالتجربة والخبرة عند المفكر لا تحدها حدود قومية وانما مجالها الانسان حيثما كان والحياة اني وجدت بل ما وراء الحياة كذلك حينما يكون في ذلك نفع للحياة ، وتأكيد للمعنى الايجابي الخير فيها ، ولهذا فبقدر ما تفرض مهنة الطب او الهندسة مثلا نسبة دقيقة من الاختصاص بقدر ما يضع الفكر المجرد على صاحبه مسؤولية استبطان مختلف اوجه الحياة والاحياء ، واستكشاف آفاقها وظواهرها الاكثر دقة وخفاء وابراز هذه الجوانب ابرازا يتيح الاستمتاع بما هو جدير بالاستمتاع ، وتقويم ما هو في حاجة الى تقويم فكل ذلك يتطلب من المفكر ان تتوافر له امكانيات عقلية شاسعة في نفس الوقت الذي تتهيأ له فيه درجة عالية من الاستعداد الخلقي والاستقامة الفكرية التي ترفعه عن مستوى التفكير العشوائي الساذج .

* * *

هناك الكثير من هذا القبيل مما يمكن ان يقال على هامش الحياة الفكرية الحديثة في العالم العربي ويتخذ احيانا كحجة يعتد بها في تعليل نواحي النقص الموضوعي والشكلي الذي لا يزال يقعد بالفكر العربي ، عن ان يصل الى المستوى المنشود له كفكر خصب وراق ومعطاء والواقع ان وجود هذه النقائص وغيرها لا يمكن ان يعد — باي حال — ظاهرة سوء وتعثر فالفكر العربي يعاني في بعض الصور حقا نقائص ليس له منها مناص ومن ابرزها : السطحية والابتذال والتقليد المتهافت من جهة ، والجمود الشائن من جهة اخرى هذا الى احوال من ضيق النظر والتعصب والتقوقع وضعف الميل الى الابتكار الحقيقي بكل مميزاته ونتائجه (وبالطبع فان هذه الاوصاف لا تنطبق على كل ما يصدر من ثمرات الفكر العربي ولكنها تنطبق على عدد كبير مما يصدر) غير ان هذه النقائص ليست لازمة من لوازم الذهنية العربية فوجودها يعكس فقط طبيعة مرحلة من مراحل التطور والمراحل آخذ بعضها برقاب بعض وبمقدار ما يستفاد من مرور المراحل وتعاقبها بقدر ما تتضاءل النقائص وتكثر المزايا الا ان المهم في هذا كله هو النظر فيما اذا كان تطور الفكر العربي يسير هكذا على نحو تتضاءل خلاله النقائص وتكثر المزايا ؟ يمكن للمرء ان ياخذ برأي في هذا الموضوع، اذا ما حصره في نطاق قطر عربي معين ، وذلك بعد فحص مجموعة الظواهر الادبية والفكرية في هذا القطر ، وتقييمها تقييما علميا شاملا اما وان الفكر العربي يستمد فعلا روافده من مختلف آفاق العالم العربي ، ويتشعب هكذا بتشعب البيئات الفكرية والسيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية التي نشأ فيها ، فذلك ما يجعل عملية التقييم هذه عملية معقدة جدا ولا

يتسع لها صدر نشرة دورية كهذه غير ان امامنا – مع ذلك – امكانية لتكوين بعض الملاحظات العامة حول الاوضاع الثقافية في الاقطار العربية وان كنا لا نطمع في الوصول من وراء ذلك الى تقص كامل للحقائق ومن هذه الملاحظات :

1) ان ظاهرة التطور الادبي في البلاد العربية ليست متوازنة مطلقا فهي من حيث الاهمية والاتجاه ، تختلف فيما بينها اختلافا بينا .

2) ان المؤثرات الاجنبية التي ينطعم منها البعث الادبي الحديث في البلدان العربية هذه المؤثرات ليست واحدة كما هو معلوم بل تختلف باختلاف المصادر الانجليزية والفرنسية وغيرها التي اتصل بها هذا القطر العربي او الآخر بحسب ظروف احتكاكاته الاولى بالثقافات الاوربية .

3) ان الادب العربي في المشرق والمغرب لا تكاد تتصل حلقاته الا بصورة ضئيلة ، فلا تواصل بين الادب المشرقي والمغربي ، الا من جهة واحدة اي من جهة اقطار المغرب العربي التي تعيش اوضاعا ادبية بسيطة ويخشى ان تؤدي مثل هذه الحالة الى استمرار عزلة ادب المغرب العربي وهذا ما لا يساعد على اعطاء الادب العربي الحديث الصبغة العربية الشاملة التي نتوخى له مبدئيا ، والواقع ان هذه الظواهر التي نسجلها هذه الملاحظات ليس لها ان تستمر طويلا ، بل ان بعضها قد بدا يتضاءل تاثيره ، فمثلا الحالة الناشئة عن اختلاف المصادر الاجنبية التي تأثر بها الفكر العربي الحديث – هذه الحالة لم تعد لها اهميتها السابقة بعد التطورات المهمة التي عرفتها الاقطار العربية في ميدان الوحدة الثقافية والفكرية وبعد ان اصبح الجو مهيا امام الفكر العربي الذي يفترض له ان يتخذ سبيله الى التطور الموحد ليحقق لقاءات مجدية مع الثقافات الجديدة في آسيا وافريقيا والافكار الغزيرة التي تنبثق هنا وهناك خارج نطاق اوربا الغربية وامريكا الشمالية .

ان الجو الفكري الجديد في العالم قد اصبح اكثر ملاءمة لتحرير الفكر العربي واخصابه بمختلف العناصر الحية المتجددة غير انه من اللازم مراقبة عملية الاخصاب هذه واجتناب الاحوال التي تكون فيها مثل هذه العملية تافهة المبدا والنتيجة اما الهدف المتوخى من كل ذلك فيجب ان يتركز دائما حول قضايا حيوية ومصيرية كتنسيق الثقافة العربية وتوحيدها وصقلها واعدادها لا لكي تبقى اداة استقبال واستيعاب فقط بل لتكون كذلك وسيلة تفتح وتقدم واعطاء ، اي ان تكون وافية بحاجيات الانسان العربي بصفته قوة مهمة من القوى التي ينتظر لها ان تلعب دورها في اتجاهات العالم ومصيره .

وامام المفكرين العرب مجال كبير للعمل هكذا من اجل زيادة تفتيح الفكر العربي واخصابه وتوفير مزيد من الظروف له ليحقق لقاءات ايجابية وغنية مع التيارات الفكرية الاخرى في العالم ، لكن ذلك لا يجب ان يصرفنا عن النظر بل ومعالجة المشاكل « الداخلية » في نطاق الثقافة العربية الحديثة وقد رأينا من قبل بعض المشاكل من هذا القبيل وهناك غيرها مما لم نتعرض اليه ومن ذلك :

1) المشكلة اللغوية التي تتجلى خاصة في ازدواجية اللغة والتباعد الذي لا يزال موجودا بين الفصحى – اداة الفكر العربي ووعاؤه – وبين الحياة اليومية ومصادر الثقافة الشعبية .

2) مشكلة الحالة المتمثلة في بعض الفوضوية التي ما انفكت تغزو قطاعات كثيرة من قطاعات الفكر العربي .. هذه الفوضوية التي هي ناشئة عن مغالاة البعض في فهم حدود التجديد من جهة وتحجر الاخرين في ادراكهم لحلول المحافظة ومداها من جهة اخرى .

3) المشكلة المتمثلة في استمرار طغيان روح الغيبية والسلبية على عدد من المفكرين والمنتجين ، وقد بلغت هذه الروح ذروتها في قرون الانحطاط الاخيرة ولا تزال لها آثار ماثلة الى اليوم تطبع كثيرا من مصادر الفكر العربي بطابع غيبي وتهربي بارز .

4) انتظار ان تستفحل القطيعة بين الاجيال الادبية القادمة وبين التراث الكلاسيكي العربي بحيث يمكن ان يصبح الانتاج ذا موحيات اوربية لا غير ، والتراث – رغم مساوئه – فانه الضمان الاساسي لوجود ادب عربي له اصالة وشخصية متميزة ومن غير شك فان تيار النهضة العربية الاخذ في القوة والتجدد لا بد ان يشمل بتأثيره مختلف هذه المشاكل والظواهر السلبية وقد كان الموضوع الذي دار حوله المؤتمر الاخير للادباء العرب هو : (دور الادب والفكر في بناء الوطن العربي) ومن المؤكد ان الشعور هكذا باهمية الدور الذي يؤديه الفكر في مضمار البناء يستتبعه بالطبع شعور مماثل بضرورة تنوير هذا الفكر نفسه وتخليصه من آخر بقايا عقد النقص والارتباك والسطحية والتهافت التي ما فتيء يرسف في قيودها طيلة قرون الانحطاط المديدة .

* * *

في كثير من المناسبات وبغير مناسبة ايضا يجد بعض الادباء العرب دافعا قويا يدعوهم الى التساؤل عن حظ الفكر العربي الحديث في مجال احراز الجوائز الدولية الكبرى ، وهل هو جدير فعلا بنيل مثل هذه الجوائز او انه يقصر عنها ؟ او ان هناك عوامل اخرى غير ادبية وغير معقولة تحرم الفكر العربي من التمتع بتقدير دولي من هذا القبيل .

انه ــ من غير تهوين لامر هذه الجوائز ، فان الــذي يبدو ان الاهتمام بها لا ينبغي ان يكون بهذه الدرجة الملحوظة فالاهتمام الزائد بهذه الجوائز يكاد يدل على وجود نزعـة صبيانية ان لم يقل بان مبدا الجائزة نفسه تكمن من ورائه نسبة من الصبيانية تقل او تكثر اما المقياس البديـل الذي يمكن ان نقيس به درجة ارتفاع او انخفاض القيمة العالمية للانتاج الفكري العربي هذا المقياس يمكن ان يكون من صنعنا نحن ولكن بشرط ان تزدهر في محيط الفكر العربي حركة النقد الصحيح وتقـوم بدورها فعالا وكاملا ، ان بامكاننا ــ في هذه الحالة ــ ان نرى انتاجنا العربي على حقيقته وبدون ملابسات عاطفية او عقد نفسية اما الاساس الذي نعتمد عليه في ذلك فهو النظر فيما اذا كان ما ننتجه يهم غيرنا من الاجانب ويحدث لديهم اثارات ايجابيـة عميقة ويفتح امامهم منافذ عقلية جديدة لا عهد لهم بها هذا الى ما يمكن ان يخلقه هذا الانتاج من امتـداد ذهنـي او تكييف وجداني وما ينشئه من تيارات فكرية وعقائدية يجد فيها هذا او ذاك تجاوبا مع روحه وعقله وذليلا له في مجـال ما من مجالات الحياة الواسعة وعلى فرض ان بعض الاثار المهمة في الانتـاج العربي الحديث ، يمكن ان تكون في مستوى من هذا القبيل او ما يقرب منه فان اللغة التي يصدر بها الانتاج وهي العربية توجد محدودة الانتشار في النطاق العالمـي بل مغمـورة في بعض الحالات ، على ان قضية اللغة ــ مع ذلك ــ ليست بذات اهميـة حيوية في الموضوع فالاثر الخالد يشق طريقه حتما نحو العالميـة فارضا وجوده ولـو كان في الاصل مكتوبـا باحدى اللهجـات المحلية غير ان هذا لا يمنعنا ــ بالرغم عن كل شيء ــ من تقدير الاهمية التي يمكن ان تكون للغة بهذا الشان ولو ان الامـر يتعلق باهمية نسبية لا غير ويتجلى هذا اذا قارنا سعة النطـاق الذي يجده كتاب يصدر بالانجليزية او الفرنسية مـع كتـاب مماثل ينشر بالعربية وتلك احدى العوامل التي تتيـح للكتاب الغربيين قدرا من السهولة في التعريف بآثارهم وافكارهـم وذلك بنسبة لا تتوافر للكاتب العربي ولو كان مجيدا قديرا .

* * *

لكن هل يعني هذا ان اللغة تقوم كحجاب سميـك بيـن الفكر العربي وبين ان يشق طريقه نحو مكانة عالمية على وجه ما ؟ وهل هو قدر محتوم اذن على الفكر العربي ان يبقى متقوقعا في اطار محلية ضيقة ، لا تتجاوز حدود الوطن العربي الا بقدر ضئيل جدا ، ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بذلـك على نحو جازم ، وذلك لسببين :

1) انه ليس لدينا ان ندعي ان ما ينتج هو ذو قيمـة مطلقة بحيث ان محدودية انتشاره ترجع الى محدودية اللغـة الصادر بها فقط ، بل انه ــ في اغلبية الحالات لا يزال الفكر في العالم العربي يتاثر في كثير من موحياته بالافكار والقوالب الاجنبية يجترها ويردد اصداءها وليس الاجانب بالطبـع على استعداد دائم للعناية بانتاج من هذا القبيل لا ياتيهم بجديـد مبتكر ولهذا فان باب العالمية ليس مغلقا امام الفكر العربـي بصورة مبدئية بل ان من الممكن جدا قرعه وفتحه بالتدريج كلما كان هناك تقدم فكري حقيقي وعميـق الجذور يبـدو الآن ان الفكر العربي قد اصبح يجتاز مراحله الاولى بصـورة يجوز ان تكون ناجحة .

2) ان العربية ليست مغمورة دائما على النحو الـذي يمكن تصوره مبدئيا فلها امكانيات مبدئية مهمـة في مختلـف ربوع آسيا وافريقيا وخاصة في المناطق الاسلاميـة من هاتيـن القارتين يضاف الى ذلك ان الصلات القوية التي اصبحت تربط بين العرب وبين مختلف الشعوب النامية ثم المساهمة القوية التي اصبح العرب يقومون بها في الشؤون الدولية والعالمية كل ذلك من شأنه ــ بكل تأكيد ــ ان يزيد من اهتمام الشعوب الاخرى بالشؤون العربية وينمي ــ بالتالي ــ قدرا متزايدا من العناية بالثقافة العربية واللغة العربية سيما اذا اصبحت هذه اللغة تعبر عن معطيات فكر ينزع بالتدريج الى التحلل من القيود الضيقـة التي ما فتئت تلفه منذ قرون ويعمل بنجاح على استيعاب مشاكل الانسانية في اطارها الواسع الخصب .

فثمت اذن ــ من الناحية المبدئية ــ امكانيات حقيقية امام الفكر العربي واللسـان العربي ليحقق كل منهما قدرا من الانتشار يقل او يكثر وسبيل المفكرين العرب الى ذلك هو سبيل العمل على تقريب لغتهم وانتاجهم من العالم في نفس الوقـت الـذي يجب ان يتعرض فيه هذا الفكر لعمليات اخصاب وتعميق وتوسيع ويتعرض هذا اللسان لمزيـد من عمليات الغربلـة والتسهيـل والتهذيب ، وهناك وسائل عمل بهذا الصدد ومن بينها :

1) التعريف بالفكر العربي عن طريق الترجمة الوافية او التلخيصية ، ولا يستطيـع الافـراد شيئا مهما بهذا الشـان وخصوصا من الناحية التنظيمية ولهذا فان على المنظمات والمراجع الثقافية العربية الكثير مما يمكن ان تقوم به في هذا الباب .

2) العمل على افتتاح آفاق دولية للتعريف باللسان العربي ونشره عبر العالم وذلك بالوسائل والطرق التي تعتمـد عادة في نشر اللغات الكبرى الحية كالانجليزية والالمانية مثلا ، وللاذاعات العربية والبعثات الثقافية في الخارج وغيرها مجال واسع للعمل بهذا الصدد .

3) ربط مزيد من اواصر الاتصال بين اوساط الفكر بالعالم العربـي والاوساط الثقافيـة والفكرية بالغرب وغيـره ومحاولة تبادل الخبرات والمعلومات بين هؤلاء واولئك ضمن سياسة ثقافية تستهدف نوعا من التحاقن والتفاعل يستفيد منـه الجميـــع .

وهناك امكانيات عالمية لها اهميتها بهذا الصدد وهي ناشئة في معظمها عن الجو العالمي الجديد الذي اصبح يعيشه العالم في خلال السنوات العشرين الاخيرة ومن الممكن اعتماد بعض هذه الامكانيات لتسهيل خطة اشعاع ثقافي عربي من حقنا ان ننشده كما تنشد الامم الحية الواعية ذلك ، ومن هذه الامكانيات :

1) ان هناك بالفعل تحولا عالميا واسع النطاق ناشيء في عمومه عن نهضة الشعوب الصغيرة والمحكومة سابقا ، ومن ملامح هذا التحول : الاتجاه القومي الى احياء الثقافات المنتسبة للحضارات الكلاسيكية وتقلص الفكرة السائدة من قبل في انحاء العالم المتخلف بان الثقافة الغربية هي قوام العقل الانساني الحديث ، والقاعدة التي يمكن ان يصدر عنها اي انطلاق عقلي اصيل (ومن يراجع محاضر التجمعات الثقافية في آسيا وافريقيا يمكنه ان يلمس ملامح اتجاهات من هذا القبيل) .

2) الظاهرة المهمة التي تعكس مقدار التطور في فكرة التعاون الثقافي ومفهومه ، فالاستشراق لم يعد فقط ميدان بعض المنعزلين الذين تحدوهم غايات علمية محدودة وجامدة وربما تدفعهم ايضا مقاصد سياسية او فضولية لا غير ، ان الاستشراق الحديث قد بدا يعكس ــ في عدد من الحالات ــ الرغبة في التعرف على الثقافات الشرقية واستقاء ما يمكن استقاؤه منها لاحداث نوع من الالتقاء الثقافي بين الشرق والغرب على نطاق واسع ومفيد للطرفين (هناك مجلات غربية مهمة ، تتبنى اتجاهات من هذا النوع علاوة على الجمعيات الثقافية المشتركة بين اوربيين وعرب كجمعية الدراسات الايطالية اللبنانية مثلا) (✶) .

3) في افريقيا خاصة هناك اتجاهات قوية لتحديد انتشار الانجليزية والفرنسية والبرتغالية والاسبانية كلغات رسمية ، والبحث عن بديل لهذه اللغات بحيث يكون هذا البديل لغة افريقية راقية وموحدة تستطيع ان تستوعب الثقافة الافريقية وتقبل التفاعل الحي الخلاق بين هذه الثقافة وبين الثقافات الاخرى في شتى انحاء الدنيا ، وذلك في اطار الجو الجديد الذي اصبح العالم يحياه بعد تصفية النظام الامبريالي التقليدي وتبلور الاتجاه الى التلاقي والتجاوب بين شعوب الارض واتجاه الامر هكذا الى ازدياد التدخل بين الحضارات وامكانية تبلور ذلك في شكل حضارة تسودها مفاهيم وحقائق اكثر مرونة واوسع افقا .

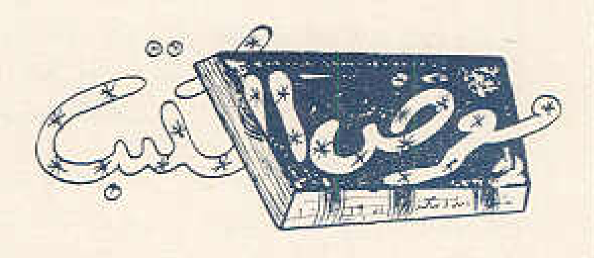
✶ ✶ ✶

عرفت بغداد في 15 مارس الحالي مظاهرة ثقافية عربية تستحق قدرا كبيرا من الاهتمام فقد عقد بالعاصمة العراقية مؤتمر دولي عربي للنظر في امر نشر الثقافة العربية واللغة العربية بالخارج وخاصة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، هذا في نفس الوقت الذي كانت تجتمع فيه بالهند الندوة العربية الهندية التي ضمت وفودا عن الدول المنخرطة في الجامعة العربية تباحث اعضاؤها مع الهنود مسألة تنمية التفاهم الثقافي بين العرب وشبه القارة الهندية واعتماد الوسائل الضرورية التي تلزم لهذا الغرض ، فعسى ان تكون مثل هذه الندوات وسيلة لتنمية اسس التقارب الثقافي والتفاعل الحضاري بين العرب والامم الاخرى وعسى ان يستطيع المفكرون العرب ــ سواء داخل مؤتمر بغداد او غيره ــ عسى ان يستطيعوا شيئا من اجل سياسة اشعاع ثقافي عربي يتم من خلاله ما يرجوه جميعا من التقاء الثقافات الانسانية الاصيلة على خدمة اهداف الخير والمحبة والسلام .

سلا : المهدي البرجالي

(✶) عقد المؤتمر الثاني للدراسات الايطالية اللبنانية بروما خلال شهر نونبر الماضي وهو يستهدف توسيع نطاق التبادل الثقافي بين الشرق والغرب ، ومن الوسائل المقررة لذلك : ترجمة الكتب العربية الى الايطالية والعكس ، ونشر العربية بين الايطاليين والعكس .





تاريخ الأدب الجغرافي العربي

تقديم وتعليق: الأستاذ عبدالقادر زمامة

هنـــــاك في عالم الاستشراق مدارس اخــذت طابعها واتجاهها في البحث عن تاريخ الشرق وحضارته منذ ان اصبح الاستشراق ذا مكانة مرموقة في المعاهد والجامعات الاوربية .

وقد امتازت المدرسة الروسية في الاستشــــراق بعمق البحث ودقة النظر . والبحث في حضارة شعوب آسيا الوسطى والحضارة البيزانطية .. وقد اصـــاب اعلام الاستشراق الروسي كما يصيب غيرهم من اعلام الاستشراق في الامم الاخرى .. واخطاوا كما يخطىء غيرهم .. ووراء صوابهم وخطئهم تمكن الحقيقة التي هي وليدة البحث ..

والكتاب الذي بين ايدينا اليوم هو (تاريخ الادب الجغرافي العربي) وهو من تاليف المستشرق الروسي الشهير ((كراتشكوفسكي)) المتوفى سنة 1951 م .. وقد قرأناه في ترجمته العربية التي قام بها صلاح عثمان هاشم من الخرطوم عاصمة السودان . باختيار الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية . وطبع بالقاهرة آخر سنة 1963 م .

والكتاب سفر ضخم تتجاوز صفحاته 460 صفحة من القطع الكبير .. شغل المؤلف به نفسه ما يقرب من سبع سنوات من سنة 1938 م الى سنة 1945 م وكتب قسما منه في لينينغراد والالمان على ابوابها في الحــرب العالمية الثانية ... وحالت منيته دون اتمـــام فصلــه الاخير المتعلق بالقرن الثامن والتاسع عشر ...

ولنرافق مؤلف الكتاب في جولته الاستقصائيــة عبر تاريخ الحضارة الاسلامية يوم كان رواد المعرفــة من طلاب العلم ، وحملة الشريعــة وعشــاق البحث وابطال المغامرات يجوبون المجاهل والمفازات ويعانــون اعاصير البحار والمحيطات في ارجاء العالــم المعــروف الآن ، المجهول اذ ذاك .

ولنرافق موضوع الكتاب في دراسته الواسعــة للادب الجغرافي العربي في اقــلام اعلام الجغرافييــن والرحالين والمغامرين الذين ارتادوا صحاري افريقيا .. وممالك اوربا وآسيا وجزائر المحيطات النائية بوسائل وامكانيات محدودة . ولكنها كانت مفيدة ..

ولتكن هذه الصفحات من الادب الجغرافي العربي دليلا ـ لمن كان يلتمس الدليل ـ على اتساع آفاق الادب العربي في ضروب من المعرفة والثقافة والبحث الى جانب ما يمتاز به من ربط حلقات الثقافة والحضارة ... واستيعاب منابع الفكر الانساني . مع استجابة . وانسجام . واخذ وعطاء ..

ولنعط الكلمة الآن لهذا المستشرق الروســي ليتحدث في مدخل كتابه بعرض عام للموضوع فيقول :

((ان المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لامر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا. وقد وضح بجلاء في الخمسين عاما الاخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقت لنفسها طرقا ومسالك جديدة في العصور الوسطى . ولا زالت حية الى ايامنا هذه ـ اعني علوم الفيزياء والرياضيــات والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا ـ اما فيما يتعلق بالادب الفني العالمي فان العرب قد اسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءا اساسيا من التراث العام للبشرية كما امتد تاثيرهم كذلك الى عدد كبير من المصنفات والفنون الادبية التي نشأت في بيئات غير عربية .

((وبالطبع ليس في وسع جميع الفنون المختلفــة للادب العربي الحافل ان تدعي لنفسها مكانة واحدة من حيث القيمة . ومن حيث الاهمية العلمية . واذا كان بعضها مثل علم اللغة والعلوم الشرعية يمثل موضوعا لدراسات المتخصصين . الامر الذي لا يمنع بالطبع من اهمية استقراءاتهم . في حالات معينة بالنسبة للنواحي العريضة في تاريخ الحضارة. الا ان عددا من فروع الادب

العربي قد اكتسب اهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيقة .. ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الادب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد. بانه المصدر الاساسي والموثوق به فى دراسة ماضي العالم الاسلامي . اذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ والجغرافي فحسب . بل ايضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الادب والعلم والدين واللغويين وعلماء الطبيعة ولا يقتصر محيط الادب الجغرافي العربي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الاولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب او التي تجمعت لديهم معلومات عنها . وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الاسلام .. وقد يحدث احيانا ان تمثل المادة الجغرافية العربية اما المصدر الوحيد او الاهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما..))

هكذا يقبل هذا المؤلف على دراسة موضوع الادب الجغرافي عند العرب وهكذا يقدر اهمية هذا الانتاج باعتباره انسانيا لا يهم العرب وحدهم ولا يشغل حيزا معينا من ادبهم ولكنه فى نفس الوقت يحتفظ للفكر البشري والثقافة الانسانية العامة بجواهر ثمينة ورصيد قيم خالد لاتبليه الايام ...

ولعله من المفيد ان نستعرض المهم من فصول الكتاب لنرى عمقها فى البحث والدراسة بعد ان عرفنا المدخل الذي قدمه المؤلف لتصوير الموضوع واهميته ومنهجيته ...

بدا المؤلف فصله الاول بالبحث فى الجغرافيا عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية .. وهذا الجانب من الموضوع له مادة خصبة فى الشعر الجاهلي وايام العرب واخبارهم وانسابهم وقد شحنت كتب اللغة والتاريخ والانساب والادب القديم باسماء المسالك والمفازات والصحاري والوديان والجبال والدارات والاحساء والحرات ... ولا تخلو قصيدة من الشعر الجاهلي من ذكر عدة اعلام جغرافية عرف اللغويون منها شيئا وغابت عنهم اشياء .. الامر الذي استدعى من الباحثين تاليف كتب خاصة لضبط هذه الاعلام وبيان مواقعها من جزيرة العرب مستعينين على ذلك بالشعر الجاهلي نفسه .. وجاء المؤلف فاستعمل هذه المادة الشعرية فى بحث ونقل الشيء الكثير مما دونه رواة الادب واللغة وما ضمنه المعاجم والمجاميع ..

ولا يكتفي بتدوين معلومات العرب فى الجغرافيا الوصفية ولكنه يتعدى ذلك الى الفلك والسماء والنجوم والانواء وما كان للعرب فى ذلك من اساطير وتجارب توارثوها جيلا بعد جيل . وبنوا عليها كثيرا من تصرفاتهم ومعتقداتهم ...

ويعتمد المؤلف فى ذلك على عمدة المستشرقين فى علم الفلك عند العرب ((نالينو الايطالي)) الذي كان استاذا بالجامعة المصرية القديمة ... واخذ عنه المؤلف ايام اقامته بالشرق العربي من اجل الدراسة والاطلاع على تراث العرب والاسلام ...

ويبدو ان المؤلف مولع بالاستقصاء والتتبع فبحث عن الجغرافيا فى القرآن ... وهنا زلت به القدم حيث حسب ان الكتاب العزيز كتاب علم يدون الحقائق العلمية المجردة . مع انه قبل كل شيء كتاب هداية وارشاد الى العقيدة الصحيحة والسلوك المستقيم ... وفيه من حقائق العلم ما يساعد هذه الهداية ويكمل هذا الارشاد ...

وعند انتقاله الى البحث الجغرافي عند العرب فى صدر الاسلام والدولة الاموية يتحفنا المؤلف بنصوص ومعلومات دقيقة ومفيدة عن الامتداد العربي فى الفتح والكيفية التي كانت تجمع بها المعلومات الجغرافية عن الاقاليم التي ستدور فيها عمليات الغزو ... والتي ستصبح مركز للاستيطان واقامة المدن والمراكز الحربية والتجارية ...

وقد نقل عن المسعودي ان عمر بن الخطاب كان يستفسر دائما قواده وذوي الراي والمعرفة عن جغرافية الاقاليم المفتوحة لينظم خططه على ضوئها ...

((وقد ورد ان عمر بن الخطاب حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى بعض حكماء ذلك العصر . انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوا الارض ونسكن الامصار فصف لى المدن واهويتها . ومساكنها وما يؤثره التراب والاهوية فى سكانها))

ورد عليه ((الحكيم)) بوصف الشام ومصر والعراق والجبال وخراسان وفارس والجزيرة ... وتوقف عن وصف الهند والصين وارض الروم ...

اما فى العصر الاموي وهو عصر الفتوح الواسعة فان العرب ضبطوا المسافات ونظموا المسالك والبريد واقاموا على جانبها حجارة لتوضيح المسافات .!. وهي ما يسمى بالاميال وكانت تبدا من مركز الخلافة فى

دمشق ... وقد عثر على بعض هذه الحجارة بفلسطين وترجع الى عهد عبد الملك بن مروان (اي قبل 86 هـ) كما ان المؤلف يرد ظهور المصورات الجغرافية الى هذا العصر ... حيث بدات الضرورة في الميادين الاداري والاقتصادي تفرض ذلك على القواد والولاة والجباة والفاتحين ...

وفي الفصل الثاني ينتقل المؤلف بنا الى الجغرافيا العلمية عند العرب ... وهو يعني بذلك اتساع آفاق البحث بسبب الترجمة عن اللغة اليونانية وظهور ابحاث الجغرافيين والفلكيين اليونان والهنود والسريان ... وقد لعب المنجمون وهم خليط من رجال العلم والشعوذة والاساطير دورا خطيرا في الحياة اذ ذاك ... وسيطروا على عدد من رجال الحكم والسياسة بما كانوا يتحدثون به عن عوامل السعد والنحس حتى قال ابو تمام مادحا الخليفة المعتصم العباسي يوم تحدى هؤلاء وذهب لفتح ((عمورية)) رغم انذارهم له بانه سينهزم ...

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في
متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

اين الرواية ؟ بل اين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

فالبحث الجغرافي اخذ طريقة البحث عن الحقائق كما اخذ طريقة اخرى بسبب الاسطورة والشعوذة ...

ولكن هذا كان كله في البداية . ولم تلبث الحقيقة ان قهرت الاسطورة . ولم يلبث الفكر العربي الناضج ان شق طريقه الى الابتكار والتجديد فدونت الابحاث العربية في ميدان الفلك ثم في ميدان الجغرافية الوصفية والرحلات والمسالك والممالك ..

ولئن كان التأثير اليوناني باديا فيما اخذه العرب من معلومات في الفلك فان الابتكار العربي في الميادين الاخرى عظيم الاهمية ... ولا سيما في دراسة الابعاد والمسافات ومعرفة الممالك والاقاليم وخطوط عرضها وطولها ... بالاضافة الى استكشاف المجاهل والجزائر النائية والاقاليم المهجورة ...

وفي الفصول : الثالث والرابع والخامس والسادس تناول المؤلف بالجمع والاستقصاء المدارس الجغرافية ومميزاتها في البحث والتدوين .. وقد رجع في ذلك الى عشرات المصادر بالعربية واللغات الاجنبية فجمع ما تفرق هنا وهناك جمعا غريبا .. وتناوله بالمقارنة والاستنتاج مما يعد مثاليا في الموضوع :

والغريب ان المؤلف في هذه الفصول وسع مفهوم الادب الجغرافي فحشر فيه الارصاد الجوية . والابحاث الفلكية والزيجات والجداول وكل ما يمت الى الجغرافية بصلة ما ... وكثيرا ما ينسى موضوعية البحث الذي يعالجه فينغمر في عدة ملاحظات وآراء ذاتية فيها اعجاب بعباقرة الجغرافيين والرحالين المسلمين ثم يرجع وكانه يحمل مصباحا جديدا ينير لنا به الطريق ولا يدع قصة من قصص المغامرات البرية او البحرية الا ويتتبع روايتها في نطاق الحقائق والاساطير و ــ الفولكلور ــ كما فعل في قصة الفتية المعروفة بقصة (المغرورين الذين خرجوا من لشبونة في المحيط الاطلنتكي وغامروا في البحر مغامرة قيل ان الغرض منها كان استكشاف العالم الجديد قبل (كلومبس) بقرون ..!!

ويناقش المؤلفين الرحالين كالمسعودي والمقدسي والاصطخري وابن حوقل ويعطينا ملاحظات دقيقة عما في مؤلفاتهم من عمق وسطحية وحقيقة وخيال متبعا الترتيب الزمني عبر القرون ... وذلك في الفصول : السابع والثامن والتاسع ...

وجدير بالملاحظة ان المؤلف يريد ان يجعل الرحالين في القرن الرابع والخامس مدرسة (كلاسيكية) في الادب الجغرافي .. لما طبعوا به هذا الفن من طابع ظل ملازما له الى نهاية العصور الوسطى ..)

وينتقل المؤلف الى البحث عن الجغرافيين والرحالين المغاربة والاندلسيين وهذا الموضوع يهمنا بالذات . كما يهمنا ان نعرف آراء المؤلف فيه ويناقشها على ضوء ما عندنا من معلومات ..

ولكن مع الاسف فان الفصل العاشر من الكتاب الذي يتناول جغرافيي القرنين الحادي عشر والثاني عشر بالمغرب والاندلس .. لم يات فيه المؤلف بشيء زائد عن استعراض حياة البكري والادريسي واتجاههما مع عرض عن كتاب ((الاستبصار)) الذي الف في المغرب على عهد دولة الموحدين .. بقلم مؤلف ما زال يعتبر مجهولا الى الآن ...

ويلاحظ ان المؤلف لم يربط حلقات الموضوع هنا كما ربطها فى الفصول الاخرى فلم يشر الى رحلة يحيى الغزال الى اوربا وما احاط بها من اخبار واساطير ..

ومن حسن الحظ ان هذا الموضوع قد قراناه بقلم الدكتور حسين مؤنس فى مجلة ((الدراسات الاسلامية)) بمدريد وقد احاطنا علما باشياء لم يتيسر لمؤلفنا هذا ان يدونها فى كتابه .. وهي معلومات على جانب كبير من الاهمية فى الادب الجغرافي والتاريخي ..

وكان المؤلف على موعد آخر مع الجغرافيين والرحالين فى الاندلس والمغرب العربي فى فصوله التالية ... حيث حدثنا عن ابن سعيد ومؤلفاته ورحلاته ثم العبدري الحاحي ..

وقد كرر المؤلف الخطأ الشهير فى انتساب هذا الرحالة المغربي الحاحي الى بلنسية ..! كما ظن ان الذي رافقه فى رحلته ابنه محمد ..مع ان الواقع الذي يذكره المؤلف فى رحلته المخطوطة هو انه رافقه اخوه يحيى ..

ويختم المؤلف حديثه عن العبدري باحتمال طريف فى بابه وهو ان يكون المؤلف المعروف بابن الحاج صاحب كتاب (المدخل) ابنا للرحالة العبدري ... ؟!

فكلاهما مجهول الترجمة .. ! وكلاهما عبدري..؟!

وقد توفي الاول بحاحة قريبا من مدينة الصويرة بينما اقبر الثاني فى مصر ...

وهذا الاحتمال لا يعدو نطاق التخمين ولعل الايام تعطي حكمها البات فى الموضوع عندما نطلع على ترجمة دقيقة لاحدهما ..

ومن العسير ان نستعرض جميع فصول الكتاب ولكن يجب ان نقول ان مطالعة هذا الكتاب ودراسة فصوله لم تزدنا الا اقتناعا باتساع آفاق الادب الجغرافي عند العرب فى مشرق الارض ومغربها ...

كما انها قدمت لنا بحث المؤلف فى اطار من الموضوعية والاحاطة والاستيعاب فى جل الفصول التي تناولها فى كتابه الطريف ..

والكتاب بعد هذا عمدة للدارسين .. ومرجع للباحثين ...

فاس : عبد القادر زمامة

---

* انظر بحثنا عن العبدري الحاحي فى دعوة الحق عدد 2 و 4 من السنة الخامسة .

ابن كرام كبار

ذكر اعرابي رجلا ، فقال : « هو ابن الوجوه الواضحات الصباح ، والصدور الرحيبات الفساح ، والالسنة الخطارة الفصاح والانساب الكريمة الصراح » .

قصة العدد



للأستاذ ياسين رفاعية

ابتسم ، عند ما اشرقت الشمس ، فالجو الآن سيدفأ ٠

اقتعد صخرة صغيرة ، واخذ ينفخ في نايه القصبي معزوفة حنونا صب فيها كل اشواقه ٠

لم يكن الجبل عاليا ، وعلى اطرافه حتى بداية الوادي ، انتشرت عشرون غنمة سوداء ، ترعى من العشب ، وكان ثمة كلب اسود ، يرقب الغنمات لحظة ثم يشرد بنظراته عبر الافق ويعـــوي ٠

عن بعد ، كانت القرية ساكنة كأنها القبر ، وكانـــت بيوتها الطينية البيضاء موزعة بين الاشجار والحقول ، انها تبدو وتحت وهج الشـس التي غمرت الان الحقول والجبال كأنها احجار من الفضة ملقاة على بساط اخضر ٠

وضع (علي) نايه في وسطه ، واستلقـى فوق الصخـرة الناعمة على قفاه ، واخذ يرقب الشمس ذات القرص الكبير وهي تصعد رويدا رويدا الى قلب الافق ، وبدأ النسيم البارد يدفأ وشعر علي كما لو ان هذا الجبل كله ملكه ، وان احدا لا ينازعه هذه الملكية ٠

وفي اللحظة التي انصب فيها شعـاع الشمس في عينيـه فاغمضهما احس كان الجبل مخلوق كبير قد ضمه بحنـان الى صدره وهمس له :

بصخوري واتربتي ، بعظمتي وديمومتي انا لك ، اعزف لي على نايك كما تشاء ٠٠ اعزف ٠٠ انهم في القرية يسخرون منك لانك لا تعزف جيدا ، انهم لا يفهمونك ، انا افهمـك ، انك عازف عظيم ، ان مقطوعاتك تضمنها امنياتك في ان تحيا هكذا دونما رقيب ، تحس ان الرياح والنجوم والغيم والمطـر والحشائش الخضراء والافاعي والكلاب المشـردة ٠٠ كل هـذه الاشياء لك ، وانك مثلها تحب الارض التي لم تدنس ، وتشرد معها عبر الاودية والجبال من الصباح الى المساء ٠٠ ثم تعـود الى حيث انت مرغما ان تعـود ، لانك تريـد الخبـز والشاي والغرفة المسقوفة وبساط الصوف الملون ٠٠

اعزف لي يا علي ، فانت ملك ، وانا من رعاياك ٠٠٠

وقام ، واقتعد الصخرة من جديد ، كان يرتدي ملابس زاهية وعلى رأسه عمامة فيها عقد من لؤلؤ ٠٠٠ وفي اصابعه عدد كبير من الخواتم الذهبية والفضيـة ، وفي نطاقـه وضـع خنجرا مرصعا بالمرجان وحجارة الجان ، ونظر حواليه طويلا ، كانت كل المخلوقات التي تجمعت امامه الان ساجدة : الجمال والغزلان والافاعي والطيور والكلاب والقطط والشجر ومخلوقات اخرى لم يعرفها من قبل ٠

وقد جلست بالقرب منه عشرون غنمة بدت له جميلة كأنها حوريات من الجنة ، فقد ارتدت كل واحدة ثوبا يختلف لونه عن ثوب الاخرى ، وجلست كأنها وصيفة ، وتذكر في تلـــك اللحظة حكايات ابي محمد في مقهى القرية التي يقرؤها مساء كل يوم على شيوخ القرية ورجالها وهم يدخنون نراجيلهم وقد تعلقت اعينهم بفم ابي محمد الكبير بينما كان ينطق الكلمات كأنه ملك والآخرون رعاياه ، وتذكر كم كان يلذ له الاستماع الى حكاية عن الحب وسيف بن ذي يزن وعنترة لولا ان اباه كان يطلب منه الذهاب الى البيت قبل ان ينتهي تلك الحكايـة ليذهب في الصباح المبكر مع غنماته العشرين وكلبه الى الجبل فيرعى حتى المساء ٠

تذكر كل هذا وهو يجيل الطرف بما حوله ، وتمنى لو كان ابو محمد هنا الان لرأى بام عينه ما كان يعتقده حكايا .. ان (علي) ملك جديد ، ومملكته لم يرها ملك من قبل .. (لن يعود الى القرية بعد اليوم) .

وباشارة من يده ، جلست الرعية وقد ساد الوادي والجبل صمت كبير ، وبعد لحظات تقدمت خمس غنمات تحمل على رأسها صندوقا صغيرا ، واقتربت من عرش علي ، فتناول الصندوق وفتحه ، فاذا في وسطه ناي غريب مصنوع من الذهب والفضة وقد توسد قطعة من القماش الحريري الاخضر ، فمد يده واخذه الى فمه ، وقبل ان يعزف تطلع بعينين حنونين الى رعيته ، فرأى العيون كلها معلقة في فمه ، فابتسم ثم اخذ ينفخ في الناي رويدا رويدا ، انه نفسه لم يستمع الى هذه الالحان العذبة من ذي قبل ، ولا سمعها من راعي القرية المجاورة الذي علمه العزف ، وظل يعزف ، وشعر كأن هذا الجمع العجيب قد ذاب ، كانت الوجوه المختلفة تحدق فيه لحظة اخذ يعزف قطعة ميجانا حزينة .. ثم طفرت الدموع من كل العيون حتى شكلت سيلا مخيفا .. فتذاكر امه والقرية وخاف ان يغمر السيل بيته .. فبدل اللحن واخذ يعزف رقصة اعتادت القرية ان ترقصها في اعيادها ، ورقص كل شيء حوله ، وكان الجمع كله يرقص على ايقاع واحد دون خلل او فوضى ، وبدا له الجبل الآخر وهو يرقص كأنه سيطبق على القرية .. وفي لحظة صغيرة ، خيل ان امه في رعب شديد وهي تنظر الى الجبل يهتز .. فتوقف عن العزف فجأة .. وصمت كل شيء .

عند ما حاول ان يرفع يده مشيرا الى الرعية ان تذهب الى اعمالها ، احس بثقل شديد يقع عليها ، لقد اصبحت الشمس الان في كبد السماء وكانت اشعتها حارة لاهبة ، تطلع حوله فاذا بالغنمات قد اقتربت منه كثيرا ، اما الكلب فقد استلقى على يده والتفت فجأة نحو القرية فعاد الى قلبه اطمئنان عجيب ، ثم التفت نحو الجبل ونظر الى قمته بحنو بالغ ، وشعر كما لو ان الجبل يبتسم ويومىء له برأسه : الى الغد .. فشعر على بغبطة كبيرة تغمر كل شيء حوله ، فمد يده الى (الخرج) وانتزع منه صرة صغيرة وفتحها ، اذ كان فيها رغيف كبير وقطعة من الجبن ، اقتطع قطعة من الجبن ولقمة من الرغيف ووضعها في فمه واخذ يمضغهما وقد امتلأ صدره سعادة لا توصف .

دمشق : ياسين رفاعية

— لا تفعـــل —

كان الاعمش من الضجر بحيث اشتهر وانتشر . ومرة قال له الامام ابو حنيفة النعمان :

لولا اني اخاف اني اشق عليك ، لأكثرت زيارتك .

فقال :

لا تفعل ، فأنت تشق علي والله ، وانت في دارك .

— يلوذ بالله لواذ يتيم جبان —

قال اعرابي لرجل : ما اسمك ؟ قال : عبد الله . قال : ابن من ؟ . قال : ابن عبد الله . قال : ابو من ؟ قال : ابو عبد الرحمان . قال : اشهد انك لتلوذ بالله لواذ يتيم جبان .



دق جرس التلفون في مكتبة « السي عمر الفرخاني » فانحنى عليه ليلتقطه من فوق المكتب . كان واقفا في ردائه الحريري الازرق ينظر الى النهر يشق طريقه الكسولة وسط السهل المترامي ، وقد تعلقت فوقه شملة خفيفة من ضباب الفجر تتعرج بانعراجه ..

وتساءل وهو يلتقط التليفون – ياترى من يكون هذا الطائر المبكر ؟ لقد اعطى اوامر صارمة لمساعده في ادارة مصنع المياه الغازية الا يناديه في البيت الا اذا كان الامر مهما للغاية .. في اعتقاده ان البيت للراحة ، لا للعمل .

ورفع السماعة ..

– آلـو ؟

– عمر الفرخاني ؟

وصدمه ان يسمع اسمه مجردا حتى من ابسط علامات الاحترام مثل « السي » او « الاستاذ » كما يناديه اغلب معارفه لثقافته وميوله الادبية رغم انه مجرد مدير وصاحب مصنع للمياه الغازية ..

واجاب بأدب ..

– نعم .. يتكلم ..

– اسمع ، انت لا تعرفني .. ولكن عندي شيئا قد يهمك ان تشتريه .

– لماذا لم تناد مديري بالنيابة في المصنع وتتفق معه على ما تريد .. انا لا ازاول اعمالي التجارية في البيت ..

– هذا شيء لا اعتقد انك تريد احدا ان يعرف عنه .. انه عمل تجاري من طبيعة خاصة .

– ماذا تعني ؟

– عندي رسالة بخط يدك حصلت عليها من صندوق قمامتك .. سأقراها عليك حتى لا تشك في في صدق ما اقول ، اسمع ..

« عزيزتي فريدة ،

عندما تصلك هذه الرسالة ستكون متاعبنا قد انتهت ، وصاحبنا حمادي قد لقي حتفه ، لا تقلقي ، سأجعل الجميع يعتقد ان الموت كان من جراء حادث السيارة . وسوف تتحرر منه الى الابد ، وبعد بضعة اشهر سنلتقي لكيلا نفترق ابدا ..

« ارجو الا تتصلي بي بعد اليوم الا في الاحوال الخطيرة جدا . اكتبي لي عن طريق خادمتك . ستتعذب قليلا من هذا الفراق الطويل ، ولكنه سيكون بداية سعادة اللقاء الدائم .

« ملاحظة – عندما تنتهي من قراءة هذه الرسالة احرقيها كلها وشتتي رمادها حتى لا تقع في يد احد .

محبك دائما – عمر

وسمع « عمر الفرخاني » صوت الرسالة وهي تطوى ثم صوت صاحبه

– هذه هي الرسالة .. انها تحت يدي الان بخط يدك وتوقيعك . ليس لي فائدة اطلاقا في تقديمها للبوليس .. فلست من انصار العدالة .. انني مثلك .. رجل اعمال .. من نوع مختلف .. ولكن التجارة تجارة .. واريدك ان تشتري مني بضاعتي التي لا نفع فيها لغيرك .

واظهر « السي عمر الفرخاني » الحرج في موقفه .. ثم سأل الرجل بصوت متردد :

ـ من قال لك انني صاحب الرسالة .. لست وحدي المسمى عمرا ..

واجاب الرجل بحدة :

ـ هل تريد ان تلعب معي « الضامة » ؟ .. انت تعرف جيدا ان الرسالة مكتوبة بخط يدك ، لسوء حظك .. وقد تأكدت من ذلك .

ـ كم تريد ثمنا لها ؟

قالها « عمر » بصبر نافذ .. ورد الرجل ..

ـ ثلاثمائة الف بسيطة ..

ـ هل جننت ؟ .. سوف تخربني ..

ـ انا متأكد انك تملك الملايين .. فلا تساوم حتى لا ارفع الثمن ..

ـ طيب .. طيب .. لا تتجبر ..

ـ اذن اتفقنا .. المبلغ ينبغي أن اتسلمه اليوم ..

ـ اليوم ؟

ـ اليوم .. لقد سمعت جيدا .. لا تلجأ الى الحيل ، فكلها اعرفها .. يجب ان تكون الاوراق من نوع المائة والخمسمائة بسيطة .. ضعها في حقيبة والقني بها على الساعة العاشرة من مساء اليوم ، في مقهى « الكليبسو » على الشاطىء .. سأكون في الغرفة « رقم 13 » .. انا اعرفك .. وسوف تجدني اشرب حتى لا تسلم الحقيبة لاحد غيري اذا حدث ان غبت .. تذكر .. لا حيل ..

ـ لا تضغط علي .. سوف افعل ما قلت .. لابد ان تسلمني الرسالة في الحين ..

ـ لا تقلق ..

ووضع السماعة ..

وبقي « السي عمر الفرخاني » يدخن السيجارة تلو الاخرى ، ويدور في غرفة مكتبته دون أن يرى ما حوله .. ثم ذهب الى التلفون ..

وفي ذلك المساء اوقف « السي عمر الفرخاني » سيارته بعيدا عن مقهى « الكليبسو » حتى لا يتعرف عليها احد ، وخرج منها متخفيا في معطف وقبعة ونظارة ، ثم قصد الملهى .

كانت الفرقة تعزف انغاما استوائية على آلات قصيديرية صارخة ، والاولاد والبنات يتراقصون متزاحمين بالاكتاف والارداف ، وقد عبق الجو برائحة الدخان الذي زاد الى ظلام المحل ظلاما ..

وشق طريقه بين الراقصين وهو يجر حقيبته بينهم حتى وصل الى الغرفة « رقم 13 » فرفع الستار الحسكي ، ودخل ، فتدلى الستار خلفه ..

وقام الرجل الذي كان طويلا ونحيفا فأخرج رأسه من خلف الستارة ونظر يمينا ويسارا ثم عاد يجلس الى خلف زجاجة ..

ـ هل احضرت المبلغ ؟

ـ كله ..

ووضع الحقيبة على المائدة وفتحها ففغر الرجل النحيف فمه .. ثم امسك بها فادارها نحوه وبدأ يمسك برزم النقود ويعدها ..

وتحرك « السي عمر الفرخاني » في مجلسه قلقا ..

ـ هات الرسالة ..

ـ لا تستعجلني .. لابد ان اعد المبلغ .. هذا طرف من الصفقة ..

ـ انه كله هناك .. الا تثق بي ؟

ـ وهل تثق انت في ؟ ..

ـ طيب : عد المبلغ ، واسرع ...

وجلس الرجل النحيف يعد المبلغ على مهل حتى وصل الى آخر ورقة ، و « السي عمر الفرخاني » يدخن سيجارة وراء اخرى .. وحين انتهى الرجل من العد وقف ..

ـ هات الرسالة ..

واخرج الرجل محفظته فأخرج منها الرسالة وفتحها ثم قطعها نصفين متساويين اعطى احدهما « للسي عمر الفرخاني » وابقى الآخر عنده .

وامسك « عمر » بيده ..

ـ ماذا تفعل ؟

ــ اترك يدي .. هذا نصف المبلغ الذي اريد .. بعد يومين ساعود للالتقاط الثلاثمائة الف بسيطة اخرى .. وساعطيك النصف الآخر ..

ــ ايها الغادر .. الم نتفق على هذا المبلغ ؟ ..

ــ لم نتفق على شيء ..

ــ ستندم على هذا ..

ــ جئني بالمبلغ ودعني اندم .. واذا حاولت اي عملية فساخبرك للعلم ان جميع اسراري فى وصيتي بالبنك .. حين اموت موتا غير عادي ، او اختفي فسيكشف عن اسمك من بين المشبوهين .. فلا تحاول ان تكون ذكيا .

ــ هذه كلمتك الاخيرة اذن ؟

ــ تماما ..

وهنا ارتفع الستار ودخل اربعة رجال بمسدساتهم وحللهم البوليسية ..

ــ ارفع يديك ..

وفزع الرجل النحيف فرفع يديه ، وامسك به احد رجال البوليس فاداره نحو الحائط واخذ فى تفتيش جيوبه ..

ووقف « السي عمر الفرخاني » يحدث رئيسهم الذي كان يلبس ملابس مدنية .. واقفل رجل الشرطة آخر الحقيبة وسلمها لرئيسه ..

واستدار الرجل النحيف وبدا يصرخ ..

ــ اسمعوا .. هذا الرجل قاتل .. ينبغي أن تقبضوا عليه هو الآخر .. عندي عليه حجة .. انظر هذه رسالته التي يعترف فيها بالقتل .. واستلم رئيس البوليس الرسالة ووضع « القطينة » فى يده وهو يقول ..

ــ ايها المغفل ..

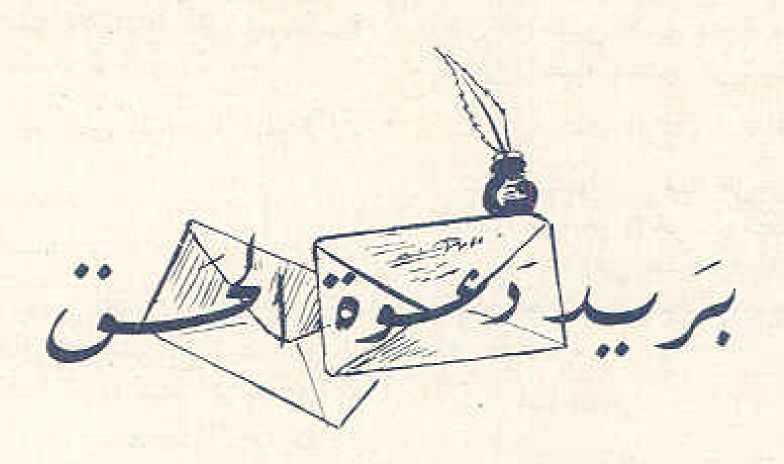
وتقدم « السي عمر الفرخاني » فسلم على الرجل النحيف بالرغم منه وقال له ..

ــ شكرا .. لقد اعطيتني فكرة ممتازة لقصتي القادمة ..

وتساءل الرجل النحيف ..
ماذا يعني ؟ هل سوف لن تقبضوا عليه ؟
ودفعه رئيس الشرطة امامه وهو يقول ..

ــ يا مغفل .. « استاذ الفرخاني » كاتب قصص بوليسية .. والرسالة التي وجدت فى قمامته هي طرف من احدى قصصه ، لا علاقة لها مطلقا بحياته .





تتلقى مجلة « دعوة الحق » كل يوم جملة كتب ورسائل ونشرات ومجلات في ميادين مختلفة ، وفنون شتى ، ومن جملة ما ورد علينا في هذا الشهر كتاب : « المغرب عبر التاريخ » تأليف الاستاذ ابراهيم حركات .

والاستاذ ابراهيم حركات من الشباب الواعي الذي قدر رسالته العلمية والثقافية ، وبذل جهودا ونشاطا جادين في ميدان التربية والتعليم .

فقد صرف وقته كله في اصدار جملة كتب ، هي اليوم في متناول رجال التعليم حيث قد سد بها فراغا كنا نشكو خطره ولا زلنا الى الآن ...

..وفي الايام الاخيرة اهدتنا دار السلمي للتأليف والترجمة والنشر والطباعة والتوزيع كتاب «المغرب عبر التاريخ» وهو المجلد الاول من عصر ما قبل التاريخ الى نهاية دولة الموحدين للاستاذ ابراهيم حركات ، ويشتمل على عرض لاحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الاسلام الى العصر الحاضر .

والكتاب عميق في بحوثه ، فذ في بابه ، فريد من نوعه ، لانه لم يقتصر على دراسة الجانب السياسي لتاريخ المغرب بل عالج كل النواحي الحضارية والعمرانية بشكل علمي موفق .

وقد قدم لكتاب « المغرب عبر التاريخ » الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس الذي اعتبره محاولة يستحق عليها الاستاذ ابراهيم حركات كل شكر وثناء ، اذ انه يعنى في مؤلفه هذا بتاريخ الحضارة المغربية مثل عنايته بالاحداث السياسية فهو يصور الحياة الثقافية والدينية والفنية جهد المستطاع .

ومجلة « دعوة الحق » تشكر « دار السلمي » على هديتها اللطيفة ، وتتمنى للكتاب الذيوع والرواج حتى يستفيد منه طلاب المعرفة والعلم .

صدور مجلة « المغرب »

اصدرت وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك العدد الاول والثاني من مجلة « المغرب » ...

ومجلة « المغرب » تعني بابراز معالم النشاط البناء الذي تقوم به بلادنا . وهي مرآة تنعكس عليها النشاطات المختلفة التي تقوم بها بلادنا الفتية ، منذ ان استرجعت استقلالها ، واخذت تمارس سيادتها .

ويشتمل العدد الاول من مجلة « المغرب » الذي صدر في حلة قشيبة ، ومواضيع هامة ، وورق صقيل وباللغتين العربية والفرنسية ، على افتتاحية تتحدث عن معركة البناء ، ثم نبذة من حياة جلالة الملك الحسن الثاني ، وتحليل سريع لنظام الحكم تحت عنوان : المغرب ملكية دستورية ، كما نجد مقالا هاما تحت عنوان : « المغرب يعمل في المنظمة الاممية على محو الاستعمار ، والميز العنصري ، ويدعو لتحقيق التعاون الدولي في المجالات البناءة » ثم لمحة عن « الاقتصاد المغربي » .

وقد شارك في هذا العدد الاول من مجلة « المغرب » الاستاذ عبد الله كنون ، بمقال قيم يحمل عنوان : « مساهمة المغرب في تقدم الثقافة العربية » ويليه حديث عن « دور الاوقاف والثقافة الاسلامية في المحافظة على كياننا الروحي » الى غير ذلك من المواضيع الحافلة بالبحوث القيمة المفيدة والدراسات العميقة التي تدل على مختلف النشاط الذي يبذل في سبيل بناء هذا الوطن ...

ومجلة « المغرب » التي تصدرها وزارة الممثل الشخصي تعتبر امتداد للسلسلة السابقة التي كانت تصدر بوزارة الشؤون الخارجية .

ونحن نرجو للزميلة كامل التوفيق والنجاح في اداء رسالتها التنويرية المقدسة .

هيئـــة موسوعـــة المغـــرب

اجتمعت هيئة موسوعة المغرب تحت رئاسة الاستاذ علال الفاسي وبحضور ممثل المكتب الدائم للتعريب محمد العلمي وقد حضر هذا الاجتماع كل اعضائها تقريبا ، وكان جدول الاعمال منحصرا فيما يلي :

1) دراسة ما بقي من مسطرة العمل .
2) تكوين اللجان الفنية وتحديد اعمالها .
3) دراسة القانون الداخلي .

وفي مستهله تناول الكلمة سيادة الرئيس فاعاد الى الاذهان الاتفاق الاخير على اعتماد الطريقة الابجدية الصرف بالنسبة الى تدوين الموسوعة اما بالنسبة الى اشغال اللجان فتعتمد طريقة الموضوعات العلمية ، ثم شرع الاعضاء في مناقشة جدول الاعمال ، وتبلورت هاته المناقشة في النقط الآتية :

1 — حجـــم الموسوعـــة .
2 — اضافة الاندلس الى المغرب العربي في الموسوعة .
3 — علاقتها بدوائر المعارف العربية والافريقية .
4 — ذاتية الهيأة وعلاقتها بالجامعة العربية ومنظمـــة اليونيسكـــو .
5 — مسؤولية المكتب من الناحية الادارية .
6 — اختيار الهيئة للباحثين من غير اعضاء الهيئة .
7 — التعويض عن الابحاث .
8 — تصرف الهيئة في الابحاث التي تتوصل بها .
9 — تكوين مكتب لهيئة الموسوعة .

وكل نقطة استغرقت من الاعضاء جهدا كبيرا ، ففيمـــا يتعلق بالنقطتين الاولى والثانية وقع الاتفاق على تحديد البحث القصير بمائتي كلمة والمتوسط باربعمائة والطويل بثمانمائة الى الف في الحد الاعلى بعد ان درس الاعضاء هاته النقطة في مشروع لجنة المنهاج ، واثار السيد فاضل عبد الحق قضيـــة تناول الموسوعة للاندلس باعتبارها من المغرب العربي ، وهنا تدخل بعض الاعضاء وعلى الاخص السيد حجي الذي اقترح عدم ادخال الاندلس لكونها كانت في بعض عصورها مستقلة عن المغرب العربي كما كان الحال مثلا في قيام دولة بني الاحمر بها ، فعارضه الرئيس بانه يعتبر ادخال الاندلس امرا ضروريا لكونها كانت متصلة بالمغرب ثقافيـا واقتصاديـا حتى ابـان استقلالها عنه من الناحية السياسية وان هذا الاتصال يبدو اكثر وثوقا من اتصال المغرب الاقصى بالجزائر وتونس ولا سيما عند احتلالهما من طرف الاتراك ، فاما ان تلغي الاندلس وتعتبر المغرب بمعنى ان تكون الاندلس داخلة فيه واما ان يكـون العكس .

وقد ابرز السيد العلمـي ان هذه المسألـة اثيـرت في الاجتماع الاول ونوقشت ولم يقع فيها بت فاتفق الاعضـاء على ادخال الاندلس في الموسوعة والزيادة في حجمها وعليه فـلا تبقى مقتصرة على خمسمائة الف كلمة بالنسبـة الى المغـرب الاقصى ، وهنا ذكر السيد فاضل ان هاته الزيادة لا تترتب عنها احكام ولذلك لا مانع منها اذا اقتضت الضرورة . وفيما يتعلق بعلاقة موسوعة المغرب العربي باخواتها في الشرق او افريقيا او غيرها ذكر السيد العلمي ان هاته الموسوعة هي جـزء من دائرة معارف العالم العربي التي اوصى بها المؤتمر الثانـي لوزراء التربية العرب ببغـداد في يبرايـر 1964 وان مشـروع الاستاذ عثمان الكعاك المقدم الى الهيئة يتضمن هذا ، نعم لا مانع من ان تكون لها علاقة باية موسوعة اخرى افريقية او اسيوية او غيرها .. والح الرئيس في وجوب الشروع في العمل وترك هاته النقطة الى الوقت المناسب على ان علاقة الموسوعة من الناحية الثقافية هي الصق بدائرة المعارف العربية ، وهناك مقتضيات اخرى تقرب بينها وبين الموسوعة الافريقية .

وفي موضوع ذاتية الهيئة وعلاقتها بالمكتب والجامعـــة العربية واليونيسكو حسب القانون الداخلي المقتـرح من طرف لجنة المنهاج . اتفق الاعضاء على وجوب اعتبار استقلال الهيئة من الناحية العلمية واعطائها ذاتية خاصة في اطار المكتب الدائم للتعريب ، واثار السيد ادريس الكتاني مسألة انفصال الهيئة عن المكتب في بعض الاحوال فلاحظ مندوب المكتب انه يتحفظ في هاته النقطة نظرا لكون المشروع الذي تقوم الهيئة بدراسته هو من اقتراح الاستاذ الكعاك وتبني المكتب الدائم للتعريـب ، وهنا تدخل الرئيس فاكد انه قد يطرأ على المكتب الدائـــم للتعريب من احوال — كحله او انتقاله الى بلد عربي آخـر — مما يجعل الهيئة في حل من جميع الالتزامات التي تربطها بـه ويعطيها الحق في انفصال عنه وبقائها مستقلة او انتسابها الى هيئة ما ، واثيرت قضية اتصال الهيئة بالجامعة العربية ، ومنظمة اليونيسكو فيما يتعلق بالمساعدة المادية ، وهنا تدخل السيـد العلمي فبين ان الجامعة العربية والحكومات الشقيقة على علـم بالخطوات التي قطعتها الهيئة اولا . وكذلـك بعض المنظمات الثقافية التي يمكن ان تساعدها ماديا او ادبيا ، وهنـا بيـن الرئيس انه منذ قيامنا بالعمل ونحن لا نرى من المكتب الدائم واعضائه الا ما يشجعنا على المضي في طريقنا وتروعنـا فـي العمل التطبيقي واني اعتبر ان الشكليات من الامور الثانوية ، وفيما يتعلق باختيار الباحثين ومكافآتهم وتصرف الهيئة في ابحاثهم ، وقع نقاش طويـل استغـرق اكثر وقت الاجتمـاع

وتدخل فيه السيد الدهان حيث اقترح اختيار باحثين آخرين من غير اعضاء اللجنة كما تدخل السيد جعفر الطيار فطالب بوجوب تعيين مكافآت وجوائز للباحثين ، فلاحظ الرئيس ان الهيئة لا موارد لها الان ولكنها ستعمل مع المكتب الدائم للتعريب للحصول على ميزانية تستخلصها من بعض الهيآت الرسمية او الحرة، وتدخل مندوب المكتب فذكر ان الاتصالات جارية مع الجامعة العربية وحكومات دولها من اجل الحصول على ميزانية المكتب التي اقرتها سنة 1962 وان المكتب يعتبر هذا المشروع من مشاريعه الاولى وانه علاوة عن هذا قد اتصل ببعض الوزارات المغربية قصد مساعدته في مشروع الموسوعة ، وهنا عقب الرئيس بانه متأكد انه عند ما تنتهي من التدوين لا تعدم وسائل النشر التي تعقبه المكافآت المادية لجميع من ساهموا في العمل باية وسيلة من الوسائل ، واثيرت مسألة التعاون مع البحث العلمي الجامعي نظرا لاتصاله بالجامعة التي هي هيئة مغربية تتوفر على ميزانية مهمة فلاحظ الرئيس ان البحث الجامعي لا ميزانية له لحد الساعة وان مشروع الظهير الذي انشأه لا زال ينتظر الامضاء .

واثار السيد ادريس الكتاني مسألة تصرف الهيئة في الابحاث فلاحظ السيد جعفر الكتاني انه لا ينبغي التصرف في اي بحث من الابحاث نظرا لكفاءة الباحث ولان عمل اللجنة انما يقتصر على التنسيق والتحرير ، فقال الرئيس ولنا ايضا حق التعليق وتدخل السيد عز الدين العراقي ملاحظا انه يجب تحديد ما يقصد بالتنسيق لانه لفظ مبهم وعام يندرج تحته عدد من الاعمال ، كما تدخل السيد العلمي مبينا انه يكاد يكون من اللائق ان يعدل الكاتب بحثه بنفسه وباشارة من الهيئة لان لها حقوقها في التأليف والتنسيق مثلما للباحث ، فوافقه السيد الحاج مير الا ان السيد ادريس الكتاني ممثل لجنة المنهاج استفهم عما يقصد من التعديل لان البحث يتعلق به عدة امور الفحوى والشكل والآراء ، فتدخل السيد الرغيني مبينا ان تعديل الفحوى يفسد البحث كما تدخل السيد فاصل فذكر ان التعديل يجب ان يكون بموافقة الكاتب واذا اجراه بنفسه يكون احسن والى وهنا ابرز الرئيس ضرورة تنسيق الابحاث وتعديلها وان التعديل لا يعني تغيير الآراء لانها تعبر عن اصحابها وانما يعني حذف الكماليات وتنسيق الابحاث وجعلها صالحة للتدوين والنشر حسب الاحجام المتفق عليها ، وفي الاخير تطرق الاعضاء لمسألة تكوين مكتب للهيئة يتعاون مع المكتب الدائم للتعريب في اعداد الابحاث وتجميعها وتقديمها للهيئة ، واقترح بعضهم ان يقتصر المكتب على رئيس للهيئة ومقرر عام يضاف الى مقرري اللجان الخمس ، واسند الى الرئيس امر اختيار هذا المقرر باتفاق مع الامين العام للمكتب الدائم للتعريب ، فطلب الرئيس ان يكون المقرر المذكور من بين الاساتذة العرب العاملين في حقل المكتب الدائم للتعريب ، وقد وافق الامين العام للمكتب الدائم للتعريب على اقتراح الرئيس بعد اتصاله به في جلسة خاصة : ووقعت المصادقة في الاخير بالاجماع على القانون الداخلي بعد تعديله كما سجل الاعضاء الحاضرون اسماءهم في اللجان بحسب اختيارهم ، وتقرر اجتماع هاته اللجان في مقر المكتب الدائم للتعريب يوم الاثنين 8 مارس في العاشرة صباحا .

اصـــــداء :

مـــن الفلبيـــن :

تسلمنا رسالة رقيقة من فضيلة الاستاذ محمد انور بشير مدير دار الكتب لمعهد منداناو العربي بالفلبين يشكر مجلتنا على عنايتها بالدراسات الاسلامية التي تقدمها باقلام علماء مختصين درسوا حقيقة الدين الاسلامي ، ثم قدموه في اسلوب واضح مشوق ، كما يثني على اهتمامنا باخواننا مسلمي الفلبين ، وبالاخص على طلبة العلم بمعهد منداناو العربي وفروعه التابعة لجمعية اقامة الاسلام ... كما تقول الرسالة بان الطلبة يستفيدون مما تنشره « المجلة » التي توضع في المكتبة العامة للمعهد مدة شهر ، ثم ترسل الى المكتبات الفرعية ليعم النفع .

ومجلة « دعوة الحق » اذ تقدر عناية مسلمي الفلبين بما بما نكتبه وتذيعه ، فاننا سنوافيكم بما طلبتموه منا .. والف شكـــر وتقديـــر ...

ومن كيـرالا الهنـد :

كتب الينا الشيخ عمر فاروق مولوي رسالة يخبرنا فيها بان بكيرالا مدرسة عربية عالية ، تضم كثيرا من الطلبة والاساتيذ وقد اطلعوا على مجلتنا في بعض المكتبات ووجدوها حافلة بالمقالات الممتعة والبحوث المستفيضة المتنوعة ، راجين منا ارسال بعض الاعداد حتى يتسنى لهذا البلد ان يطلع على احوال اخوانه المسلمين بالمغرب العربي .

ومـــن ســـوريـا :

الاستاذ ياسين رفاعية سكرتير تحرير مجلة « المعرفة » بالجمهورية العربية السورية كتب الينا رسالة رقيقة يقول فيها :

... بعد غياب طويل اعود لاتصل بكم معتزا جدا بهذه العودة ، واسمح لي ان اشد على يدك لهذا التطور القيم لمجلة « دعوة الحق » والتي ارجو لها دوام الازدهار ...

نشكركم سيدي الاستاذ الجليل على عواطفكم النبيلة ومشاعركم السامية وقد نشرنا قصتكم التي تحمل عنوان : « الراعـــي » ... فشكرا لكم ...

ومـــن لبنـان :

وصلتنا رسالة طويلة وعامرة تشكر ادارة المجلة من الشيخ طه الوالي سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية . ومن جملة ما جاء في هذه الرسالة الكريمة :

« ... ما زلت اتلقى هديتكم القيمة وهي مجلة « دعوة الحق » التي تنطوي صفحاتها على دراسات ممتعة تتميز بالتدقيق والتحقيق ، وتدل على سعة افق كاتبيهـا وعمـق تفكيرهـم واخلاصهم فيما اخذوا انفسهم به من الدعوة الى الاسلام ، وتبيان فضائله ومقوماته السليمة .

وليس من شك في ان « دعوة الحق » تسد فراغا واسعـا في ميدان النشاط الفكري لا سيما لدى المعنيين بشؤون الاسلام والمسلمين ، وانه لمن حسن الحظ ان تجد المملكة المغربية الشقيقة تولي مثل هذا النشاط عناية خاصة عن طريق احدى مؤسساتها الحكومية الهامة ، وهـي وزارة عمـوم الاوقـاف والشـؤون الاسلامية، ذلك بان اصدار مجلة محترمة في حدود غرض ثقافي لهو عمل لا ينهض به الا جهاز قادر وغني حتى تتمكن المجلـة من الانتشار والاستمرار ، وتحقق الهدف من وجودها ، وتؤدي رسالتهـــــا ..

ويطيب لي ـ يقول السيد الكاتب ـ ان انتهز فرصـة الكتابة اليكم لانوه بالجهود الكبيرة التي يبذلها المـؤولون عن المجلة من اجل تطويرها والعناية بها مادة وموضوعا ، سواء من حيث الاخراج او الابحاث حتى اصبحت تضاهـي كبريـات الصحف العلمية في العالم ...

وان القارىء لمجلة « دعوة الحق » يشعر وهو يتنقل بين موضوعاتها المختلفة بانه امام جهد فكري جبار يقدمه نخبة من اهل الفكر والعلم والفضل في اطار جميـل من اللغة السليمـة والرأي الناضج ، والتحقيق الامين .

هذا بعض ما ورد علينا من رسالة الشيـخ طه الوالـــي سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية التي تحمل عواطف طيبة صادرة من قلب مؤمن بالرسالة الاسلامية ، ورسالة الفكر التي تضطلع باعبائها مجلة « دعوة الحق » ، وسوف نرسل لسيادتكم تتمة الاعداد التي تحتاجون اليها مجموعتكم .

اما التحليل لكتاب « قصة الايمان » فانه لم يصلنا ، وفور وصوله فانه يجد متسعا في رحاب « دعوة الحق » .

وتقبلو دعواتنا ، وخالص شكرنا .

ومـــن انجلتـــرا :

« موقف المدنية ازاء الدين »

هذا عنوان لكلمة وصلتنا من انجلترا ، القاها الحاج ابو بكر سراج الدين « عضو انجلترا » في الرابع من ذي القعدة في المؤتمر الاسلامي المنعقد بالازهر الشريف ، ختمها بقوله :

« لا ارى اي علاج لازمة الدين في البـلاد الاسلاميـة الا بالعودة الى تلك المدينة الشريفة التي وظيفتها تكوين بيئة صالحة لروح الدين ميسرة لاقامة شعائره ، ولا يستغني المجتمع عن هذا التيسير ، لان الانسان خلق ضعيفا ، ولا تتسنى تلك العودة الا بالقدوة ، والقدوة تكون من رؤساء الدول الاسلامية ومن رجال الديـــن ...

ومـــن كينيـــا :

من المعلوم انه افتتحت في كينيا جمعية اسلامية باســم « جماعة الدعوة الاسلامية » تضم نخبة من شباب الافارقة يعملون في شتى المجالات . ومن اهدافها :

1) نشر الدين الاسلامي والتعريف به لغير المسلمين .
2) نشر اللغة العربية بين ابناء المسلمين .
3) القاء الوعظ والارشاد في كل مكان وفي جميع انحاء البـــــلاد .
4) التعارف مع الجمعيات الاسلامية العالمية والعمل معهـــــا .
5) ايجاد طريق للصلح بين المذاهـــب .

ويرأس هذه الجمعية الشيخ علوش قاسم مدير مدارس مركز الدعوة الاسلامية بكينيا .

وقد كتب الينا الشيخ علوش هذا رسالة تعبق بالطيبـة والفضل مثنيا على الجهود التي تبذلها المجلة في تنوير الرأي العام الاسلامي قال : « لقد اطلعنا على اعداد من مجلـة « دعوة الحق » التي جذبت انظارنا اليها ، واخذت بقلوبنا بما فيها من مقالات ممتعة وبحوث مستفيضة متنوعة ، وتحليلات لمشكـلات اسلامية ...

انها مجلة للعالم الاسلامي ، ومجلة للمتعلم ، ومجلة لمن يريد ان يستذكر لنا فاته من العلم ...

وقسم التوزيع سيزودكـم بالاعـداد التي تحتاج اليهـا مجموعتكم ، وشكرا على عواطفكم ، ودعوات لكم بالتوفيـــق والنجـــــاح .

ومـــن باريـــس :

نشرت مجلة « اضواء » العربية التي تصـدر بباريس في شهر ابريل من عام 1965 مقالا ادبيا بقلم الاستاذ سيمون جارجي تحت عنوان :

« في سبيل اكتشاف الادب العربي الحديث »

ولاهمية هذا المقال ، وقيمته الادبية احببنا ان نطلع عليه قراء مجلتنا المحترمين ... قال الاستاذ سيمون جارجي :

« لم يكن يعرف في الغرب الى الآن عن الادب العربي سوى اشكال تقليدية قديمة هي آثار تاريخيـة صالحـة للبحوث والدراسات العلمية « الاكاديمية » . وبالرغم من بعض المحاولات الجزئية لم تكن المؤلفات الحديثة قد توصلت بعد الى شق طريق نحو الشهرة والى وجود مكانتها في التراث العالمي مثلما فعل الادب الروسي خاصة في مستهل هذا القرن .

واذا اقتصرنا على بلاد اللغة الفرنسية رأينا ان الاعمال التي قام بها المستشرقون المهتمون بالآثار العربيـة في سبيـل اكتشاف كنوز الادب العربي التي لا تحصى بوجه عام والتعريف بها كان لها حقا فضل وفائدة لا نزاع فيهما ، فان ا. ب. كوسان دي برسفال قد قام في كتابه « بحث في تاريخ العرب قبـل الاسلام » (باريس ، 1847/1848) ثم في كتابـه « مؤلفـون عرب » (1912) بعمل طليعي حيث انـه جمـع منتخبـات من الاساطير والتقاليد الشعرية في بلاد العرب قبل الاسلام تاريخية وادبية في آن واحد .

والكتاب النفيس الذي الفه هنري بيريس بعنوان «الادب العربي والاسلام من النصوص » (باريس 1949) يشمل ميدانا اوسع غير انه لا يزال معنيا بصفة خاصة بالكتاب المغاربة وبعض الكتاب المصريين الذين برزوا في بداية هذا القرن . ومع ذلك فان عمله مرحلة هامة في معرفة النهضة الادبية العربية اذ بعد التجديد الكبير الذي حصل في الميدان اللغوي والفلسفي والديني في نهاية القرن التاسع عشر وفي الربع الاول من القرن العشرين ظهر العالم العربي في حالة قيام تام بحركة ادبية تحمل آثارها طابع العمق والاصالة . فالادب الجديد الذي نشأ في مصر يمكن ان يفتخر باعلام شهيرة امثال :

- الشاعرين : احمد شوقي وخليل مطران .
- القصصيين والباحثين والفلاسفة : طـه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل .
- كتاب القصـص القصيـرة ، الذين يعتبـرون بمثابـة « موباسان » الشرق العربي ، الاخوين محمد ومحمود تيمـــــور .
- ومؤلفي المسرحيات امثال توفيق الحكيم وبشر فارس.

اما لبنان وسوريـا اللـذان شاهـدا ، بسبـب الظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة ، خيـرة أبنائهما يبحثـون عن عن ملجأ في الاقطار البعيدة فانهمـا استرجعاهم في مؤلفـات تهتز احساسا وحنينا وتزيد الحركة التجديدية الادبية العربيـة الكبرى قوة وثروة ، واعني بذلك ادب المهجـر الـذي ابرزه قصصيون واصحاب بوآتير الابحاث امثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وامين الريحاني وشاعر مبدع هو ايليا ابو ماضي.

وقد اصبح العراق من جهته الميدان الامثل لنهضة الشعـر العربي ، الشعراء المحدثون ، جميل الزهاوي ومعروف الرصافي واخيرا محمد الجواهري يضعون نبوغهم في خدمة تجديد المعنى والقالب الشعري ويمهدون الطريق للمدرسة الجديدة في الشعر العربي . وقد امتدت حركة النهضة ، بالرغم من الظروف غيـر الملائمة ، الى المغرب الذي برز في احضانـه شاعر كبير هـو التونسي ابو القاسم الشابي الذي انقطع الامل المعلق عليه بموته باكرا سنة 1936 ولم يتجاوز بعد السادسة والعشرين من العمر .

ولم يتخلف حتى الادب النسوي عن المساهمة في هـذه النهضة ممثلا في امرأة رقيقـة الاحساس هي مـي زيادة التـي سيصبح ادبها مدرسة .

ثم كان لحركة التجديد الواسعة هذه ان تعرف نهضـة ثانية بعد الحرب العالمية الاخيرة بظهور مدارس فنية لـلادب المعاصر يمثلها اعلام نبغاء يطول الحديث عنهم هنا .

وهذه النهضة المزدوجة كانت في آخر الامر من الظواهر التي لها من الاهمية ما لا يمكن معـه عـدم اهتمام المتخصصين والهواة للدراسات العربية في المغرب .

وفي الفترة بين 1930 و 1950 اضيفت الى الاعمال الجزئية التي سبق ان اشرنا اليها ، دراسات وتراجم لأبـرز مؤلفات الكتاب العرب المحدثين لا سيما مؤلفات طه حسين وتوفيق الحكيم وجبران خليل جبران قام بها مستشرقون فرنسيون . ولا يمكن اغفال المساهمة الثمينة التي قامت بها في هذا الميدان مطبوعات متخصصة مثل « نشرة المعهد الفرنسي بدمشـق » و « حوليـات معهد الدراسات الشرقية بالجزائر » و «مجلة القاهرة » التـي تفرغ فيها مستشرقون بارزون امثال كاستون فيت ، وهنـري بيريـس ، وجاك لوسوف لدراسة الادب العربي الحديث والمعاصر كما فعل غيرهم بشأن الادب التقليدي القديم .

وقد اصبح على التعليم الجامعي للغة العربيـة الذي كان يقتصر دائما على دراسة القرون الوسطى وفقا للتقاليد الاكاديمية ان ينفتح هو ايضا بتردد وبالتدريج لبوادر النهضة الادبيـة العربية . وبالرغم من المحافظة على العرف الذي يقضي بانه لا يمكن ان يكون مؤلف لا يزال على قيد الحياة موضوع بحث ، فانه شوهد في جامعة السوربون تقديم اطروحة عن جبران خليل جبران ، بينما صار هـذا المؤلـف العربـي مدرجا في برامج

التعليم بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية وحتى في برامج كلية الآداب الى جانب كتاب لا يزالون على قيد الحياة امثال طه حسين وميخائيل نعيمة . وقد ظهر مختصر « لتاريخ الادب العربي » بقلم ج . م . عبد الجليل (باريس 1943) خصص فيه للنهضة مكانة هامة .

غير ان الادب العربي الحديث قد وجد في ميدان التعليم ، السبيل الى الذيوع في اوربا وبلوغ جمهور يزداد اتساعا . وقد اصبحنا منذ سنة 1950 نشاهد ازدهارا حقيقيا لكتب المنتخبات والمجموعات التي ترمي كلها الى احلال الادب العربي في اوربا المكانة الممتازة التي يعتقدون انه يستحقها .

وقد الف اميل درمنكهيم الذي هو مستشرق ممتاز ومؤلف عدة كتب قيمة ، مجموعة بعنوان « اجمل النصوص العربية » (باريس 1951) يقدم فيها صورة عامة لاهم المؤلفات الممتازة شعرا ونثرا ، ابتداء من العهود الاولى الى العهد الحاضر . وقد وضع مؤلفات الكتاب التقليديين المحدثين والمعاصرين للنهضة في المكانة اللائقة بها .

وفي سنة 1960 ظهر في مطبوعات « دار مارابوت للطباعة في باريس » كتاب بعنوان « شعر عربي » جمعت فيه قصائد من القرن الخامس الى مستهل القرن العشرين ، اختارها وقدم لها بمقدمة ضافية رونيه خوام . ثم ان هذه المجموعة اعيد طبعها تحت اشراف اليونسكو في دار « سيكرس للطباعة في باريس» بعنوان « منتخبات من الشعر العربي » . وهذه المجموعة تبعها منتخبات القصص العربية القصيرة » بتقديم وعرض للمؤلف نفســه .

وفي اكتوبر 1961 ، عقد مؤتمر دولي في روما ضم طائفة من المستشرقين البارزين الفرنسيين والايطاليين والانكليز والالمان والامريكيين وكتاب عرب ، حول موضوع « الادب العربي المعاصر » اثباتا للاهتمام المتزايد الذي يبديه ، نحو هذا الادب ، المتخصصون والباحثون الجامعيون انفسهم .

وقد امتد هذا الاهتمام الى مراكز اخرى غير باريس ، ففي بروكسل صدر عدد خاص من مجلة (L'VII) خصص للشعر العربي الناشيء بعنوان « مقدمة الى اكتشاف » تحلل فيها الآنسة لوك نوران قيم هذا الشعر الناشيء تحليلا دقيقا عميقا . (بروكسل 1961) .

وانه لاهتمام جديد يكاد يكون مستمرا في المطبوعات الدورية المتعلقة بالشرق ان يخصص قسم منها لترجمة المؤلفات الادبية العربية الحديثة وتحليلها مثلما تفعل ذلك ، منذ 1960 والى يومنا هذا ، هذه المجلة الممتازة « اوريان » (شرق) التي تصدر في باريس .

ان الاقدام على مثل هذا العمل يبدو اكثر طموحا عند ما يكون الامر متعلقا بما اقدمت عليه اخيرا دار للطباعة كبيرة في باريس هي « لوسوي » التي ترمي الى توسيع نشر مؤلفات الكتاب العرب الحديثة ، وقد صدر اخيرا في نطاق مجموعة المنتخبات المتوقع طبعها ، مجموعة اولى بعنوان : « منتخبات من الادب العربي المعاصر » الجزء الاول ، الرواية والقصة القصيرة جمعها راؤول مكاريوس (باريس 1964) وينسب الاستاذ جاك بيرك ، الاستاذ بالكوليج دو فرانس الى هذه المجموعة المنتخبة اهدافا انسانية عالية في مقدمة وافية دقيقة وضعها لها قائلا : « ان ادراك التصور للحياة عند العرب والقاء نظرة شاملة معهم على مشاكلهم ، التي معظمها يخصنا ايضا ، هي غاية هذه المجموعة من المنتخبات » (ص . 5)

وفي نهاية الامر انما توجد الاصالة والقيمة الانسانية العميقة للادب العربي الحديث في ذلك البحث الشوق عن جميع الاشكال الجمالية لما هو سام وجميل ، التي اجادت اللغة العربية والاسلوب العربي في كل زمان تقديم امثلة رائعة منها . ذلك « ان العظمة الحقيقية » على حد قول مستشرق من الاعلام كان قد حضر مؤتمر روما وادلى بحكمه في بعض تناقضات التجربة الادبية الحالية في العالم العربي ومبالغاتها « ليست في الجمود الهادىء بل انها في النشاط المتسم دائما بالتيقظ » .

(الادب العربي المعاصر . اعمال مؤتمر روما المنعقد بين 16 و 22 اكتوبر 1961 ـ الملحق الفرنسي ص . 0) .

ومــن المغــرب :

كل صباح يلقي الينا البريد طائفة من الرسائل والقصائد والكلمات والبحوث ، وكلها عزيزة علينا وغالية يستحثنا فيها اصحابها بنشرها في الحين .

ونحن نرجو من مراسلينا المحترمين ان لا ينزعجوا لتاخير نشر ابحاثهم ومقالاتهم وقصائدهم ، اذ ان العدد قد يضيق عن ادراج كل ما يرد علينا .

فالمجلة لا تالو جهدا في ارضاء رغبات مكاتبيها ومراسليها على شريطة ان تتوفر عناصر الاجادة وما يلائم مستوى المجلــة وما لا يناهض تعاليم الاسلام . . .

رابطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكــر

وفاتنا مكتب الرابطة بتاريخ 10 مارس بملتمسات كان قد قررها في اجتماعه يوم 13 مارس 1965 تتضمن طلبا من المسؤلين على ان يعملوا للقضاء على ام الخبائث ، واستئصال جرثومة هذا الداء ، وقد دعموا هذه الملتمسات بآيات قرآنية واحاديث نبوية في شأن تحريمها بيعا وشراءا ، كما اتوا بحجج لاساطين الفكر والعلم والطب بدول الغرب . . .

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في بنـاء المساجـد

ـــ مافتئت وزارة عموم الاوقاف والشوؤن الاسلامية تولي عنايتها الكبرى لتقوية الجانب الروحي ، والعمل على تلبية اشواق المواطنين الدينية في هذا البلد المسلم .

وهكذا فقد وضع معالي وزير عموم الاوقاف والشوؤن الاسلامية يوم السبت 20 مارس وبامر من صاحب الجلالة حفظه الله الحجر الاساسي لبناء مسجد بكل من تيداس وولماس .

كما سيشيد بجوار كل مسجد من هذين المسجدين كتاب قرآني لتعليم الاطفال كتاب الله ومبادىء القراءة والكتابة .

ـــ كما وقع تدشين مسجدين جديدين في يوم الجمعة 2 ابريل ، اعادت بناءهما الوزارة ، وهما مسجدان تزارت وتزران بيني ورياكل من اقليم فاس .



منظر دوار تزران السفلى بقبيلة بني ورياكل بأحواز فاس ، ويوجد بوسطه مسجد تزران الذي وقع تدشينه يوم الجمعة ثاني ابريل سنة 1965 بمناسبة اصلاحه .

وقد تم هذا التدشين في حفل ديني وشعبي رائع ، ختم بالدعاء لمولانا امير المومنين جلالة الحسن بدوام العز والنصر

مسجـد الشهـداء

وفي سلسلة النشاطات التي تقوم بها الوزارة في رفع المستوى الروحي للمومنين والابقاء على الحضارة الاسلامية الخالدة قام معالي وزير عموم الاوقاف والشوؤن الاسلامية عشية يوم الاثنين 5 ابريل بتدشين مسجد الشهداء العتيق بسلا حيث ادى فيه صلاة العصر صحبة عامل مدينتي الرباط وسلا وباشا المدينة والقاضي والناظر واعيان المدينة .

وبعد اداء صلاة العصر ، والدعاء لمولانا الامام القى معالي الوزير كلمة عبر فيها عما للمساجد من اثر بليغ في رفع المستوى الديني ، كما اعرب عن امتنان الامة جمعاء لمولانا المنصور بالله الذي ما فتىء حفظه الله يولي كل عنايته لشوؤن الدين ، ويصدر تعليماته السامية لبناء المساجد والمعاهد وعمارتها .

ـــ وفي 20 ابريل قام معالي وزير عموم الاوقاف والشوؤن الاسلامية بوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بطنجة كما دشن معاليه القسم الداخلي لمدرسة المقرئين التي تحمل اسم ولي العهد المحبوب سيدي محمد بدار زهيرو .

وتوجه معاليه الى مدينة اصيلا لوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد آخر بهذه المدينة حيث تم هذا التدشين في جو رائع حضره كثير من المومنين خطب فيه معالي الوزير خطبة جامعة اشار فيها الى الاعمال الجبارة التي تقوم بها وزارة عموم الاوقاف والشوؤن الاسلامية ، وختم بالدعاء لمولانا امير المومنين نصره الله .

وفي الميـدان الفلاحـي :

« اصلاح الزيتـون القديم »

اعطيت جميع التعليمات الى النظار لكي يسرعوا في اجراء عمليات التخفيف والسقي والتسميد والتقليم تحت اشراف النواب وبمعونة خبراء فلاحين والشيء الذي يحمل على الارتياح هو ان النتائج بدأت تلوح بوادرها على ضوء المقارنة الممكن اجراؤها بين نتائج بيع الغلال قبل تطبيق هذه العمليات وبعد ادخالها في حيز التنفيذ .

وفي كثير من الاحيان كانت نسبة الزيادة في نتائج بيع الغلال تتراوح ما بين خمسة مائة في المائة وثمانمائة في المائة .

ويتعلق ذلك على الخصوص بنواحي **فاس ـ زرهون ـ صفرو ـ مراكش ـ وزان** .

مشـــروع الغـــرس المعـــد لسنـــة 1965

النظـــارات	الزيتـــون: مباشـــرة	الزيتـــون: من طرق الغير بالثلـــث	اللوز والمشمش والتين: مباشـــرة	الكليتـــوس: مباشـــرة	الكليتـــوس: بمعونة ادارة المياه والغابات
1) وجـــدة					90.000
2) تـــازة		7.000			
3) القرويين	10.000				
4) احواز فاس	10.000				
5) المارستـــان	1.500	1.500			
8) زرهـــون	10.000				
9) صفـــرو	3.000				
10) مكنـــاس			3.400		
16) وزان	3.000	10.000			
22) الناظـــور			7.500	50.000	
24) الجديـــدة					150.000
25) آسفـــي				50.000	
26) الصويـــرة					200.000
الجملـــة	37.500	18.500	10.900	100.000	440.000

مجمـــوع اشجـــار الـــزيتـــون . 56.000
مجموع اشجار اللوز والمشماش والتين . 21.800
مجمـــوع اشجـــار الكليتـــوس : 540.000
مجمـــوع الاشجـــار باختلاف الانـــواع : 617.800
المســاحـــــة الكليـــــة : 1.114 م

المسافات في وزارة عمـوم الاوقـاف

في كثير من الاحيان يتعذر على الوزارة القيام بعمليات التجفين والتقليم والتسميد والسقي في الاراضي المغروسة قديما باشجار الزيتون والتي توجد على مسافات بعيدة من المراكز العمرانية وفي اماكن وعرة يصعب الوصول اليها بوسائل التنقل العادية كما ان اشجارها تبعد عن بعضها بمسافات تقدر احيانا بالكيلومترات .

ولكن هذه الحالة لم تمنع الوزارة من اتخاذ اجراءات تكون كفيلة باجتناب وقوع اية خسارة في الاشجار بسبب عدم استفادتها من الاشغال الفلاحية الآنفة الذكر والتي يطلق عليها اسم المساقات .

فهذه الطريقة التي ادخلت عليها تحسينات فنية تقترن مع الاتجاه الذي تشير عليه الفلاحة الحديثة والذي يتضمن ما يأتي :

يقع الاختيار في كل قبيلة من قبائل اقليم معين على جماعة من الفلاحين المقتدرين لتسند اليهم مهمة صيانة عدد من اشجار الزيتون الحبسية حسب الشروط الفلاحية المعمول بها في الوزارة .

وعند متم كل سنة فلاحية تقع مراقبة الاعمال التي قاموا بها فان كانت موفقة ومرضية تمنح لهم نسبة من الانتاج بعد بيع الغلال عن طريق السمسرة العلنية فمنهم من يحصل على ثمن الغلة ومنهم من يستفيد من مدسها الخ .. وذلك حسب النواحي وحسب انواع الغلال وكذلك النشاط الذي يبذله كل فلاح انيطت به هذه المهمة .

ولكي يقع التأكد من قيام كل مساقي بانجاز ما تعهد بتنفيذه تحضر اوراق مطبوعة مشتملة على جميع البيانات والتوقيعات فترفع الى الوزارة من طرف الناظر حيث تنفذ على ضوئها واجبات هؤلاء الفلاحين .

ويرتكز نظام المسافات على نظام المساجد لان كلما كان مسجد معين يملك شيئا من الاشجار الا ويوجد من بين السكان المجاورين له فرد او افراد يتكفلون بصيانتها حسب القوانين الجاري بها العمل في حظيرة وزارة عموم الاوقاف .

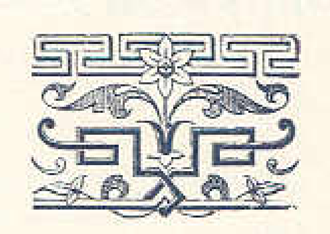
قسم الشؤون الاسلامية :

مكتبة دار الحديث

بمجرد ما اعلن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عن تأسيس « دار الحديث الحسنية » كان اول ما اتجهت اليه انظار معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية هو انشاء مكتبة شاملة لكل المراجع التي تقوي موضوعات الدراسة ، وتفي بمطالب الاساتذة والطلبة ، حيث ان المكتبة هي الدعامة الاولى في كل المؤسسات الثقافية ، وذلك بوصفها مكانا للارشاد ، ومركزا للبحث والاستفادة ، وناهيك بمؤسسة كدار الحديث الحسنية التي تعتبر خطوة جديدة في تطور التعليم العالي بالمغرب .

وفعلا ، فما ان مرت هذه الفترة الوجيزة على ابتداء الدراسة بدار الحديث الحسنية حتى اصبحت بها اليوم مكتبة زاخرة بانفس كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والادب والفلسفة والدراسات الاسلامية الحديثة ، يقدر عددها بنحو 4.500 مجلدا .

هذا ، والنية معقودة على تنمية رصيد هذه المكتبة الى ان تصبح شاملة لامهات الكتب التي تعتبر مصادر حيوية للتراث الاسلامي ، ومرآة صافية للتطورات التاريخية والسياسية والفكرية والاجتماعية في العالم مما له علاقة باهداف هذه المؤسسة العظيمة .



أنباء ثقافية

※ اقيمت فى مختلف المنظمات الثقافية في البلاد العربية حفلات تأبينية للشاعر الفقيد بدر شاكر السياب ، وفي المغرب احتفل بهذه الذكرى « اتحاد كتاب المغرب العربي » بمركزه

※ صدر للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون كتاب « عجالة المبتدأ وفضالة المنتهى » وهو مخطوط من تاليف الامام الحافظ ابى بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الحمدانى ، حققه وعلق عليه الاستاذ كنون ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

※ عقد فى هذا الشهر بمدينة الرياض بمناسبة موسم الحج المؤتمر الاسلامي . وقد وجهت الدعوة لحضوره الى جميع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ؛ والى الشخصيات الاسلامية المفكرة البارزة في ميادين التاليف والبحث . وقد مثل المغرب فى هذا المؤتمر الاستاذان الكبيران علال الفاسي ، وعبد الله كنون .

※ زار المغرب فى غضون الشهر الماضى المدير العام لمنظمة اليونيسكو رفقة السيد المهدي المنجرة احد المساعدين الاقربين له . وتدخل هذه الزيارة فى اطار المهام العامة لمنظمة اليونيسكو . وقد دشن المدير العام لليونيسكو السيد ماهو ، رفقة وزير التربية ؛ ورئيس جامعة محمد الخامس مدرسة الابحاث الادارية بمدينة طنجة .

※ منحت جامعة الآداب بالقاهرة الدكتوراة الفخرية فى الآداب لجلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة زيارته الكريمة للجمهورية العربية المتحدة .

※ « حب » اسم ديوان جديد سيصدر للشاعر المغربي ابراهيم السولامي بتقديم الاستاذ محمد برادة

※ صدر حديثا عن دار الكتاب بالدار البيضاء كتاب « تاريخ العالم المعاصر » لمؤلفه الاستاذ عبد الله العمراني . يقع الكتاب فى 430 صفحة من القطع الكبير

※ اصدر الكاتب الانجليزي روم لاندو كتابا جديدا عن جلالة الملك الحسن الثاني وقد سبق للمؤلف الانجليزي ان اصدر عدة كتب عن المغرب قبل الحماية وبعدها .

※ صدر للاستاذ علال الفاسي فى الشهر الماضي كتاب جديد بعنوان « معركة اليوم والغد »

※ قامت شركة بريطانية بتسجيل مذكرات ابن بطوطة الرحالة المغربي الشهير الذي عاش فى القرن الرابع عشر على الميكروفيلم .

※ صدر مؤخرا عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في سلسلتها التاريخية الجزء الاول من كتاب « ترتيب المدارك » وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » لمؤلفه القاضي عياض . عارضه باصوله وعلق حواشيه وقدم له الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

※ بمناسبة اليوم العالمي للمسرح نظم النادي الثقافي لوزارة الشبيبة والرياضة بالرباط حفلة مسرحية كبرى بمشاركة عدة جمعيات تمثيلية .

※ اصدرت مطبعة القصر الملكي اخيرا ديوانا يحمل اسم « حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر العرش العلوي » للاديب الوزير السيد محمد المعمري الزواوي وزير القصور الملكية والاوسمة .

※ يصدر قريبا العدد الثالث من مجلة « البحث العلمي » التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي. وقد شارك فى هذا العدد الاساتذة : الناصر الفاسي ، ومحمد الفاسي ، واحمد الاخضر ، وعبد القادر زمامة ، وسعيد اعراب ، ومحمد برادة ، وعبد الله كنون ، وعبد اللطيف الخطيب ، ومحمد المنوني ، والحسن ابن عبد الوهاب ، وانور الجندي ، وعبد

العزيز بلال ، وشارل اندريه جوليان ، ومحمد زنيبر ، والمهدي مبارك ، وعبد السلام الديوري ، ومحمد البوزيدي ، ويقع في حوالي 300 صفحة .

※ يصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « الاكسير في فكاك الاسير » لمؤلفه ابن عثمان، وقد حققه وعلق عليه واثبت فهارسه الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس كما يصدر لنفس الاستاذ تحقيق رحلة العبدري .

※ زار المغرب في الشهر الماضي الروائي والقصصي الايطالي المعروف البيرتومورافيا . وأقام في مدينة مراكش . وزار بعض كبريات المدن المغربية وكان برفقة مورافيا كاتبان ايطاليان مشهوران هما مرايين ، وباسولين . وقد استغرقت زيارتهم للمغرب شهرا كاملا .

※ عقد في بغداد مؤخرا مؤتمر الادباء العرب في موضوع (دور الادب في معركة التحرير والبناء في الوطن العربي) حضرته عدة شخصيات ادبية من جميع بلدان العالم العربي ، وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر الاستاذان عبد الكريم غلاب ، والحسن السائح .

※ ستصدر دار الكتاب بالدار البيضاء الطبعة الثانية من كتاب « فوارة الظما » لمحمد الصباغ في بيروت ، وقد سبق لهذا الكتاب ان طبع بتونس منذ سنتين .

※ صدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بالرباط العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي » التي تعنى بالابحاث اللغوية ونشاط الترجمة في العالم العربي ، وقد شارك في هذا العدد الاساتذة : عبد الله كنون ، الدكتور احمد الحوفي ، محمد داود ، عبد الحق فاضل ، الدكتور خير الدين حقي ، محمد المختار السوسي ، عبد الهادي التازي ، الدكتور يحيى الخشاب ، جمال الدين الشيال ، الدكتور توفيق المنجد ، الدكتور سهيل العشي ، حسن الدجيلي ، عيسى الناعوري ، سليم حيدر ، جورج كولا، عبد العزيز بن عبد الله ، شومان ، محمود تيمور ، زكي طليمات : ويقع هذا العدد في 150 صفحة من الحجم الكبير .

※ تقدم الاستاذ حسن السائح الى كلية الآداب برسالته عن « الرحلة الحجازية المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المشرق » وذلك من اجل نيل ديبلوم الدراسات العليا .

※ سيؤسس في دكار مركز لبناني ثقافي ودار المعلمين .

※ صدر بالاردن اخيرا مرسوم ملكي يقضي بالموافقة على اتفاق قضائي وآخر ثقافي بين الاردن وتونس .

※ عقد في باماكو مؤتمر اتحاد محطات الاذاعة والتلفزة الوطنية الافريقية .

※ اتخذت حكومة مدغشقر ، ضمن برنامج السنوات الخمسة 64 / 68 مجموعة من الاجراءات الكفيلة بتصفية الامية في جميع انحاء الجزيرة الكبيرة ، هذا مع العلم ان نسبة الامية بين السكان الآن تبلغ 65 في المائة .

※ سينعقد مهرجان ابي القاسم الشابي بتونس في شهر اكتوبر المقبل وكان مقررا قبل التاجيل أن ينعقد في شهر فبراير الماضي .

※ سيفتتح قريبا بجامعة الجزائر معهد عال للصحافة ، وسيقبل المعهد طلابا عديدين من البلاد الافريقية . وحددت الدراسة فيه لمدة ثلاثة اعوام .

※ تأسست في ليبيا لجنة عليا لرعاية الآداب والفنون تابعة لوزارة الانباء والارشاد بها .

※ ستؤسس بليبيا قريبا أول وكالة للانباء .

※ « عبقرية العقاد » كتاب جديد يصدره ادباء حضرموت عن العقاد بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته .

※ في سلسلة « مفاهيم اسلامية » اصدر الاستاذ محمد جلال كشك كتابه بعنوان « الغزو الفكري » .

※ عثر في مصر على ديوان شعر لابي العلاء باسم « استغفر واستغفري » وهو يشتمل على عشرة الاف بيت .

※ يعكف الدكتور طه حسين على اتمام كتابه « الفتنة الكبرى » وينوي بعد ذلك املاء الجزء الثالث

والاخير من « الايام » حيث يروي فيه تاريخ حياته بعد الازهر ودراسته فى اوربا ونشاطه الادبي والسياسي .

※ لم تجد لجنة المصطلحات العلمية فى المجمع اللغوي بالقاهرة افضل من الكلمة الانجليزية « ترانزستور » للدلالة على آلات الراديو الصغيرة .

※ يطبع الآن فى القاهرة كتاب « نشأة القصة القصيرة فى مصر » لمؤلفه عباس خضر ، وذلك بقرار من المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة .

※ احتفل العالم العربي بتاريخ 22 مارس الماضي بالذكرى العشرين لتأسيس الجامعة العربية .

※ تم فى القاهرة تسجيل الفين وثمانية وعشرين مخطوطا تمثل فى مجموعها تسعمائة الف صفحة على افلام صغيرة الحجم قامت بتصويرها بعثة سينمائية من اليونيسكو ، أمضت فى الجمهورية العربية المتحدة خمسة عشر شهرا ابتداء من شهر فبراير عام 1963.

اما المخطوطات التي تم تسجيلها فهي مقتنيات جامعة الازهر والمكتبة الاهلية ، وقامت باختيارها لجنة شكلت لهذا الغرض لتقدير اهميتها التاريخية وتتناول المخطوطات موضوعات فى شتى ميادين العلم والمعرفة والثقافة ، ومخطوطات دينية وعلمية وادبية وفلسفية وتاريخية وقانونية وغير ذلك .

وسيكون الآن في الوسع توفير هذه المخطوطات للطلاب والباحثين دون ان يخشى عليها من تداولها .

وقامت بعثة اليونيسكو ، اثناء هذه المهمة ، بتدريب عدد من السينمائيين المصريين على هذه العملية الفنية الدقيقة المتسمة بأهمية بالغة .

※ « الرائد الصغير » اسم معجم يتم طبعه في القاهرة .

※ احرزت جامعة الازهر على خمس منح دكتوراه قدمتها اليها فرنسا .

※ وضعت الآنسة خالدة تبسم كتابا باللغة الاوردية عن الاندلس فى عهد العرب والمسلمين وهو ترجمة للفصل السابع من الجزء الثاني لكتاب « قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور » للعلامة محمد جميل بيهم مع تعليقات عليه استندت فيها الى تآليف عربية وشرقية عديدة .

※ سيصدر المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنون بالقاهرة اخيرا مؤلفا عن تاريخ العرب وحضارتهم مشتملا على 8 أجزاء .

※ نعت القاهرة الكاتب والصحفي المرحوم فخري المنقبادي .

※ عقد مؤخرا فى بغداد مؤتمر نشر الثقافة العربية فى الخارج . وقد حضر فى هذا المؤتمر مندوبون من الدول العربية الاعضاء فى الجامعة ووفد من الامانة العامة للجامعة . وقد انتخب رئيسا لهذا المؤتمر السيد محمد شاكر .

※ « بغداد مدينة السلام » مخطوطة لابن الفقيه الهمداني يقوم بتحقيقها الدكتور حسين علي محفوظ .

※ كتاب « الاصطلاحات الموسيقية » للكاتب التركي كاظم صدر فى بغداد وقد قام بترجمته الى العربية ابراهيم الدقوقي ، ويشتمل الكتاب عن معلومات هامة عن الموسيقى الشرقية وآلاتها عامة ، والموسيقى العربية وطريقة المقامات المندثرة والمتداولة وطريقة آدائها .

※ هذه هي اسماء الدواوين التي خلفها الفقيد الشاعر بدر شاكر السياب الذي توفي مؤخرا : (المومس العمياء) (الاسلحة والاطفال) (انشودة المطر) (المعبد الغريق) (منزل الاقنان) (شناشل ابنة الجلبي) .

※ انتهى المؤرخ احمد قدري كيلاني من تحرير كتابه عن تاريخ مدينة حماه منذ اقدم العصور حتى الحرب العالمية الاولى .

※ ديوان رشيد الهاشمي صدر عن مطبعة المعارف ببغداد اخيرا ، وهو من جمع وتحقيق عبد الله جبوري

※ عن مديرية الفنون والثقافة الشعبية ببغداد صدر كتاب « الصدق والاصالة فى الشعر الشعبي العراقي » لمؤلفه جميل الجبوري .

※ اكتشفت بعثة آثار عراقية ، بين اطلال بالقرب من الكوفة جنوب بغداد ، نصوص غريبة مكتوبة بالخط الكوفي يعتقد انها اقدم ما عرف من كتابة في الاسلام .

ويرجع تاريخ المكان الذي وجدت فيه هذه النصوص الى العام السابع عشر الهجري (او عام 622 الميلادي) . ومعنى هذا ان تاريخ كتابتها يسبق ببعض سنين تاريخ وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، في العام الحادي عشر الهجري هذا ، بينما يرجع تاريخ ما هو معروف ، حتى الآن ، من نصوص قديمة الى العام الحادي والثلاثين .

وتقوم الآن مصلحة الآثار العراقية بفك خطوط هذه النصوص التي اكتشفت في الكوفة .

※ اقيم في بيروت احتفال تذكاري بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة الكاتب اللبناني الكبير امين الريحاني

※ « مرفأ الذكريات » ديوان جديد صدر حديثا للشاعر هلال ناجي من لبنان .

※ يعاد في بيروت طبع كتاب « تاريخ نجد » للمرحوم امين الريحاني .

※ تألفت في لبنان جمعية باسم « اصدقاء المؤلف »

※ من الكتب التي صدرت أخيرا في لبنان : « جنازة كلب » لابراهيم سلامة . و « طائر بلا جناح » لهدى خوري . و « المدار المغلق » لجبرا ابراهيم جبرا . و « بيروت ولبنان في عهد آل عثمان » ليوسف الحكيم .

※ صدر في بيروت في الشهر المنفرط ديوان للشاعرة غادة سلهب بعنوان « اوراق عمر » .

※ الشاعر بلند الحيدري صدرت له مجموعة شعرية بعنوان : « خطوات الغربة » في بيروت

※ « عشتروت وادنيس » ملحمة شعرية صدرت في بيروت للشاعر فؤاد الخش صاحب « سوار الياسمين » .

※ قام الاستاذ احمد غريبة بترجمة رواية محمد ديب المسماة « في المقهى » الى اللغة العربية .

※ صدرت في بيروت مجلة شهرية بعنوان «الرحمة»

※ انتهى العلامة محمد جميل بيهم من تحرير الجزئين الاول والثاني من كتابه المطول الخطوط الكبرى في تاريخ العرب السياسي » .

※ صدرت طبعة ثالثة لكتاب « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » تأليف جورج صيدح .

※ صدر في بيروت كتاب « الاستعمار عدو العرب » لمؤلفه سليمان ابو زيد .

※ اصدرت الكاتبة اللبنانية ثريا ملحس كتابا بعنوان « القيم الروحية في الشعر العربي المعاصر قديمه وحديثه حتى منتصف القرن العشرين » .

※ افتتحت اللجنة الامية لحقوق الانسان في 22 مارس الماضي في جنيف مؤتمرها الحادي والعشرين. وكان موضوع هذا المؤتمر ابرام اتفاق حول القضاء على التعصب الديني في جميع اشكاله .

※ « محاضرات حاملي جائزات نوبل في الطب » اسم كتاب يعكف على تحريره الدكتور محمد يحيى الهاشمي من سوريا .

※ « الحلقة الخضراء » اسم جمعية جديدة تأسست اخيرا في سوريا .

※ سيؤسس بالمملكة السعودية معهد للابحاث الصناعية .

※ ستنشيء وزارة المعارف السعودية مكاتب ثقافية في جميع بلدان اوربا .

※ صدر للروائي السوري فاضل السباعي كتاب بعنوان « رياح كانون »

※ ذكرت نشرة لمنظمة اليونيسكو ان توزيع الصحف في العالم ارتفع بحوالي 20 بالمائة في السنوات العشر الماضية وبلغ مجموعه 300 مليون نسخة يوميا .

※ ستعرض في قاعات متحف اللوفر تحف فنية دانماركية نفيسة . ومن بين هذه التحف كأس ذهبي للملك كريتيان الرابع ، ولوازم للمائدة كان يستعملها الملك فردريك .

⁕ قامت اليونيسكو لاول مرة ، بتكليف احد الخبراء بالعمل على اعداد وتنظيم منهج دراسي لمعلمي مدارس اللاجئين العرب ، التي تعينها الامه المتحدة وتشرف عليها اليونيسكو ويبلغ عدد التلاميذ الذين يترددون على هذه المدارس مائتي الف تلميذ عربي يعيشون في بلاد عربية مختلفة (الاردن ، ولبنان ، وسوريا ، وقطاع غـزة في الجمهورية العربية المتحدة .)

وقد صرح هذا الخبير اثناء زيارته الاخيرة لمقر اليونيسكو بباريس بان 90 ٪ من هؤلاء المعلمين اي ما يقرب من 4،000 معلما لم يحصلوا على التدريب الكافي ، ولا يستطيعون في الوقت نفسه ترك مهنتهم لاستكمال تدريبهم . ولذا فان برنامج التدريب بطريق المراسلة يعد في الواقع ملائما لاستيفاء هذه الحاجة. ونذكر اخيرا ان هذا الخبير هو المستر جون كلارك ، الموظف بالحكومة الاسترالية والمعار الآن للاونروا .

⁕ جاء في نشرة « انباء اليونيسكو » في عددها الاخير : « ان عدد الاميين في البلاد العربية يقدر بحوالي خمسين مليونا من الناس » .

⁕ تفيد حولية اليونسكو الاحصائية ان 72 بلدا واقليما من بين 139 بلدا تناولها الاحصاء ؛ تملك حتى عام 1960 مكتبات وطنية تقع على عاتقها مهمة حفظ التراث الادبي ، وان الاتحاد السوفييتي يمتلك وحده ست عشرة مكتبة وطنية تضم ما يقرب من اثنين وستين مليون مجلدا . اما الولايات المتحدة الامريكية فتمتلك مجموعة ن المجلدات تقدر بما يقرب من اثنى عشر مليون مجلد تحتفظ بها في مكتبة وطنية واحدة ، هي مكتبة الكونغرس .

اما بالنسبة لفرنسا ، فان مكتبتها الوطنية تضم ستة ملايين من المجلدات وفي اليابان مكتبة للدولة تحتوي على ما يقرب من 5،200،000 مجلد . على ان هذه الاحصاءات تجاوزتها مع هذا احصاءات بعض البلاد الاخرى ، مثل المملكة المتحدة التي تمتلك تسعة ملايين مجلدا موزعة على ثلاث مكتبات وطنية ، ورومانيا التي يتيسر فيها 8،300،000 مجلد موزعة بين مكتبتين ، وايطاليا التي تتوفر على ثمانية ملايين مجلد تقتسمها فيما بينها سبع مكتبات مركزية . وتمتلك كل من جمهورية المانيا الاتحادية ، والمانيا الشرقية ، عددا يقل عن ستة ملايين من المجلدات ، كما تمتلك تشيكوسلوفاكيا اقل من اربعة ملايين من المجلدات ، في حين يقل عدد المجلدات عن مليونين اثنين في معظم البلاد الاوربية الاخرى ، وكذلك في شيلي ، والهند ، ونيوزيلانده .

وتتناول حولية اليونيسكو الاحصائية عدد ومحتويات المكتبات العامة . فاذا استثنينا كلا من الاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة الامريكية ، نجد فيما يتعلق بالمكتبات الجامعية ان اليابان فيها 742 مكتبة (بها 35 مليون مجلد) ، وان المملكة المتحدة فيها 632 مكتبة (تضم اكثر من 21 مليون مجلد) وان كل من يوغوسلافيا وكندا بها اكثر من ثلاثمائة مكتبة جامعيـة .

اما فيما يتعلق بالمكتبات المدرسية ، فتجدر الاشارة الى المجهودات الكبيرة التي بذلها بعض البلاد في هذا الميدان . ومثال هذا ان بالعراق 3270 مكتبة مدرسية ، وفي الصين (فرموزة) 1843 مكتبة مدرسية، وفي الاردن 1143 مكتبة مدرسية ، وفي الجمهورية العربية المتحدة 926 مكتبة مدرسية . ويلاحظ فيما يتعلق بالمكتبات العامة ان في اندونيسيا 1634 مكتبة تضم اكثر من مليون مجلد وان في الكونغو (ليوبولدفيل) 427 مكتبة تضم اكثر من نصف مليون مجلد .

⁕ وافق مؤتمر اليونسكو العام في دورته الثالثة عشرة على قرارين ، يدعو في اعداد احدهما الدول الاعضاء الى تشجيع اعمال البحث التي تسهم في اعداد « تاريخ عام لافريقيا » والقرار الثاني هو اتخاذ الاجراءات الضرورية من اجل اعداد ونشر هذا المؤلف خلال مدة عشر سنوات اي ابتداء من عام 1965 الى عـام 1970 .

⁕ يعتبر متحف لندن من اعظم متاحف العالم بما يحتوي عليه من كنوز تاريخية وتراث أثري ثمين وهو الى جانب ما يحتوي عليه من مخلفات العصور اليونانية والرومانية والمصرية ومن انواع العملات القديمة والمخطوطات النادرة تقوم ايضا اعظم مكتبة تشمل مؤلفاتها كل باب من أبواب المعرفة البشرية . ويزور الطلاب والبحاثون من شتى اصقاع الارض هذه المكتبة التي تضم ستة ملايين كتاب .

⁕ صرح محاضر في جامعة كامبردج ، الى وكالة الصحافة اللندنية ، ان مركز الشرق الاوسط من الجامعة حريصا على تاسيس اتصالات مع العالم العربي في الميدان الدراسي ، وانه سيوجه الدعوة الى ادباء ومفكرين للمشاركة في « مختلف مشاريعنا الادبية واللغويـة » .

ويزمع الدكتور . ب . سارجنت ، المحاضر في كلية ترينتي ، والعضو في مركز الشرق الاوسط تحقيق هذا الهدف باجراء تلك الاتصالات اثناء جولته التي سيقوم بها في هذا الشهر تحت اشراف المجلس الثقافي البريطاني والتي سيلقي اثناءها عددا من المحاضرات. وهو خبير في التاريخ الاسلامي وسيقدم محاضرتين في دار الثقافة في تونس كما سيلقي محاضرات في سوسة وقابس وصفاقص .

وقال الدكتور سارجنت : « الى جانب المحاضرات العامة ساتكلم امام طلاب الجامعات والمدارس الثانوية حول ثلاثة مواضيع رئيسية وهي : التغيرات الاجتماعية في الجنوب العربي ، واهمية الكتابات الاسلامية في دراسة التاريخ الاسلامي القديم ، والفن الشعبي في اللغة العربية المعاصرة » .

※ نظمت اليونيسكو في ناجبور بالهند حلقة دراسية عن الاساليب الخاصة باعداد الصحفيين في جنوب وشرق آسيا . وقد دعيت ثلاثة عشر بلدا الى ايفاد بعض الخبراء الى هذا الاجتماع للتباحث في اساليب وبرامج الاعداد الصحفي .

※ صدر في لندن معجم يتضمن ما يقرب من 750 صفحة بها الف مصطلح رئيسي لعلم الاجتماع والعلوم الاقتصادية ، والسياسية ، وعلم النفس الاجتماعي ، وقد اشترك ما يقرب من 270 متخصصا في مختلف هذه الميادين العلمية من بريطانيا ، والولايات المتحدة الامريكية في وضع المصطلحات .

※ ابتكر مصنع بريطاني آلة طابعة تستطيع ان تقوم بعمل عدة آلات طابعة دفعة واحدة ، ويعتقد انها الآلة الوحيدة من نوعها في العالم .

※ تم في بريطانيا تطوير دماغ الكتروني نموذجي لقاعة الدرس يستطيع القيام بمختلف عمليات الدماغ الالكتروني الكامل وذلك ليكون بمثابة نموذج لتعلم مباديء عمل الدماغ الآلي .

※ يعد في الباكستان الآن متحف هام ليضم الادوات التي كشف عنها في « موهانجوداروى » الواقعة في وادي السند ، في منتصف الطريق بين البنجاب والبحر . ومعروف ان هذه البلدة القديمة التي ربما يرجع تاريخها الى 500 3 سنة ق.م. والتي دمرها الآريون بعد ذلك بالفي عام ، قد كانت مركزا رئيسيا من مراكز الحضارة السندية التي ماتزال بعض جوانبها غير معروفة حتى الآن .

※ نعت روما مستشرقها الكبير مارتينو ماريو موورينو الذي قام بترجمة عدة ابحاث وكتب عربية الى اللغة الايطالية .

※ اشار مؤرخ الآثار القديمة ، مرارا وتكرارا الى وجود بلدان انشأها الاسكندر الاكبر وخلفاؤه في افغانستان والمناطق المجاورة . ولكن ظلت هذه المدن مجهولة حتى الآن ، باستثناء « كاندار » وحدها . وقد اكتشفت اخيرا بعثة الآثار الفرنسية ، برئاسة السيد « شالومبيرجيه » في «ايخانوم» شمالي افغانستان اطلال مدينة هيللينية تعود الى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وتقع هذه المدينة عند ملتقى نهري الادكيس والكوشا . ويبدو من موقع المدينة كانما هجرت منذ سقوط مملكة « باكتريان » الاغريقية حوالي عام 130 ق.م. ولم تعد الى العمران بعد ذلك وقد وجد بها اكروبول او مدينة عليا تشرف على نهر الكوشا ، ومدينة سفلى رابضة على ضفة الاوكيس تحيط بها الحصون . ومن الممكن ان تشهد في هذه المواقع معالم المدنية السابقة فنجدها تتالف من طريق رئيسي يبلغ طوله 1600 مترا وتحيط به الحوانت . كما نجد احياء السكنى في الجنوب ، وفي الوسط حيا آخر يضم المباني العامة مجمعة حول افنية واسعة . وقد توصل الباحثون الى اكتشاف آثار غنية من الاواني الفخارية .

※ عقد مؤتمر ادبي في موسكو ضم 400 كاتبا ينتمون الى مختلف الجنسيات . وقد استغرق هذا المؤتمر خمسة ايام في قصر الكرملين . ودعا الى عقد هذا المؤتمر اتحاد الكتاب التابع لاتحاد النقابات الروسية.

※ اخرجت دور النشر في موسكو اخيرا ترجمة كثير من الكتب العربية من بينها مجموعة قصص قصيرة للكاتب الايطالي مورافيا بعنوان « المنزل الذي ارتكبت فيه الجريمة » ورواية « السماء المقلوبة » للكاتب البلغاري جوردان ، ورواية اخرى للكاتب الالماني . كما ان بعض المجلات الادبية ستنشر الترجمة الذاتية لشارل شابلن ومجموعة قصصية للكاتب الامريكي سالنجر ورواية للكاتب الفرنسي سانت اوكسبري .

※ صدرت في سان باولو في الشهر الماضي مجلة عربية جديدة بعنوان « النـدوة » .

※ وقع العثور في العقبة على مدفن رجل كـان يعيش في الفترة الاولى من فترات سكنى النوبة تقوم حوله مجموعة غريبة تضم نماذج لكل انـواع الصخور الموجودة في المنطقـة ...

كما عثر ايضا على حوالي خمسمائة نموذج من الرسوم والنقوش تنتمي الى مجموعة مـن العهـود المختلفة سيتم التحقق منهـا باستخدام الاجهـزة الالكترونيـة الحديثـة .

وفي « مرقسة » اكتشف اكثر من ثلاثـة آلاف نص ، تحمل اسماء القبائـل التي كـان يعتبرها المصريون القدماء قبائل معادية ...

وفي جزيرة منارة ، وجد تل من الركام فيـه آثـار ابنية مكونة من طوابق متعددة ، لاتقل عن احـد عشر طابقا ترجع الى العهـد المسيحي وما قبله .

هذا كله بعض ما وقع عليه علماء الآثار والحفريات في اقليـم النوبـة السودانـي .

※ اجمعت الصحف والمجـلات الاجنبية أن احسن كتب العام الماضي كانـت : « الوليمـة المتحركـة » لهمنجواي ، و « حياتـي » لشالي شابلن و « الحياة مـع بيكاسـو » بقلم المرأة التي كانت نموذجـه في الرسم وشريكة حياته لعشر سنوات . وفي النقـد الفنـي وقع الاختيار على كتاب بعنوان « في انتظـار النهايـة » الذي يناقش قضية ارتباط الفن بالحياة في امريكـا والانفصال الواضح بين الادب وواقعيـة المجتمع . اما الكتاب المختار للنقد الاجتماعي فهو عـن المساواة الجديدة الذي يعالج مشكلة الحقوق المدنيـة للزنوج في امريكا . ومن الكتب العلميـة « مراقبـو السمـاء » ويروي تاريخ دراسة الفضـاء .

※ انشيء في جامعة كاليفورنيا كرسـي للشعـر ، وهي الجامعة الوحيدة في المانيا التي بها كرسي جامعي للشعر . وقد تأسس من طرف دار للنشر تقـوم كل ستة اشهـر بدعوة أحد الشعراء أو الادبـاء المشهورين لالقاء محاضرات عن الشعـر في المانيـا والعالـم .

